



الأسر

مجلة

متنوعة



فكرية



ثقافية



السعر 350 دج

العدد الثاني | رمضان 1440 هـ | الموافق لشهر ماي 2019 م

✦ رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد
إلى نوابه في القضاء

✦ الفقيه الشيخ سعدي الطاهر حرّاث : اللغوي المنسي

✦ التقويم الإسلامي : تاريخه... خصوصيته ومعانيه

رمضان شهر البركة



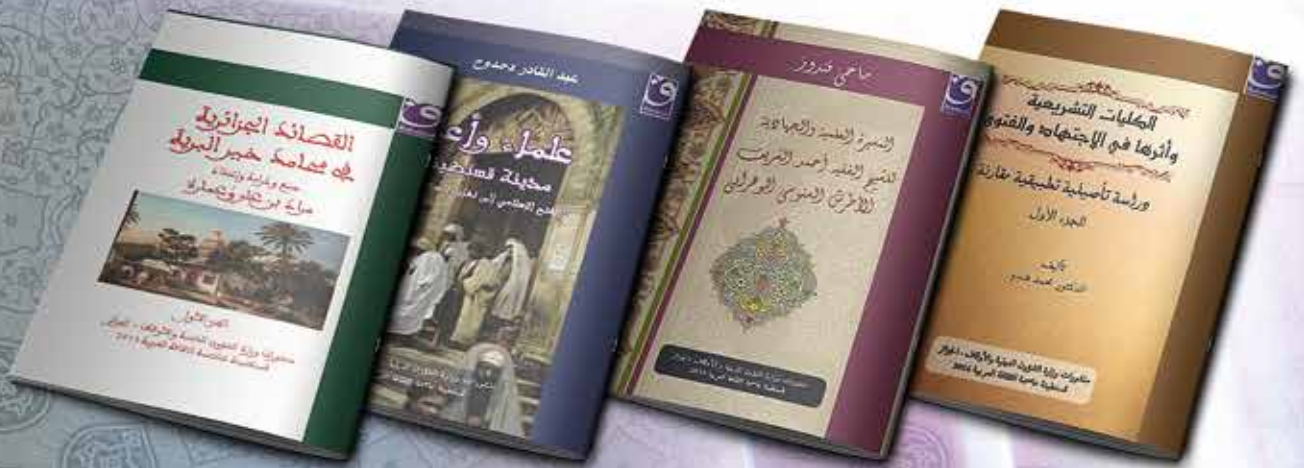
✦ خطب عيد الفطر
للشيخ مفتي الجزائر بابا اعمر

كتاب حسن القوم في بحر مسائل الصوم

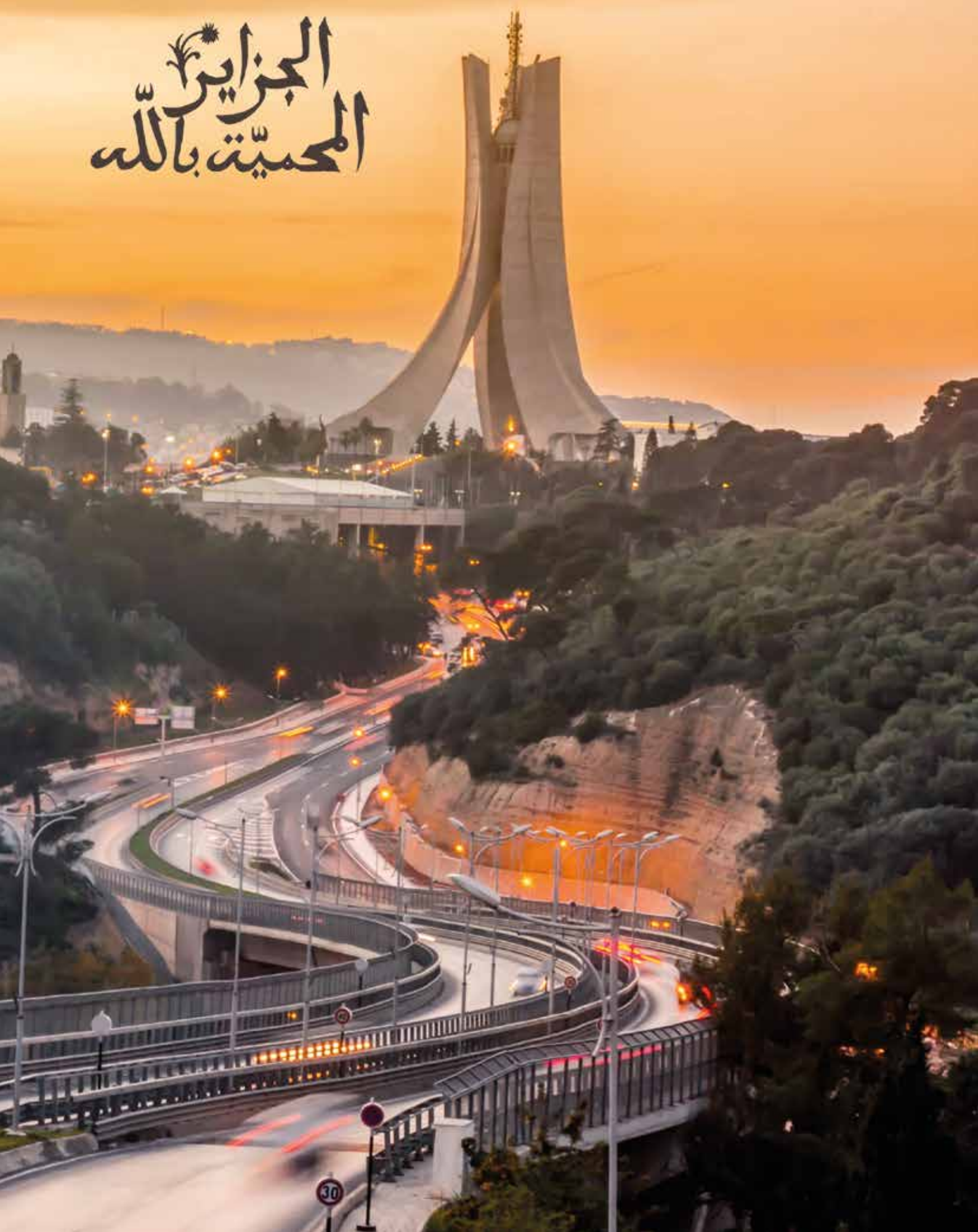
هدية العدد

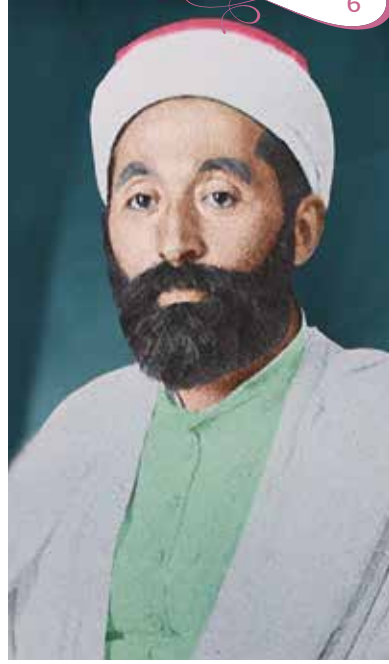
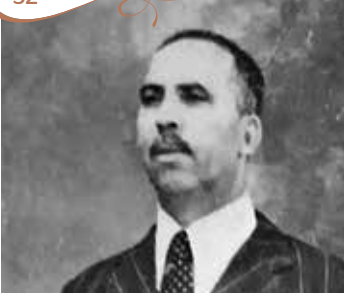


منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف



الجزائر
المحمية بالله





ISSN-1111-0651

مجلة ثقافية فكرية متنوعة شعارها: الحق في المعرفة

تصدرها: المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية "العصر"
مؤسسة عمومية ذات طابع صناعي وتجاري EPIC
تحت وصاية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

مدير النشر: يوسف عزوزة
رئيس التحرير: عبد الرحمن حمّادو

هيئة التحرير:

محمد صغير بلعلام
كريم فضيلي
د. محند أو إدير مشنان
د. عبد الهادي لعقاب
أ. عبد الرحمن دويب
أ. هارون بولقرينات
د. مـاحي قندوز
أ. فطومة بن يحيى
د. أمينة صاري
د. سعيد شيبان
د. أحمد قريق احسن
د. عيسى ميغاري
عبد السلام هزيل
محمد فـاضلي
صلاح الدين بن نعم
د. عبد الرحمن بن يطو
د. حفيظة بلـميهوب
أ. دلال لـواتي

المخرج الفني: كمال بريخ**الإدارة والتحرير:**

01. نهج محمد عليّلات، القبة - الجزائر 16006.
هاتف: 023 77 81 54 / 0662 80 17 65
E-mail: asr.algerie@live.fr

رقم الحساب الجاري البريدي:**C.C.P (RIP) 00799999000035379210****رقم الحساب البنكي:****B.N.A (RIB) 00100605030000389322**

وكالة 605، 8 شارع الحرية - الجزائر.

توجيهات إلى السادة الكتاب

- الوثائق والمقالات والصور التي تصل إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- الآراء التي تنشر في المجلة لا تعبر سوى عن رأي أصحابها، ولا تُلزم المجلة في شيء.
- المقالات الموجهة للنشر يجب أن تحمل أسماء كتابها الحقيقيين، وأن ترفق بصورة من بطاقة الهوية.
- يراعى جانب الإبداع في الكتابة مع التحلي بالجدية والموضوعية.
- المقالات ينبغي أن تتسم بالتركيز والإيجاز، وما إلى ذلك من مقاصد التأليف.
- يتحلى الكتاب بالأمانة في نقل النصوص مع العزو للمؤلف والكتاب بتعيين الجزء والصفحة ودار النشر، أو مكان الحفظ بالنسبة للوثائق المخطوطة.
- تخريج الآيات القرآنية، تخريجاً دقيقاً.
- تخريج الأحاديث النبوية وآثار السلف، وكذا الروايات التاريخية تخريجاً مختصراً.
- تقديم النصوص مرقونة مرفقة بملحقاتها من الصور الرقمية على مفتاح فلاش أو قرص مضغوط، ويكتفى بإرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلة.



المحتويات

- 4 كلمة السيد معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف د. يوسف بلمهدي

دراسات من القرآن والسنة النبوية

- 6 من صحافة الأُمس: جَوَاب عن سؤال حول مشاركة المرأة للرجل في المعاملات إمام النهضة الجزائرية عبد الحميد ابن باديس

ملف شهر رمضان

- 10 ترجمان شعب الإيمان للحافظ سراج الدين البلقيني د. عبد الرحمن بن يطو
18 حُطْبَتَان لرمضان: من ديوان الخطيب الشيخ الصالح بن مهنا القسنطيني إعداد: أ. هارون بولقرينات
20 بدايات الوعظ الديني في الإذاعة: من دروس مفتي الجزائر محمد بابا عمر إعداد: د. أحمد قريق احسن
23 كيف نستقبل رمضان؟ الشيخ إبراهيم مقلاتي
26 رمضان شهر البركة أ. أحمد أحمادي
28 التقويم الإسلامي: تاريخه، خصوصيته ومعانيه د. عبد الله بن يوسف الجُدَيْع

من أعلام ذاكرتنا الوطنية

- 32 الفقيد الشيخ سعدي الطاهر حرّاث اللغوي المنسي أ. محمد زروال
36 الشيخ محمد الثابتي حياته وآثاره صلاح الدين بن نعوم
38 إسهامات الشيخ محمد الصالح بن عتيق في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية أ. عبد الكريم سناني

من تراثنا العربي الإسلامي

- 42 قراءة صحيح البخاري في الجامع الكبير بالجزائر العاصمة للشيخ محمد بن عبد القادر شارف د. محند أو إدير مشنان
46 نظرة في تحقيق كتاب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب" لابن صَعْد التلمساني د. عبد الحكيم الأنيس
48 نقد نشرة الدكتور بشار عواد معروف من التكملة لابن الأبار د. عبد الله التوراتي
53 رسالة توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح للشيخ بدر الدين القَرافي د. يوسف عبد الله الجوارنة
67 رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد إلى نوابه في القضاء أ. عبد الرحمن حمادو الكُتبي

من قضايا التربية والأسرة

- 72 العنف الزوجي وانعكاساته على الترابط الأسري أ. عفاف بايزيد
82 نشوز المرأة خالد بن سعود البلهيد

هدية العدد

- 86 كتاب "حسنُ العوم في بحرِ مسائل الصوم" للطاهر بن العبيدي السُوفي بعناية أ. عبد الرحمن دويب

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

مقدمة معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف
د. يوسف بلمهدي



قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ {البقرة/183}.
وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ {النساء/131}

يقول الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: "قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بيان لحكمة الصيام وما لأجله شرع، والتقوى الشرعية هي اتقاء المعاصي، وإنما كان الصيام موجبا لاتقاء المعاصي، لأن المعاصي قسمان:

• قسمٌ ينجع في تركه التفكير كالخمر والميسر والسرقة والغضب، فتركه يحصل بالوعد على تركه والوعيد على فعله والموعظة بأحوال الغير.

• وقسم ينشأ من دواعٍ طبيعية كالأمور الناشئة عن الغضب وعن الشهوة الطبيعية التي قد يصعب تركها بمجرد التفكير، فجعل الصيام وسيلة لاتقائها، لأنه يعدل القوى الطبيعية التي هي داعية تلك المعاصي، ليرتقي المسلم به عن حضيض الانغماس في المادة إلى أوج العالم الروحاني، فهو وسيلة للارتياض بالصفات الملكية والانتفاض من غبار الكدرات الحيوانية. وفي الحديث الصحيح {الصوم جُنة}: أي وقاية .. ففي الصوم وقاية من الوقوع في المآثم ووقاية من الوقوع في عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأدواء الناشئة عن الإفراط في تناول اللذات".

وقريبا من هذه المعاني قال الراغب الأصفهاني في "تفسيره" واستحسنها منه أبو حيان في "البحر المحيط":
"للصوم فائدتان:

إحدهما: قريبة، وهي أن يروض الإنسان به نفسه عما تدعوه إليه من الشهوات القبيحة، فإنه يعوِّدها الصبر لكنها كما وصفها بقوله: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}، ومتى جعلت في حجر الشرع، فعودت الانقلاع،

فالنفس راغبة إذا رغبتها... وإذا ترد إلى قليل تنقع

ولكونه مفيدا للصبر، قال عليه السلام: {هذا شهر الصبر}، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ أي بالصوم.
والفائدة الثانية: وهي أن فيه الاقتداء بالملا الأعلى على قدر الوسع

والتنزه عن مشاكلة البهائم التي غايتها شبع البطن والفرج، ووجه ذلك أن الإنسان مرگب من: بدن يسوسه سوسن الحيوان وغذاؤه المطاعم، ومن روح ذي عقل غذاؤه العلم والفضائل. ومتى أكثر غداء أحدهما قوي على ما نقص غذاؤه، ولهذا قال عليه السلام: {رأس الدين الورع، وأفضل الورع قلة الطعام، ومن شبع ونام جثم على قلبه الشيطان} وقيل: "الجوع سحاب تمطر الحكمة"، فإن قيل: فهلا أديم فرض الصوم إذا كان سببا لهذه الفضيلة العظيمة، قيل: إن الله عز وجل ما خلق في الأرض وشهاه إلينا ليحرمناه، ولكن لينتفع به بقدر ما يحسن، وفي وقت ما يحسن، وألزمنا في بعض الأوقات التحرج عنه ليكون مدعاة إلى التعفف عن تناول مالا يجوز تناوله".

ومن رحمة الإسلام بنا أمة الإسلام أن جعل لنا من الأدوية الشرعية والأحكام الدينية، ما يزيل عن القلب أضرار المادة وأوساخها في زمن استحكمت فيه المادية الطاغية، وقل فيه الإلتفات إلى عالم الروح الطاهر، فالصلاة طهارة والزكاة طهارة والصيام طهارة نفسية وبدنية ومالية بإمتياز... حق لنا أن نفخر بشهر لو علمت الأمة ما فيه لتمنت السنة كلها رمضان.

وحرى بالمسلمين في كل بقاع العالم أن ينعموا ويفرحوا بما شرعه الله تعالى من مدرسة العبادات، التي يتخرجون منها بقوة وهمة تقهر صعوبات الحياة وتذل كل عقبة كؤود.

بآداب الصوم، ووجوب أداء الزكوات والتأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، والتواصي بالحق والصبر والرحمة، والتعاون على البر والتقوى، والتألف والتحابب، والترغيب في الصلة والتغافر، والتحذير من التبذير والإسراف، وكل الأخلاق الذميمة والقبیحة، والتذكير بفضل إطعام الفقراء واليتامى والأیامی، والإحسان إلى المحتاجين، ويشعر الصائمون كلهم بأنه شهر إحسان ورحمة وتوكيد للأخوة الإسلامية والإنسانية.

ولهم في إحيائهم لليلة المباركة -ليلة القدر- ليلة السابع والعشرين من رمضان، ختمهم للقرآن في صلاة التراويح، وكذا ختم كتاب صحيح البخاري، والاحتفال بتكريم حفظة كتاب الله تعالى والحديث النبوي، ما يؤكد على أن المرجعية الدينية لهذا الوطن كانت ولا تزال الكتاب والسنة على ما ورد وثبت عن صالح سلف الأمة، فذلك مصدر البركة والعصمة، ومنبع العز والسيادة، وترياق الشرف والكرامة.

وإن من مظاهر الوحدة في هذا الشهر الإكثار من الأعمال الصالحة المتعدية، والتنافس في فعل الخير كخدمة الفقير والإحسان إليه، وإخراج الصدقات، وجمع زكاة الفطر وتوزيعها قبل عيد الفطر عن طريق الصندوق الوطني للزكاة.

هذه جملة المعاني الدينية والدينية الحية في قلوب الجزائريين في مدرسة رمضان.. فما يأتي عليهم الشهر إلا وقد ذاقوا جميعا -إلا من حرم- طعم الحرية الروحية العقلية، وخرجوا بحيوية قوية وحرية نيرة لاستقبال العيد عيد حرية الأرواح والعقول. فإذا تحررت الأرواح والعقول فقد تحرر كل شيء كما كان يقول الشيخ ابن باديس.

وفي هذا المعنى قال الشيخ الإبراهيمي: "اجعلوا من رمضان ميداناً زمنياً للتدريب على المغالبة بالأخلاق، فإن عبید الشهوات لا يتحررون أبداً، ولا تصدقوا أن من تغلبه شهواته يستطيع أن يغلب عدواً في موقف، ابدأوا بتحرير أنفسكم من نفوسكم وشهواتها وذرائلها، فإذا انتصرتكم في هذا الميدان فأنتم منتصرون في كل ميدان".

بارك الله لنا في الصيام والقيام، ورزقنا جميعاً حياة السعداء وعاقبة المتقين وحرية الرشاء، والأمن والسلامة والهداية للناس أجمعين، فعيد مبارك سعيد، وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

والصيام عند الأيقاظ المتذكرين، أهل الكياسة والفطنة، فقهاء النفس، من أجل هذه العبادات، فهو المدرسة الإلهية لجهاد النفس، تلقحها الرحمة، وينفحها العفو، ويعالجها التذكير، ويداويها الانكسار والاستغفار، فإذا هي كعود الربيع نضرة وطراوة وخضرة.

ولحكمة ما كان شهر رمضان قمرياً، ليكون ربيعاً للنفس متنقلاً خلال الفصول، مؤسماً للتجليات الرحمانية على القلوب المؤمنة، فيرتاض الصائم -كما قال الإبراهيمي- على الشدة في الاعتدال، وعلى الاعتدال في الشدة، في مزيج من العنف والرفق.

والصوم محطة إيمانية، ودوحة روحانية، تغذي الفضائل فتورق، وتشحد العزائم فتبرق، يصفو الذهن ويرتاض بالتأمل، ويشرق الفكر سائحاً في الملكوت، وتقوى العزيمة والإرادة، وتسمو الروح على المادة، فيصبح الإنسان خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، لأجل ذلك، اعتاد الجزائريون استقبال شهر القرآن بالابتهاج، والتهيؤ الكامل والاستعداد التام، لهم في ذلك عادات جميلة، وخلال نبيلة، يتفوقون فيها غالباً مع إخوانهم في العالم الإسلامي، ويتفردون في أخرى.

ومن مظاهر هذه الخصوصية المميزة مصالحتهم وعودتهم إلى دينهم، بإعلان التوبة النصوح بأربعين يوماً قبل رمضان والرجوع بنفحة ربانية إلى الصراط السوي، ولرمضان مكانة عظيمة في قلوبهم، يظهر ذلك في تقديسه وعدم التساهل في التفريط فيه أو الجراءة عليه، يشهد بذلك نشاطهم صوماً وتعبدية قوماً ودعائهم هجداً، إلى غاية فرحتهم بيوم العيد.

وهذا صنيعهم مع أطفالهم، حين يروضونهم ويحثونهم على الصيام فيحتفلون بهم إذا صاموا لأول مرة، أو حين يكرمون الصبيان بالختان، يرجون بركة الشهر، وهذا ملمح ديني أصيل في تراث الأجداد ومكارمهم.

كما تزدهر مساجد الجزائر بصلاة التراويح التي يختم فيها القرآن كاملاً مشفوعة بالدروس والخطب، وحلقات الوعظ والإرشاد الرمضانية، التي سنّها دعاة الإصلاح من الوعّاظ والخطباء والعلماء والشيوخ، دروس تفهق بها الجوامع والمدارس والنوادي بل والخيم والبيوت، تحريكا للخير في النفوس وتعميراً لها، وتذكيراً بما ينفعها في صلاح الأخلاق، وإقامة الفرائض الدينية والاجتماعية في الدين والدنيا كالحث على الائتلاف والتذكير

جواب عن سؤال

بقلم الإمام عبد الحميد ابن باديس

جواب عن سؤال حول مشاركة المرأة للرجل في المعاملات

إعداد: أ. عبد الرحمن دويب | باحث في التراث الجزائري



من الكتابات الأولى التي شارك بها الإمام ابن باديس في عالم النشر هذه الفتوى التي لم تر النور بعد نشرها لأول مرة بجريدة كوكب إفريقية سنة: 1329هـ/1911م، إلا على صفحات هذه المجلة المباركة، وفي قراءة سريعة لهذه الوثيقة يمكن استخلاص عدّة جوانب جديدة لها علاقة بحياة الإمام وبنشاطاته وبفكره في طوره الأخير من مرحلة التحصيل.

إلى زينة المرأة ولباسها وحكم اختلاطها بالرجال.

في ظل هذه الظروف، وفي زمن تسرب هذه الأفكار إلى العالم الإسلامي، أقيمت محاضرات على منصات المنابر، وحررت مساجلات على صفحات الجرائد، تناولت جميعها حركة المرأة ودورها في مشاركة الرجل في ميادين العلم والعمل وتنشئة الأجيال.

ففي موضوع قريب منه كتب الإمام ابن باديس سلسلة مقالات تحمل عنوان: "رجال السلف ونسأؤهم"، كان ينشرها في "الشهاب"، منذ سنة: 1352هـ/1934م، ترجم فيها لمجموعة من النساء الصحابيات، ذكر منهن: أم حرام بنت ملحان، وسُميَّة بنت خياط، والشَّفاء، والخنساء، والرُّبيع بنت مُعوذ (رضي الله تعالى عنهن)، وقال عن هذه الأخيرة، هي: "ممن حُضرن بيعة الرضوان، وكانت ممن يغزون مع النبي ﷺ من النساء، كنَّ يخدمن الجيش ويسقين الماء، ويقمن على الجرحى فيداوينهم ويحملنهم فيرددنهم إلى المدينة"، ثم قال: "هؤلاء السيدات الصحابيات (رضي الله عنهن) قد كنَّ يشاركن الرجال في الحرب وهي أبعَدُ الأشياء عن طبعهن، ويقمن معهن بما يليق بهن، فلنا فيهن القدوة الحسنة أن نشرك معنا نساءنا فيما نقوم به من مهام مصالحنا ليقمن بقسطهن مما يليق بهن في

نتج عن هذا التواصل ظهور حركة في العالم الإسلامي ينادي أصحابها بتحرير المرأة وتمكينها من تحقيق رغباتها في مختلف الميادين، مع كسر كل الأغلال التي كانت تشل حركاتها -زعموا- وتضييق فضاء عملها، وهي حركة مشبوهة ظهرت في مصر سنة: 1894م، أي: بعد الإحتلال البريطاني بعام واحد، رائدها المحامي المصري النصراني الموالى للنفوذ الأجنبي المدعو مرقص فهمي، الذي ألف كتابا تحت عنوان: "المرأة في الشرق"، رسم فيه خطّة الغرب المطالبة بإلغاء الحجاب الإسلامي، والداعية إلى إباحة الإختلاط المذموم، وإباحة زواج المسلمات بغير المسلمين.

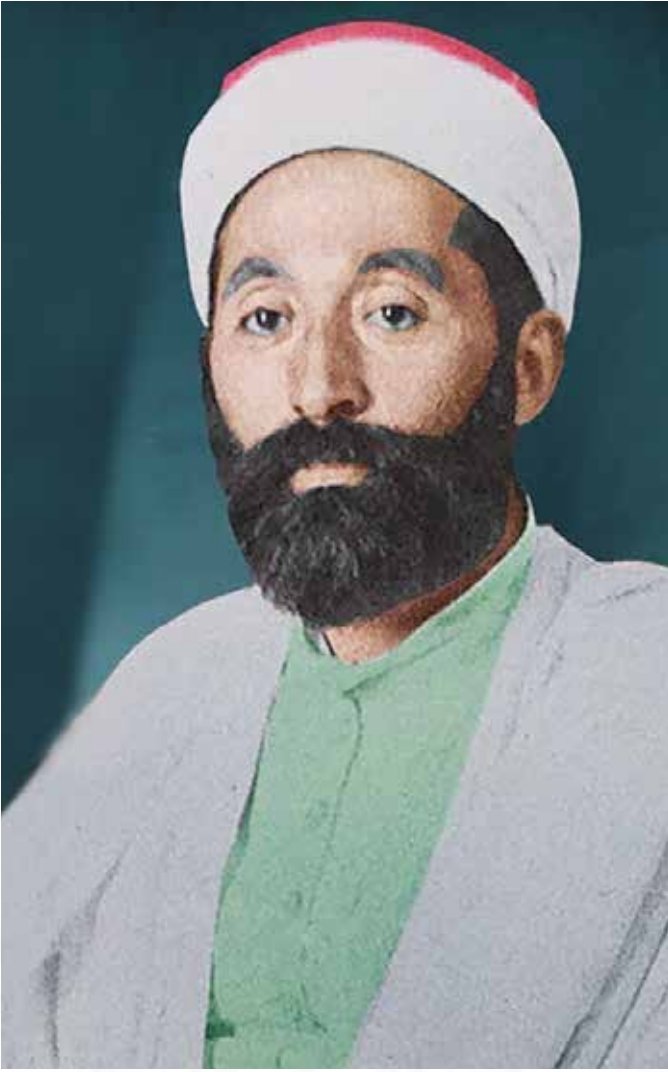
ثم ظهر كتاب: "تحرير المرأة"، لقاسم أمين الذي نظّر لهذه الدعوة الهدامة، وشرع لها ما لم يأذن به الله تعالى.

وفي قريب من هذه الفترة ظهر في الجزائر كتابان تعرضا لنفس الموضوع من تأليف الشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري (ت: 1915م)، الأول منهما يحمل عنوان: "الإكتراث بحقوق الإناث"، طبع بالجزائر سنة: 1895م، أي بعد سنة من ظهور كتاب المحامي مرقص فهمي، والثاني بعنوان: "الباب في أحكام الزينة واللباس والحجاب"، طبع أيضا بالجزائر سنة: 1907م، وهو يتعرّض في مجمله

فمن خلالها ندرك ابتداءً أنّ الإمام كان على تواصل دائم بوطنه وبما يجري على ساحته من أفكار وآراء، خاصّة إذا علمنا أنّ هذه الفتوى صدرت قبل أن يتحصّل الطّالب عبد الحميد بن باديس على شهادة التّطويع، إذ تحصّل عليها في 29 رجب 1329هـ/ 25 جويلية 1911م، وهذا يعني أن فتواه هذه كانت بسنة أشهر قبل نيل شهادة التطويع، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز (22) سنة.

وتأتي هذه الفتوى في جوّ مفعّم بالاضطرابات الفكرية ومشبع بالاصطدامات الثقافية التي كان يعيشها العالم الإسلامي، في موضوع لا يزال إلى يومنا هذا مثار جدل بين فئات من الكتّاب وصنّاع الرأي في مختلف ربوع الوطن الإسلامي.

إنّ موضوع هذه الفتوى يتناول فصلا من قضية حسّاسة، كان الحديث عنها ذا شجون وأغراض، في عصر اتّصلت فيه المدنيّة الغربيّة التي أطلّقت للمرأة العنان في كلّ تصرّفاتهما، من غير مراعاة قيد أو وازع أخلاقي يسوس هذا المسار الجديد ويقوم بتشريده، مع مجتمع إسلامي محافظ، يهيم على أفكاره موروث ثقافي، بعضه مبني على نظرات شرعية محكمة، وقسم منه عبارة عن ركام من التقاليد والعادات التي لا تحقّق مصلحة ولا تحافظ على مكسب.



الحياة، على ما يفرضه عليهنَّ الإسلامُ من صَوْنٍ وعدَمِ زينةٍ وعدَمِ اختلاط، ولن تكْمُلَ حياةُ أمةٍ إلَّا بِحياةٍ شَطَرِها (الذَّكرُ والأنثى). وهو الرَّأي الذي أشار به صنوه الإمام الإبراهيمي في أرجوزة بعث بها لبعض علماء نجد، يستنهض همهم لتعليم البنات، ويستألف قلوبهم فيه، جاء فيها (1):

فكَيْفَ يَرْضَى عَاقِلٌ أَنْ تَسْتَمِرَّ... مَزِيدَةً عَلَى الْحَوَاشِي وَالطُّرُرِ وَإِنِّهَا إِنْ أَهْمِلْتَ كَانَ الْخَطَرُ... كَانَ الْبَلَاءُ كَانَ الْفَنَاءُ كَانَ الضَّرَرُ وَمَنْعُهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالنَّظَرِ... لَمْ تَأْتِ فِيهِ آيَةٌ وَلَا خَبَرٌ وَالْفَضْلِيَّاتُ مِنْ نِسَاءٍ صَدَرُ غَيْرٍ... لَهَنَ فِي الْعِرْفَانِ وَرَدُّ وَصَدَرُ وَانْظُرْ هَذَاكَ اللَّهُ مَاذَا يَنْتَظِرُ... مِنْ أُمَّةٍ قَدْ شَلَّ نَصْفُهَا الْخَدَرَ وَانْظُرْ فَقَدْ يَهْدِيكَ لِلْخَيْرِ النَّظَرُ... وَخُذْ مِنَ الدَّهْرِ تَجَارِيِبَ الْعَبَرِ هَلْ أُمَّةٌ مِنَ الْجُمَاهِيرِ الْكُبَرِ... فِيَمَا مَضَى مِنَ الْقُرُونِ وَحَضَرَ خَطَّتْ مِنَ الْمَجْدِ وَمِنْ حُسْنِ السَّيْرِ... تَارِيخَهَا إِلَّا بِأَنْثَى وَذَكَرُ؟! وَمَنْ يَقُلْ فِي عِلْمِهَا غَيٌّ وَشَرٌّ... فَقُلْ لَهُ هِيَ مَعَ الْجَهْلِ أَشَرُّ

فهذا السؤال الذي بين أيدينا الآن هو نتيجة طبيعية للحراك الذي شهده المجتمع في ذلك العصر، وجواب ابن باديس عنه هو عبارة عن رأي طالب كان في آخر مراحل التحصيل يحاول أن يستعرض معلوماته في موضوع سيكون له فيه رأي في مستقبل الأيام، أكثر نضوجاً وأبعد نظراً.

ولأهمية الموضوع وخطورته تحركت أقلام العلماء عند ورود السؤال ونشره على صفحات الجريدة، وأعملت الفقهاء اجتهاداتهم، للإدلاء بأرائهم، فكان ممن أسهم فيه بعلمه وشارك للإجابة عن هذا السؤال نخبة نذكر منهم:

1. الشيخ عبد الله بن محمد حشلاف (الوكيل الشرعي بمستغانم).
 2. الشيخ أحمد البوعوني (قسنطينة): وجاء جوابه نظاماً.
 3. الشيخ أبو عبد الله البوعبدلي (سان لو/أرزيو).
- وغيرهم من أهل العلم والنظر، وهذا نص السؤال وجواب الطالب ابن باديس عنه.

[نص السؤال] (2)

جائزة (25) فرنكا على سؤال فقهي
أسيادي الفقهاء العقلاء.

سلام عليكم، وبعد:

فالرجاء الجواب عن هذا السؤال الفقهي جواباً معقولاً مؤيداً بحججه الفقهية والعقلية، ومن أصاب كبد الحقيقة، وفاز بالأسبقية، واقتنعت ببياناته اللجنة التي تألفت لتحقيق هذه المسألة، فله جائزة على ذلك، وهي عبارة عن ساعة فضة ذات قيمة (25) فرنكا. والرجاء أن يكون الجواب مختصراً مفيداً، مستوعباً لنقط السؤال، ونصه:

- هل يمكن اشتراك المرأة مع زوجها في التصرف داخلاً وخارجاً ؟
- وهل الإمكان محمول على الوجوب أو على الإيساغ فقط ؟
- وإذا أوجبتم مشاركتها، فما هي النتيجة التي تنجر من وراء ذلك أيضاً ؟
- وهل مشاركة الزوجين متساوية، أو هناك فرق ؟

ولا بأس أن يتضمن الجواب مراعاة العصر.

م. ب (شاطون)

[جواب الإمام ابن باديس] (3)

تونس (لحضره الكاتب صاحب الإضاء)

حضرة الأديب الغيور، صاحب الشهامة مدير جريدة (الكوكب) الغراء.

السلام عليكم، وبعد:

فهذا جوابنا عن السؤال الفقهي الوارد في عدد: 194، من جريدتكم، ونصه:

لما كانت تصرفات الرجل أقساماً، كان في مشاركة المرأة له فيها تفصيل، ولبيان ذلك أقول:
أما تصرفاته الخارجية، فثلاثة أقسام:

1. دينية: كالإمامة.
 2. سياسية: كالخلافة، وسائر الولايات.
 3. وعمرانية: كالجارة، والفلاحة.
- والمرأة لا تشاركه في شيء من ذلك.

(1) انظر: آثار الإمام الإبراهيمي (4/133)، طبعة دار الغرب الإسلامي

(2) جريدة كوكب إفريقية: يوم الجمعة 19 محرم 1329هـ/20 جانفي 1911م، العدد: 194، ص: 2.

(3) جريدة كوكب إفريقية: يوم الجمعة 02 صفر 1329هـ/03 فيفري 1911م، العدد: 196، ص: 2.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ فِي آخِرِ السُّؤَالِ: "وَلَا بَأْسَ ... الْخ"، فَفِيهِ وَفَقَةٌ، وَلَمْ نَدِرْ مَا مَعْنَاهُ.

فَإِنْ كَانَتْ مُرَاعَاةُ الْعَصْرِ بِمَعْنَى إِسْقَاطِ شَيْءٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ لِأَجْلِ الْعَصْرِ، فَهَذَا فَاسِدٌ، لِأَنَّ الشَّرْعَ عَامٌّ وَلَا يُخَصَّصُ بِزَمَانٍ دُونَ آخَرٍ، وَبَابُ التَّشْرِيعِ مَسْدُودٌ.

وَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى الْإِتْيَانِ بِمَا يُوَافِقُ الْعَصْرَ، وَافَقَ الشَّرْعَ أَمْ لَا، فَهَذَا يُنَاقِضُ عُتْوَانَكُمْ عَلَى السُّؤَالِ بِأَنَّهُ فَقْهِي، وَعَسَى أَنْ تُبَيِّنُوا الْمَرَادَ، فَنُطِيبُ إِذْ ذَاكَ فِي الْجَوَابِ.

ع . باديس القسنطيني
(نزيل تونس)

• **أَمَّا الْأَوَّلَى:** فَلَأَنَّهَا غُورَةٌ، وَلَرُبَّمَا فَتَنَتْ الْمَأْمُومِينَ، وَكُتِبَ الْفَقْهَ طَافِحَةً بِهَذَا.

• **وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ:** فَلَأَنَّ الْمَرَأَةَ نَاقِصَةٌ عَقْلًا، وَالنَّاقِصُ لَا يَتَوَلَّى رِئَاسَةً غَيْرَهُ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: {لَا أَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ} (4).

• **وَأَمَّا الثَّالِثَةُ:** فَفِيهَا تَفْصِيلٌ بِاعْتِبَارِ حَالِ الْمَرَأَةِ مِنْ صِغَرٍ وَكِبَرٍ، وَكَوْنِهَا ذَاتُ زَوْجٍ أَوْ لَا.

فَالصَّغِيرَةُ مَتَزَوِّجَةٌ وَغَيْرُهَا لَا يَسُوغُ لَهَا تَعَاطِي التَّجَارَةِ أَوْ غَيْرِهَا، لِمَا فِي خُرُوجِهَا مِنْ الْفَتْحِ لِبَابِ الْفُسَادِ، فَسَدًا لِلذَّرِيعَةِ مُنِعَتْ مِنْ الْخُرُوجِ، وَأَنْتَ تَرَى الْفَقْهَاءَ مَنُوعًا مِنَ الْخُرُوجِ لِلْجَمَاعَةِ وَالْجُمُعَةِ، فَلِغَيْرِهِمَا بِالْقِيَاسِ الْأَوَّلِيِّ يُوَكَّدُ الْمَنْعُ شَرْعًا.

وَالْكَبِيرَةُ الَّتِي لَا فَتْنَةَ فِيهَا، إِنْ كَانَتْ عَانِسًا سَاعَ لَهَا تَعَاطِي الشُّؤُونِ الْعُمَرَانِيَّةِ لانتفاءِ الْعِلَّةِ، وَإِنْ كَانَتْ ذَاتُ زَوْجٍ رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى زَوْجِهَا، فَإِنْ أَدِنَ فَنَعَمْ، وَإِلَّا فَلَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النِّسَاءُ: 34]، وَلَأَنَّهُ لَمَّا وَجِبَتْ عَلَيْهِ نَفَقَتُهَا كَانَ لَهُ مَنَعُهَا، وَسَائِرُ التَّصَرُّفَاتِ تَدُورُ عَلَى الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، وَلَا بَدَّ لِلْمَرَأَةِ مِنْهُمَا.

وَالْحَقُّ الَّذِي لَا يَسْعُ مُسْلِمًا إِنْكَارُهُ أَنَّ الْمَرَأَةَ يَجِبُ تَعْلِيمُهَا الْفُرُوضِ الْعَيْنِيَّةِ مِنْ دِينِهَا، ك: الصَّلَاةِ، وَأَحْكَامِ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ، وَالْإِعْتِقَادَاتِ، وَهَاتِهِ الْعُلُومُ تُشَارِكُهُ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الْوُجُوبِ، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، وَيُسْتَحْسَنُ تَعْلِيمُهَا مِنَ الْآدَابِ مَا يَهْدِيهَا، ك: الْأَشْعَارِ الَّتِي تُرَبِّي فِيهَا الْغَرَائِزَ الْمُسْتَحْسَنَةَ، وَالْحِسَابَ، وَالتَّارِيخَ الْإِسْلَامِيَّ، وَالْخَطَّ، وَآدَابَ الْمَنْزِلِ.

وَمُشَارَكَتُهَا لَهُ فِي هَاتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِحْسَانِ شَرْعًا، وَالْعَقْلُ تَابِعٌ لِلشَّرْعِ لَا الْعَكْسُ.

وَلَا يُقَالُ: إِنَّهَا عَلَى سَبِيلِ الْوُجُوبِ، إِذْ ذَاكَ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ، فَهِيَ مِثْلُهُ، وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ مِنْ كِتَابِ مَنْزِلٍ أَوْ سُنَّةٍ ثَابِتَةٍ عَلَى تَخْصِيصِهَا بِالْوُجُوبِ. وَمَا لَهْجَ بِهِ الْكَاتِبُونَ فِي الْمَوْضُوعِ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ بِحَدِيثٍ: {طَلِبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ} (5)، فَقَدْ نَصُّوا عَلَى وَضْعِهِ كَمَا فِي "الَلَّائِي الْمَصْنُوعَةِ" (6)، وَعَلَى فَرَضِ ثُبُوتِهِ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْفُرُوضِ الْعَيْنِيَّةِ.

وَقَدْ بَانَ فِيمَا تَقَدَّمَ جَوَابُ قَوْلِكُمْ: "وَهَلِ الْإِمَّاكُنْ مَحْمُولٌ ... الْخ". وَأَمَّا تَصَرُّفَاتُهُ الدَّاخِلِيَّةُ فِي مَنْزِلِهِ، مِنْ تَقْوِيمِ مَعَاشِهِ، وَاشْتِرَاءِ لَوَازِمِهِ، فَهِيَ تُشَارِكُهُ فِيهَا، بَلْ هِيَ صَاحِبَةُ النَّظَرِ الْأَقْوَى فِي ذَلِكَ، إِذْ يَتَعَسَّرُ عَلَيْهِ الْإِسْتِغَالُ بِدَوَاخِلِهِ وَخَوَارِجِهِ، وَرُبَّةُ الْمَنْزِلِ أَعْلَمُ بِمَا فِيهِ، وَهَذَا حَاصِلُ جَوَابِ قَوْلِكُمْ: "هَلْ يُمْكِنُ [... الْخ]".

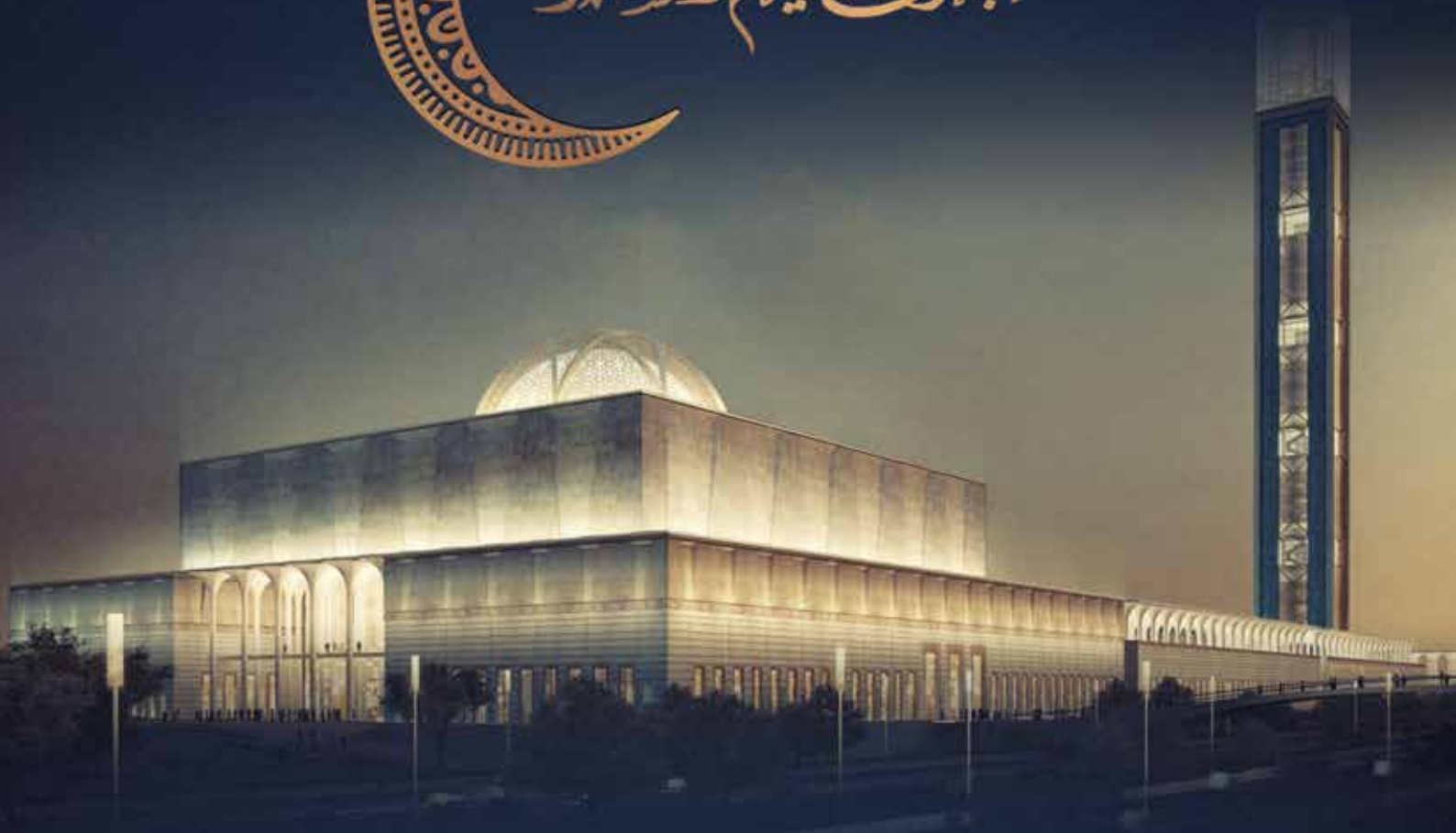
وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: "إِذَا أُوجِبَتْ ... الْخ"، فَغَيْرُ خَفِيِّ أَنَّهَا بَتَعْلُمُ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ تَدْعُمُ أَسْ دِينَهَا الَّذِي هُوَ الْمَقْصَدُ الْأَوَّلُ، وَيَكُونُ لَهَا مَانِعٌ دِينِيٌّ مِمَّا تُسْأَلُهُ لَهَا نَفْسُهَا وَعَقْلُهَا النَّاقِصُ، وَبَتَعْلُمِ الْأَدَبِ تَنْبِغُ فِيهَا رُوحُ الْمَرْوَةِ الَّتِي تَحْمِلُهَا عَلَى الْقِيَامِ بِوَاجِبَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، مِنْ وَفَاءٍ بِحَقُوقِ الزَّوْجِ، وَتَهْذِيبِ الْإِبْنِ حَتَّى يَشْبَ عَلَى أَفْكَارٍ مُنَوَّرَةٍ، فَيَسْعَى فِي خَيْرِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ، وَأَرْسَخَ شَيْءٌ فِي ذَهْنِ الْإِنْسَانِ مَا تَعَلَّمَهُ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَهَذَا بَعْضُ مَا يَنْتُجُ عَنِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَنَافِعِ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: "وَهَلْ مُشَارَكَةُ الزَّوْجَيْنِ ... الْخ"، فَجَوَابُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّفْصِيلِ.

(4) أخرجه أحمد (20438)، والبخاري (4425)، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصير، والترمذي (2262)، في أبواب الفتن، والنسائي (5388)، كتاب آداب القضاة، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم، من حديث أبي بكرة (رضي الله تعالى عنه).

(5) رواه من غير زيادة لفظ: «ومسلمة»، ابن ماجه (224)، في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، والبرار في مسنده (94)، والطبراني في الأوسط (9)، والبيهقي في الشعب (1543)، من حديث أنس (رضي الله تعالى عنه)، وقال البيهقي: «هذا حديث مته مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه، كلها ضعيف»، ورواه أيضا الطبراني في الأوسط (4096)، من حديث ابن عباس (رضي الله تعالى عنه)، وهو من الأحاديث التي تضاربت فيها أقوال العلماء، فصحه بعض المحققين، وضعفه أكثرهم، قال السيوطي: «جمعت له خمسين طريقا، وحكمت بصحته لغيره، ولم أصح حديثا لم أسبق لتصحيحه سواه»، وله جزء مفرد في هذا الحديث وطرقه، أسماه: (جزء فيه طرق حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم)، وكذلك للشيخ أحمد بن الصديق العامري رسالة في تخريجه بعنوان: (المسهم في بيان حال حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم)، قال البيهقي في المدخل (ص: 242): «وإن صح، فإنما أراد والله أعلم العلم العام الذي لا يسع البالغ العاقل جهله، أو علم ما ينوبه خاصة، أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه الكفاية»، ثم أخرج عن ابن المبارك أنه سئل عن تفسير هذا الحديث، فقال: «ليس هو الذي يطلبون إنما طلب العلم فريضة، أي يقع الرجل في شيء من أمر دينه، فيسأل عنه حتى يعلمه»، وراجع كلام العلماء في توجيه معناه في الجامع (23/1) فما بعد لابن عبد البر (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: الزهيري، ط/1، دار ابن الجوزي (السعودية)، سنة: 1414هـ/1994م، وقد نقل بعضه الشيخ مبارك الملي (رحمه الله تعالى) في جريدة الصراط، العدد: 12، في مقال تحت عنوان: آثار وأخبار، ثم قال: «يلوح من كلام الأئمة المتقدم أن طلب العلم على وجهين: (أحدهما) الإشتغال بتحصيل مسائله والإنقطاع إلى تعلم قواعده، وهذا هو الواجب الكفاية، و(ثانيهما) السؤال عن حكم ما نزل به من أمر دينه واستفتاء أهل العلم فيه، وهذا واجب عينا، فاحفظ هذا الضابط واعتبر به مسائل دينك، يسهل عليك الفرق بين ما هو واجب على عموم المسلمين يسقط عنهم بوجود عالم بينهم، وما هو واجب عليك في خاصة نفسك لا تبرأ منه ذمتك إلا بمعرفته»، وهذا المقال في جملة مقالات متسلسلة تحمل نفس العنوان، نُسبت خطأ للشيخ ابن باديس (رحمه الله تعالى)، وهي موجودة ضمن آثاره (2 - 327/308) [طبعة عالم المعرفة 2013م]، وهي جزئا من آثار الشيخ الملي، فقد صرح في: رسالة الشكر ومظاهرة (ص: 86) [بتحقيق أبي عبد الرحمن محمود، دار الراجية، ط/1] في معرض الرد على شبه بعض المغرضين من الطرفين بأن هذه السلسلة من المقالات المغفلة الإمضاء هي من تحريره، فقال: «وسبق أن كتبنا في ردها بما عطل من صحف جمعية العلماء يشير إلى جريدة الصراط فصولا تحت عنوان: (آثار وأخبار)»، وأما زيادة لفظ: «ومسلمة»، فقد أحققها بعض المصنفين بآخر هذا الحديث، وليس لها ذكر في شيء من طرقه، وإن كان معناها صحيحا، كما في المقاصد الحسنة (ص: 442) للسخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط/1، دار الكتاب العربي (بيروت)، سنة: 1405هـ/1985م.

(6) انظر: اللللي المصنوعة (1/175) للسيوطي.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
اللجنة الوطنية للأهلة والمواقيت الشرعية



قال الله تعالى ﴿فَمَنْ شَرَفَهُمْ مِنْكُمْ الشَّرَفُ فَلْيَرْفَعْهُ﴾

[البقرة: 184]

قال رسول الله ﷺ { صوموا لرؤيته وأفكروا لرؤيته }

رواه الشيخان البخاري ومسلم



من المصنفات الصغيرة

ترجمان شعب الإيمان

تصنيف الإمام الحافظ أبي حفص سراج الدين
عمر بن رسلان البلقيني الشافعي المصري
المتوفى سنة 805هـ

تحقيق: د. عبد الرحمن بن يطو | باحث في التراث العربي الإسلامي-جامعة الجزائر 1

موالاة أهل الصدق في جدّهم واجتهاداتهم، الذين لم يتركوا باباً من الخير إلا ولهم فيه من العمل نصيب، ولا ريب -إذا ما كنتَ جازماً- أن مَنْ فَقِهَ هذه الشعب الإيمانية فقد مَنَّ الله عليه، وفتح له من الخير كلّ باب. والمحروم من حرم نفسه، ثم أليست الشعب الإيمانية تزيد عن الستين أو السبعين؟ ولو اجتمع الصالحون على الإتيان بها لما أحاطوا بفضل الله الواسع، ولو اجتهد المجتهد في تحصيلها لعمّ النفعُ بها القاصي والداني، غير أن في العمر إن طال سعة للاستدراك لمن أراد أن يأتي بالواحدة بعد الأخرى، وفقَّ الله بمنّه وفضله كلّ ساعٍ للخير مريد للبر.

هذا وقد صنّف في تعيين شعب الإيمان جماعة منهم:

- الإمام أبو عبد الله الحلي، صنّف فيها كتاباً سماه (منهاج الدين في شعب الإيمان)⁽¹⁾. قال الزركلي (2/235): ثلاثة أجزاء، قال الأسنوي في (ملخص المهمات): "جمع فيه أحكاماً كثيرة ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره".
- ثم الحافظ أبو بكر البيهقي وسماه (الجامع المصنف في شعب الإيمان).
- وللحافظ الجلال السيوطي زوائد على كتاب (شعب الإيمان للبيهقي).



الإيمان، ﴿فللذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾، ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾، ﴿وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾، ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾، ﴿وجوه ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، وهذه الشعب الإيمانية كثيرة، وطرق البر والأجر بها عديدة، وقد أغفل عنها كثيرٌ من الخلق، وقصرت بهم الهمم والإرادات عن

اعلم أيها القارئ الباحث أنه قد صنّف في شعب الإيمان كثيرٌ من الأئمة الأفاضل رحمة الله عليهم أجمعين، بيانا للحق الذي أرسل به رسول الهدى محمد ﷺ، وإرشادا لعامة المسلمين حتى يكونوا على بصيرة من أمر دينهم، وتحقيقا لمعنى الإيمان الذي دعت إليه رسلُ الله عليهم السلام، ليعظم الله معرفته وتوحيدا وعبودية وقصدا، وليتبع الرسول اقتداء وأسوة، ولتؤدّي به الواجبات والمندوبات، وتمنع به المكروهات والمنكرات، وتحفظ الحدود فتقام وترسم، وتضمن الحقوق على الوجه الأتم، وتنتشر الألفة والتواد، ويسود التعاطف بين العباد، على أن مبلغ سعادة البشر حين يجدوا حلاوة

(1) هو الإمام أبو عبد الله حسين بن الحسن الحلي الجرجاني الشافعي المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة 403هـ فيه أحكام كثيرة، ومسائل فقهية وغيرها مما يتعلق بأصول الإيمان، رتبه على سبع وسبعين باباً على أن للإيمان بضعا وسبعين شعباً، واختصره القاضي علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل التبريزي القنوي المتوفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة 729هـ، ونظمه نور الدين الأشموني (المتوفى بعد التسعمائة)، وشرحه شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المتوفى سنة سبع وسبعين وتسعمائة 977هـ. انظر: كشف الظنون (2/1871).

- وللشيخ عبد الجليل القصيري الأندلسي أيضا كتاب سماه (شعب الإيمان) (2).
- والإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة التجيبي الكتاني الطليطلي كتاب سَمَاهُ (كتاب النصائح) (3).
- والإمام أبو حاتم بن حيان وسَمَاهُ (وصف الإيمان وشعبه).
- والإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي.
- قال في (كشف الظنون) (1048/2) " (شعب الإيمان) رسالة للشيخ محيي الدين محمد بن علي بن عربي المتوفى سنة 638، ثمان وثلاثين وستمئة. أوله: (الحمد لله الذي نور ضمائر أرباب الدين بأنوار الإسلام ... إلخ). وسماه: (تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان)".
- وقال في (كشف الظنون) (263/1) أيضا: "وكتاب البيان في تقرير شعب الإيمان لخصه بخشائش بن حمزة الرومي".
- (تنبيه الوسنان إلى شعب الإيمان) للشيخ زين الدين: عمر بن أحمد الشماخ الحلبي المتوفى سنة 936، ست وثلاثين وتسعمائة. وهو مختصر: (مورد الظمان) من تأليفه. أفاده في (كشف الظنون) (488/1).
- (شعب الإيمان لأبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين (ت385هـ)).
- (شعب الإيمان) لمحمد بن محمد الأنصاري المالقي (ت754هـ).
- وللحافظ مرتضى الزبيدي كتاب بعنوان (عقد الجمان في بيان شعب الإيمان)، مخطوط في الأثرية 307528، وله نسخة بالمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض رقم الحفظ: 3117/2 مجاميع، كما أفادته خزانة التراث (59441).

ومن الكتب المغربية المهمة في ذلك:

- (شعب الإيمان) لأبي محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي القرطبي القصري (المتوفى سنة 608هـ) نعتة الزبيدي في (التاج) بالإمام. وأشار الزركلي (276/3) إلى كونه مخطوطا في خزانة الرباط 208 أوقاف و512ك)، وقد ذكره السخاوي في (الضوء اللامع) (69/11) والتنبكتي في (نيل الابتهاج) (335).

وهذا التصنيف اللطيف الذي نقدّم له، من آثار شيخ الإسلام الإمام سراج الدين أبي حفص البلقيني، وقد اعتمدتُ في إخراجهِ على

- نسختين خطيتين:
- الأولى: نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، وتقع في وريقات متطايرة، إلا أنها كاملة تامة، وهي ضمن مجموع رقم: 2632.
- الثانية: مصورة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم: 977 وهي نسخة الظاهرية (ضمن مكتبة الأسد) دمشق-سوريا رقم الحفظ: 29 (32)/3769 وعنها مصورة أيضا بمكتبة المخطوطات - الكويت رقم الحفظ: 517 ورقم: 606 م ك مج1.
- وله نسخٌ أخرى في العالم لا بأس أن نشير إليها:
- من خزانة التراث (11202) و(39912):
- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، رقم الحفظ: 0228ف.
- المكتبة المركزية بمكة المكرمة رقم الحفظ: 642/1.
- والله عز وجل أسأل أن ينفع بهذا التصنيف الخاص والعام.

طبقات الكتاب

- سبق لكتاب (ترجمان شعب الإيمان) أن نشرته دار العلوم والحكم بدمشق سوريا عام 1424هـ/2004م، ط1، تحقيق (جامع التراث): د. سعود بن عبد العزيز الدعجان. وقد رجعنا إلى هذه النشرة واستفدنا منها.
- ومن الجدير أيضا بالذكر أن الباحثة الشيخ مشهور حسن سلمان قد شرع في جمع تراث البلقيني في مشروع الأعمال الكاملة، وقد أفدناه بنسخة الجزائر، وهذا تكملة للغرض. وفقه الله وإيانا.
- وبين يديك الآن تصنيف الإمام شيخ الإسلام سراج بن أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي المصري، فقد من الله بميلاده سنة أربع وعشرين وسبعمئة، بكر به أبوه في طلب العلم فحفظ متونا كثيرة بعد حفظه
- الكلام حول كتاب ترجمان شعب الإيمان
- نُسب كتابُ (ترجمان شعب الإيمان) جريا على الخطأ لابن الملحق سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى سنة 804هـ) (4)، ونسبه للبلقيني جماعة من الباحثين، منهم:
- حاجي خليفة في كشف الظنون (397/1)، قال: أوله: "الله أحمد لا إله إلا هو... إلخ".
- عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (284/7).
- أحمد بن سليمان بن يوسف العريني، محقق شرح الفصول المهمة في موارث الأمة للبرد الشهير بسبط المارديني

(2) العلامة الزاهد العابد أبو محمد عبد الجليل بن موسى الأنصاري الأندلسي القصيري، كان مقدما في علم الكلام مشاركا في فنون، عمل تفسير القرآن، وكتاب شعب الإيمان، وكتاب المسائل والأجوبة، كان صاحب زهد وتبتل، توفي بسنة سنة ثمان وستمئة. سير أعلام النبلاء (420/21) (22/12).

(3) الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم التجيبي مولاها الكتاني الطليطلي، كان من أهل العلم والفهم والعقل والدين المتين والزهد والبعد عن السلطان لا تأخذه في الله لومة لائم، توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمئة. سير أعلام النبلاء (80/16) (108/16).

(4) انظر: "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" لابن الملحق تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، طبع: دار النوادر، دمشق-سوريا 1429هـ/2008م. (330/1). جاء في المقدمة: كُتِبَ نسبته إلى ابن الملحق وليست له: (1) التأديب في مختصر التدريب. (2) ترجمان شعب الإيمان. نسبهما له إسماعيل باشا في "هدية العارفين" (791/1) وهما من مؤلفات السراج البلقيني. هـ وقد توارد الناس على نسبته لابن الملحق منهم: محمد رشاد خليفة في كتابه "مدرسة الحديث في مصر: طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة. (ص72). ومنهم أيضا: مصطفى محمود الأزهرى محقق قواعد ابن الملحق أو «الأشباه والنظائر في قواعد الفقه» طبع دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الرياض ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة ط1: 1431هـ/2010م. (15/1).

لكتاب الله تعالى، وأخذ العلم عن العلماء الكبار كتنقي الدين السبكي وجلال الدين القزويني، وصهره الحافظ العلائي، وأثير الدين أبي حيان وغيرهم، وأذنوا له في الإفتاء وهو في سن الخامسة عشر، فاستمر على التدريس والإفتاء والتصنيف حتى وافته المنية في الحادي والثمانين، سنة خمس وثمانمائة، يوم عرفة، وترك من التلاميذ الجهابذة ما لا يحصى عدداً، يكفيك ولداه: جلال الدين عبد الرحمن، وعلم الدين صالح، ومن أتى بعده من ألهم مدة تزيد عن قرنين.

يقول الحافظ الجلال السيوطي في (حسن المحاضرة) (338/1): "لما حججت (وكانت حجّته عام 869هـ) شربت من ماء زمزم، لأمرٍ؛ منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر".

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام أبو حفص سراج الدين البلقيني رحمه الله:

[الله أحمداً لا إله إلا هو الكريم المنان، وأشكره فهو الذي هدانا برحمته للإيمان، ومنحنا من فضله الإسلام والإحسان، وحَبَّبَ إلينا الصفات الكاملة والطاعة والعرفان، وكَرَّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأكمل لنا دينه وبيّنه أكمل بيان، على لسان أكمل الخلق سيدنا محمد المنتخب من ولد عدنان، الذي بعثه الله للعالمين بدين الهدى، وأنزل عليه الكتاب والسنة للتبيان.

صلى الله عليه صلاةً وسلاماً يتكرران بتعاقب الزمان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم فسلك طريق السلامة والأمان⁽⁵⁾، أما بعد:

الله أحمداً لا إله إلا هو، فهذا ترجمان شعب الإيمان ظهر لي من فتح ربنا العظيم وفضله العميم، أدركته على جواب النبي الجليل لسؤال الأمين جبريل عليهما أفضل الصلاة والتسليم، وأعظم البركات والتكريم، المشتمل على بيان الإسلام والإيمان والإحسان الذي به حصل التمام، فذلك كله جملة الدين لكل واحد منها ثلث الخصال [التي سنذكر ونبين، ولنبدأ بذكر الشعب سرداً ليحفظها ويعمل بها من صحَّح ذلك قصداً]:

فنقول أما الثلث المتعلق بإيمان القلب فهو ثلاث وعشرون، وهي:

أن يؤمن بالله ذاته وصفاته وملائكته وكتبه جملة وما اتصل بنا تفصيله، وبجملة القرآن وتفصيله، وأنه كلام الله تعالى المنزل على

نبيه محمد ﷺ الذي أعجز الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله، وأنه هذا المتلو المتواتر، وأن يؤمن برسول الله وأنبيائه، وبأن الرسول المبعوث إليه، وإلى العالمين، نبينا محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين، وبأن سيدنا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي يلزمنا، ويلزم جميع من تبليغه شريعته من جميع العالمين إتباعه، ويؤمن بسنته وبجملة شريعته وما بلغه من تفصيلها، ويؤمن بالقدر كله خيره وشره، [وبفناء الدنيا وهو مقتضى اليوم الآخر على ما جزم به الحليمي والأظهر أن اليوم الآخر والدار الآخرة معنى واحد،] وبالبرزخ [فحمل عليه اللقاء على قولين]، وبأحوال البرزخ من سؤال الملكين وجواب الميت، وبنعيم القبر وعذابه، وبالبعث الآخر، وبالحساب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، ونظر المؤمنين إلى الله عز وجل، وبالجنة والنار، وما ثبت من المغيبات من قصص الجن ونحو ذلك، فهذه ثلاث وعشرون، على تقدير أن يكون الإيمان بصفات الله تعالى شعبة ثابتة، وأن يكون الإيمان بالبرزخ وأحواله واحدة، وأن يكون الإيمان بالحساب شعبة غير الإيمان، وإن ضمنت اثنتين مما ذكر إلى ما يلائمهما، فالشعب إحدى وعشرون، وإن لم تضم من ذلك شيئاً، وجعلت الإيمان بالبرزخ وأحواله اثنتين وأضفت إلى ذلك المعرفة واليقين لأنك تعرف فتؤمن وتتيقن، كانت الجملة ستاً وعشرين، وإذا جعلت المعرفة واليقين واحداً كانت خمسا وعشرين، ويظهر أثر ذلك في الجملة كما سيأتي.

والأقرب أن المعرفة واليقين من قسم الإحسان المشار إليه بقوله ﷺ: **«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**، فإن ذلك فيه الإشارة إلى المعرفة واليقين.

وأما كراهة الكفر والفسوق والعصيان وإنكار ما يلقى الشيطان من العظام للإنسان بالسوسة، فذلك من قسم الإحسان.

وأما الكفر بما عبد من دون الله فهو مستلزم للإيمان بالله وحده، فلذلك لم تعد من الشعب. وأما الثلث المتعلق بالأعمال الظاهرة فثلاث وعشرون:

الأولى: الشهادة لله عز وجل بأنه لا إله إلا هو، وإذا انضم أعلى شعب الإيمان وهو الإيمان بالله إلى أعلى ما يظهر من الأعمال كان أعلى الشعب لا إله إلا الله، وكذا صح عن النبي ﷺ.

الثانية: الشهادة نطقاً للنبي محمد ﷺ بالرسالة العامة، وهاتان الشعبتان لا بد من النطق بهما لمن يمكنه النطق، وبهما يحصل أركان الإسلام ظاهراً، وهما الركنتين الأعظم من أركان الإسلام الخمس، وبهما مع الذي تقدم من المعتبر في الإيمان، يحصل الإسلام النافع، والإيمان النافع، ويطلق على من وجد ذلك منه مؤمناً ومسلماً، حيث لم يخل بتعظيم ما يعظمه معتبر في صحة الإيمان والإسلام، فإذا أتى بكل الأعمال فهو المؤمن الكامل، والمسلم الكامل.

ومن الشعب الظاهرة: الطهارة الصغرى والطهارة الكبرى، ويتفرع من هاتين الشعبتين الكلام على ما يتطهر به، وأنيته، وبدله عند الفقد، وكيف يفعل عند عدم الكل، والأسباب الموجبة للطهارتين المذكورتين، وينجر إلى الطهارة عن النجاسة والكلام عليها، وطهارة البدن والثوب، والموضع والاستنجاء، وإزالة الأوساخ، وذكر الطهارات المسنونة.

الخامسة: الصلاة وهي الخمس التي هي إحدى أركان الإسلام، ومنها الجمعة، وينجر ذلك إلى الجماعة، وإظهارها في المساجد، ثم يتفرع من هذه الشعبة الصلوات المشروعة كلها حتى المندوبة، والجنابة وأتباعها، وقيام شهر رمضان، وقيام ليلة القدر، والرواتب، وقيام الليل، ولها شعائر وتتمات وشرائط وأحوال معروفة في الفقه عُقد لها كتاب الصلاة تحته أبواب إلى الزكاة، وفي ذلك صلاة العيدين والخسوفين والاستسقاء.

السادسة: الزكاة، وأبوابها معروفة، ونصوبها مبينة في السنة الصحيحة، ويتفرع منها زكاة الفطر، ومن تمام هذه الشعبة صرفها إلى مستحقها على الوجه المطلوب شرعاً، وذلك معروف في قسم الصدقات، ويجر ذلك إلى صدقة التطوع.

السابعة: صيام شهر رمضان، ويتفرع عن ذلك قضاؤه، وما وجب من الصيام بسبب فدية أو كفارة أو نذر، وينجر إلى صيام التطوع. وعد الحليمي⁽⁶⁾ الاعتكاف شعبة مستقلة، وفيه نظر، فليذكر في شعبة الصوم لأن الغالب على اعتكاف النبي ﷺ كان في شهر رمضان المعظم، ثم لازم الاعتكاف في العشر الأخير منه حتى توفاه الله عز وجل.

الثامنة: حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

(5) كل ما يرد بين [] فهو ملحق من نسخة الظاهرية.

(6) شعب الإيمان للحليمي (423/3) تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول. الطبعة الأولى دار الكتب العلمية 1410هـ.

التاسعة: الاعتماد ويتفرع من هاتين الشعبتين إحياء الكعبة بالزيارة والطواف وغيرهما، وينجر الكلام إلى التطوع بذلك والهدي والقلائد.

العاشرة: الجهاد.

الحادية عشر: المراقبة، ويتفرع منها إعداد الأسلحة والخيول وتعلم الرمي والحرب والمسابقة والمناضلة والثبات للعدو عند الالتقاء مع الذي يتعلق بذلك.

الثانية عشر: أداء خمس المغنم ويتفرع منها الفيء والمغانم، فحقوق ذلك كله.

الثالثة عشر: أداء حقوق الله عز وجل من كفارة ونذر ونحوهما، ويتفرع من ذلك إقامة الشعائر بذبح الأصاحي والعقيقة ونحو ذلك.

الرابعة عشر: الهجرة، ويتفرع من ذلك هجر الفواحش كلها ما ظهر منها وما بطن، ويتناول ذلك النفوس والجناية عليها، ويدخل في الجناية الأطراف والمعاني وغيرها، والقروح إلا ما أبيح له، وأموال الناس إلا بطريق شرعي، ودخل في تحريم الأموال السرقة والنهبة وقطع الطريق والاختلاس والخيانة والرشوة، ودخل فيما تقدم الأعراض المحرمة، ويتناول ذلك كل محرم من كبير وصغير، حتى في العبادات كالصلاة قبل وقتها عمدا مع العلم بالحال، والصلاة للنهي عنها في أوقات النهي، وصوم العيدين والتشريق والشك إلا فيما استثنى، وصلاة الحائض والنفساء وصومهما، وصلاة المحدث والجنب حيث لم يوجد إذن شرعي. ومن المحرم الذي يهجر الوطء في الحيض والنفاس والإحرام والاستبراء، وغير ذلك مما هو مقرر في الشريعة، والغش في المعاملات وغيرها، وسيأتي تتمته في النصيحة. ومن المحرم أشياء في الملابس والفرش والأواني والملاعب والملاهي وينجر ذلك إلى اجتناب المكروه وهو كثير.

الخامسة عشر: إقامة الإمام، ويتفرع منها الحكم بين الناس، ونصب من يكون أهلا لذلك من القضاة والولاة والمحاسبين وغيرهم، وطاعة أولي الأمر، ورد الأمور إلى أوامر الله ورسوله ﷺ والرضا بذلك الأمر والتسليم من غير حرج.

السادسة عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه نصره المظلوم، وإغاثة الملهوف، والتعاون على البر والتقوى.

السابعة عشر: العدل وهو يتناول عدل الأئمة والسلطين والقضاة وولاة أمور الناس، والعدل بين الزوجات وبين الأولاد ونحو ذلك، مما هو مقرر في الشريعة، وبتمام العدل تحصل الاستقامة.

الثامنة عشر: لزوم الجماعة، ويتفرع من ذلك الالتزام بالإجماع، فإذا انضم ذلك إلى الكتاب والسنة، كان ذلك أدلة الشرع، وينشأ منها الاعتبار والقياس، وهذه الأربعة أدلة الفقه. وبسط الكلام عليها وعلى متعلقاتها أصول الفقه.

التاسعة عشر: الوفاء بالعهد، وينجر ذلك إلى الكلام على الأمان والذمة والهدنة.

العشرون: الأمانة، وينجر ذلك إلى الوديعة وما تحت يد الإنسان مما يؤتمن عليه بولاية شرعية على يتيم أو وقف، ويدخل في هذه الشعبة القراض والشركة والوكالة وغيرها.

الحادية والعشرون: الصدق.

الثانية والعشرون: كف الأذى عن الناس، وأعله كف الأذى عن قال لا إله إلا الله، بتمامه المعتبر، ولا يكفر بالذنوب.

الثالثة والعشرون: قول الخير، ومن ذلك الأذكار على ما جاء فيها من الأخبار والآثار، وترك ما لا يعني، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون الآية (1-2-3)]، وصح عن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ﴾ (7)، وعلى ترك الكلام فيما لا يرضي الله تعالى.

[يحمل على العي من شعب الإيمان، وسيأتي، وإذا أخذت ما أضفناه في بعض الشعب ورددت إلى خمس وعشرين أو إلى ست وعشرين، أو اختصرت إلى إحدى وعشرين ظهرت لك المقاصد في العد وحمل الروايات التي سنذكر].

وأما الثلث المتعلق بالإحسان المشار إليه بقوله ﷺ: ﴿أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ﴾ وفي رواية: ﴿أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ﴾ الحديث، [وسيأتي بتمامه] وخصاله ثلاث وعشرون:

المعرفة واليقين: المشار إلى ذلك بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومنهم من عد ذلك شعبتين.

التوبة والخوف: ويتفرع من ذلك المراقبة والتفكر في وعيده وعظمته وملازمة ذكره والخشوع والخضوع والإخلاص المحض.

الرجاء: ويتفرع منه الثقة بوعده مع القول في

الدعاء، وشروطه وآدابه وأحواله.

الورع: [ويتفرع منه ترك ما استتراب]، ويتفرع منه التورع في المطاعم والمشارب والملابس والمساكن وغير ذلك.

الزهد: ويتفرع منه قصر الأمل.

القناعة: ويتفرع منها الاقتصاد في النفقة وغيرها، مما يطلب فيه الاقتصاد والرفق.

الصبر: ومنه الصبر على ما يصيبه عند أمر بمعروف أو نهى عن منكر، والصبر على المصائب التي ترد عليه وغير ذلك.

الشكر: ويتفرع عليه الفكر في نعمة الله عز وجل وتأملها.

الرضى [و] التوكل: ويتفرع منها التفويض والتسليم والاعتصام به، وينجر ذلك إلى القول في التداوي والاسترقاء، وسائر الاحترازا، وأن لا عدوى ولا طيرة.

[حب الله تعالى]: وإعظامه وإجلاله، وإعظام كتبه وآياته.

حب النبي ﷺ: وإعظامه وإجلاله وتوقيره، وإعظام الأنبياء والملائكة وحبهم.

وحب أصحاب النبي ﷺ: من العشرة والمهاجرين والأنصار، وبقية الصحابة.

أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويدخل فيه أن يحب له الخير، وترك المنكر، وأن يستر عليه إذا وقع في ذنب ويدراً عن عرضه، ويتفرع من هذه ترك الغل والحسد إلا الغيبة المستثناة.

الحب في الله تعالى والبغض في الله تعالى: ويتفرع من هذه مباحة الكفار والمفسدين والإغلاظ عليهم. والغيرة على طلب العلم ونشره وتلاوة القرآن وإدمان ذلك، وما يتعلق بأبوابه وفصوله.

كراهة الكفر والفسوق والعصيان: وإنكار ما يليقه الشيطان من العظائم بالوسوسة للإنسان، ويتفرع من ذلك السرور بالحسنة، والاعتظام بالسيئة، والشح بالدين. (8)

النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم: يتفرع منها النصيحة في المعاملات

من بيع وسلم ورهن وقرض وشركة وإجارة ومساقاة ووصية وهبة وغيرها.

البر والصلة: ويتفرع من ذلك الجود والسخاء، وأعله بر الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الضيف والجار والإحسان إليهما، ورحمة الصغير، وتوقير الكبير، وإقراء السلام على من عرفت ومن لم تعرف من المسلمين.

(7) صحيح البخاري (2376/5) تحقيق مصطفى ديب البغا الطبعة الثالثة دار بن كثير اليمامة 1407هـ/1987م. صحيح مسلم (68/1) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار إحياء التراث العربي.

(8) أي التمسك بالدين والمحافظة عليه.

الإحسان إلى الأهل والبنات والأولاد والسادة والممالك: ويتفرع منه فك الرقاب وأنواع القربات، منها عيادة المريض، وتشميت العاطس إذا حمد الله، وإيتاء المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين والسائلين وفي الرقاب، وينجر إلى إعانة المكاتب، وإيقاع الكتابة والتدبير ونحوهما، ومن أعاليه حسن الخلق، وكظم الغيظ ولين الجانب والتواضع. وترك الغضب. وترك المرأء. وإماطة الأذى عن الطريق.

هذه ثلاثٌ وعشرون، فإذا أضفتها إلى ما سبق من ثلاث وعشرين في الثلث الأول وثلاث وعشرين في الثلث الثاني فهي تسع وستون. واعلم أن أدناها إماطة الأذى عن الطريق. [وإذا اختصرت إلى إحدى وعشرين، وأضفت ذلك إلى ما اختصرت في الثلثين السابقين، وجعلت الإخلاص والنية شعبة واحدة غير مختصة بثلاث من الأثلاث، كانت الجملة أربعة وستين، لك أن تجعل أربعة وستين باباً على ذلك، وإذا زدت مما سبق إلى خمس وعشرين أو إلى ست وعشرين على وجه لا ينافي مما سبق في الإيمان كانت الجملة خمسا وسبعين أو ثمانيا وسبعين، ثم تضيف إلى الثمان الإخلاص الشامل لكل لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [سورة البينة الآية 5] فتكون الجملة تسعا وسبعين، وإذا عدتها سبعا وسبعين، جعلت من كل ثلاث خمسا وعشرين ثم تضيف النية والإخلاص شعبتين، فتكون الجملة حينئذ سبعا وسبعين.

ولسنا نعتقد أن أعيان ما ذكرناه هو المراد بالأحاديث، لكن ذكرنا هذه الجملة التي يمكن حمل الأحاديث عليها، على أن ذلك ممكن، لا أنه عين المراد، واخترنا تسعا وستين لأن الوتر في ذلك حسن محبوب، وقد صح في أسماء الله تعالى أنها تسعة وتسعون اسما فتناسبا بالوتر به بتسع وستين، وهي أقل في الاعتراض.

وأحسن من ذلك الجري على أربع وستين، وقد جرى عليه القصري تمسكا برواية أربعة وستين باباً، وستأتي الرواية، وعدّها الحليمي سبعا وسبعين، لكن ذكر أشياء للبحث فيه مجال، مع أن البضع والستين أو السبعين محتمل لكل من احتمالات البضع، ويمكن العدّ مما سبق على كل من الاحتمالات علم بالتأمل.

ولم نجد أحدا عدّها تسعا وسبعين إلا ما حكى عن ابن حبان، وإن كان ممكنا.

والآن فلنذكر حديث جبريل بالسند ليظهر لمقصدا صحيح المستند، ثم نسنده من طريقين كل واحدة من أحد الصحيحين، وقصدنا في ذلك الاختصار فإنه أنفع للحفظ والاعتبار، وقدّمنا للطريقة التي فيها البداية بالإيمان، فتلك لها شواهد من القرآن، والكل متوافق وإنما القصد البداية بالسوابق، فنقول:

أخبرنا الشيخ نجم الدين البغدادي⁽⁹⁾ قال أخبرنا..... قال أخبرني الأزدي⁽¹⁰⁾ قال أخبرنا الجراحي⁽¹¹⁾ قال أخبرنا المحبوبي⁽¹²⁾ قال أخبرنا الترمذي قال حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعي قال أخبرنا وكيع عن كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: "أول من تكلم في القدر معبد الجهني، قال: خرجت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حتى أتينا المدينة، فقلنا: لو لقينا رجلا من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما أحدث هؤلاء القوم، فلقيناه يعني عبد الله بن عمر وهو خارج من المسجد، قال: فاكتفتته أنا وصاحبي، فقلت: يا أبا عبد الرحمن إن قوما يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وأنهم مني برء، والذي يحلف به عبد الله لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما قبل ذلك منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، قال: ثم أنشأ يحدث فقال: قال عمر بن الخطاب كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر،

لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى أتى النبي ﷺ، فألزم ركبته بركبته، ثم قال يا محمد: ما الإيمان؟ قال: {أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره}، قال: فما الإسلام؟ قال: {أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان}. قال: فما الإحسان؟ قال: {أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك}، قال في كل ذلك صدقت، قال: فعجبنا منه يسأله ويصدق، قال: فمتى الساعة؟ قال: {ما المسئول عنها بأعلم من السائل}، قال: فما أمارتها؟ قال: {أن تلد الأمة ربته، وأن ترى الحفاة العراة العالة أصحاب الشاء يتطاولون في البنيان}، قال: عمر فلقيني رسول الله ﷺ بعد ذلك بثلاث، فقال {يا عمر: هل تدري من السائل؟ ذلك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم}."

قال الترمذي: حدثنا أحمد بن محمد قال أخبرنا ابن المبارك أخبر كهمس بن الحسن بهذا الإسناد نحوه بمعناه. وفي الباب عن طلحة بن عبيد الله وأنس بن مالك وأبي هريرة وهذا حديث صحيح حسن قد روي من غير وجه نحو هذا، وقد روي هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ والصحيح هو عن ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ، ذكر ذلك كله الترمذي⁽¹³⁾ في باب ما وصف جبريل للنبي ﷺ، الإيمان والإسلام، وذلك في أبواب الإيمان، وإنما سقنا طريقة الترمذي من أجل أنها من رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وفيها تقديم الإيمان.

(9) الإمام ابن أبي الذر نجم الدين عبد العزيز بن عبد القادر بن أبي بكر بن أبي داود بن أبي الذر محمود بن أبي منصور الربيعي البغدادي المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. تعريف ذوي العلا للإمام تقي الدين الفاسي (ص54) تحقيق شعيب أرنؤوط و أكرم البوشي الطبعة الأولى دار كتاب الصادر بيروت 1998هـ.

(10) الإمام محمود بن القاسم بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن محمد بن مقاتل بن صبيح بن سبع بن عبد الملك بن يزيد بن مهلب ابن أبي صفرة أبو عارم الأزدي القاضي الهروي، كان عديم النظير زهدا و صلاحا وعفة، و لم يزل على ذلك من ابتداء أمره إلى انتهاء عمره، و كان إليه الرحلة من الأقطار لسماع الأسانيد العالية، توفي سنة سبع وثمانين وأربعمائة بهراة. التقييد لأبي بكر البغدادي(1/462) تحقيق يوسف الحوت الطبعة الأولى دار الكتب العلمية 1408هـ.

(11) الإمام القاضي المحدث أبو الحسن الجراحي علي بن الحسين البغدادي المتوفى سنة خمس و سبعين و ثلاثمائة. شذرات الذهب لابن العماد(3/205) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. طبعة دار الكتب العلمية.

(12) الإمام أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي بن الفضيل التاجر المحبوبي، توفي سنة أربعين وثلاثمائة. سير النبلاء (315).

(13) سنن الترمذي(6/5).

وقد أخرج الحديث مسلم في صحيحه لكن بتقديم الإسلام، وقد أخرج البخاري ومسلم حديث جبريل من طريق أبي هريرة لكن في ذكر الإسلام: **{أن تعبد الله عز وجل ولا تشرك به شيئاً}**، ولم يذكر فيه الحج، ولا في الإيمان الكتب، وجمع بين اللقاء والبعث.

أخرجه البخاري في أول موضع من كتابه في ترجمة سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، وبيان النبي ﷺ له، ثم قال: **{جاء جبريل يعلمكم دينكم}**، فجعل ذلك كله ديناً، وحينئذ فلنذكر الحديث بسندنا من طريق البخاري.

أخبرنا الشيخ المسند أبو علي عبد الرحيم المعروف بابن شاهد الجيش⁽¹⁴⁾، قال أخبرنا المشايخ الثلاث: بن عزون⁽¹⁵⁾ وبن رشيق⁽¹⁶⁾ وأبو العباس أحمد بن علي بن يوسف الدمشقي⁽¹⁷⁾ قالوا أخبرنا أبو القاسم البوصيري وأبو عبد الله الأرتاحي، قال البوصيري: أخبرنا محمد بن بركات بن هلال النحوي⁽¹⁸⁾، وقال الأرتاحي⁽¹⁹⁾، أخبرنا أبو الحسن الفراء الموصلي⁽²⁰⁾ قالاً أخبرتنا كريمة المروزية، قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكي بن محمد بن زراع الكشميهني⁽²¹⁾ قال أخبرنا الفربري⁽²²⁾، قال أخبرنا البخاري قال حدثنا مسدد، قال أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، قال أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: "كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان ؟ قال: **{أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث}**، قال: ما الإسلام؟ قال: **{الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان}**، قال: ما الإحسان؟ قال: **{أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك}**، قال: متى الساعة؟ قال: **{ما المسئول عنها بأعلم من السائل}**، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها، وإذا تطاولت رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله **{ثم تلا النبي ﷺ: إنا الله عنده علم الساعة... الآية}**، ثم أدبر الرجل، فقال: ردّوه، فلم يروا شيئاً، فقال: **{هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم}**، فقال أبو عبد الله البخاري: جعل ذلك كله من الإيمان.⁽²³⁾

أخرجه مسلم بمعناه، وفيه: **{وتؤمن بالبعث الآخر}**، وفي رواية لمسلم: "ما الإحسان؟

قال: **{أن تخشى الله كأنك تراه}**"، وفيها ذكر التصديق في الأجوبة الثلاثة.

وأخبرنا الشيخ الإمام العلامة أقضى القضاة شمس الدين محمد الشهير بابن القماح⁽²⁴⁾، قال أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر الواسطي⁽²⁵⁾ قال أخبرنا أبو الفتح منصور بن عبد المنعم⁽²⁶⁾، قال أخبرنا أبو عبد الله الفراوي⁽²⁷⁾ قال أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر الفارسي⁽²⁸⁾، قال أخبرنا أبو أحمد الجلودي⁽²⁹⁾، قال أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن شعبان، قال أخبرنا الإمام أبو

الحسين مسلم بن الحجاج قال حدثني خيثمة زهير بن حرب، قال: أخبرنا وكيع عن كهمس

عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال مسلم: أخبرنا عبيد الله بن معاذ العنبري وهذا حديثه، قال أخبرنا أبي قال أخبرنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

(14) الإمام أبو علي عبد الرحيم بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ست وأربعين وسبعمائة. تعريف ذوي العلا لتقي الدين الفاسي (ص41).

(15) الإمام المسند أبو طاهر بن عبد القوي بن عزون المتوفى سنة ستمائة وسبع وستين. شذرات الذهب لابن العماد (465/5).

(16) الإمام عثمان بن عبد الرحمن بن عتيق بن الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق الربيعي أبو عمرو بن أبي القاسم ابن الإمام أبي الفضائل المالكي المتوفى سنة ست وستين وستمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (168/18).

(17) الإمام أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف الحنفي المعدل، المتوفى سنة اثنتين وتسعين وستمائة. شذرات الذهب لابن العماد (88/6).

(18) الإمام الشيخ العلامة البارع المعمر شيخ العربية و اللغة أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعيد المصري الأديب المتوفى سنة عشرين وخمسائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (456-455/19). شذرات الذهب لابن العماد (520/4).

(19) الإمام الشيخ الثقة الصالح الخبير المسند أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي الثناء حمد بن حامد بن مفرج بن غياث الأنصاري الشامي الأرتاحي المصري الحنبلي الأديب من بيت القرآن والحديث والصالح المتوفى سنة إحدى وستمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (416-415/21). شذرات الذهب لابن العماد (70/5).

(20) الإمام العام الثقة المحدث أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر بن الفراء الموصلي ثم المصري المتوفى سنة عشرة وخمسائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (501-500/19). شذرات الذهب لابن العماد (519/4).

(21) الإمام المحدث أبو الهيثم محمد بن مكي بن محمد بن مكي بن زراع بن هارون المروزي الكشميهني نسبة إلى قرية بمر، المتوفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (491/19). شذرات الذهب لابن العماد (262-261/3).

(22) الإمام المحدث العالم الثقة أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري راوي الجامع الصحيح، وفربر بكسر الفاء وبفتحها قرية من بخارى، المتوفى سنة عشرين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (13-10/15).

(23) صحيح البخاري (27/7).

(24) الإمام العالم الفقيه الشافعي المفتي المدرس الكبير شمس الدين أبو المعالي محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة بن علي بن القرشي المتوفى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. شذرات الذهب لابن العماد (309/6).

(25) الإمام ابن برهان العدل الصدر رضي الدين إبراهيم بن عمر بن مض بن فارس المصري الواسطي المتوفى سنة أربع وستين ومائة. شذرات الذهب لابن العماد (455/5).

(26) الإمام أبو الفتح و أبو القاسم منصور بن عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله ابن فقيه الحرم المتوفى سنة ثمان وستمائة. سير أعلام النبلاء للذهبي (494/21). شذرات الذهب لابن العماد (111-110/5).

(27) الإمام أبو عبد الله الفراوي محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي النيسابوري المتوفى سنة ثلاثين وخمسائة. شذرات الذهب لابن العماد (249/4).

(28) الإمام أبو الحسين عبد الغفار بن إسماعيل بن عبد الغفار بن محمد الفارسي المتوفى سنة تسع وعشرين وخمسائة. شذرات الذهب لابن العماد (246-245/5).

(29) الإمام أبو أحمد محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن منصور الجلودي النيسابوري المتوفى سنة ثمان وستين وثلاثمائة. شذرات الذهب لابن العماد (3178).

داخل المسجد فاكثفتها أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: "أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون (30) العلم وذكرنا شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف"، فقال: "إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"، ثم قال: "حدثني أبي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ طلع علينا رجلٌ شديد البياض، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد: أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: {الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً}، قال: صدقت، قال: فعجبنا له بسأله ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: {أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره}، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: {أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك}، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: {ما المسؤول عنها بأعلم من السائل}، قال: فأخبرني عن إمارتها، قال: {أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان}، ثم انطلق فلبث ملياً، ثم قال: {يا عمر أتدري من السائل؟} قلت: الله ورسوله أعلم، قال: {فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم} (31).

إذا علمت ذلك، فأقول وما توفيقي إلا بالله وهو الذي يهدي: إن حديث جبريل وإن كان فيه الإيمان والإسلام والإحسان إلا أن ذلك يشمل الدين، ولذلك قال ﷺ في آخره: {هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم}، ورواية مسلم: {يعلمكم دينكم} في حديث عمر، وفي رواية الترمذي: {يعلمكم معالم دينكم} (32)، وفي هذا إعلامٌ بأن هذه الأمور أعلام الدين ومعالمه، ومنها يتفرع فروعه، فالإيمان الكامل هو الدين، وكذلك الإسلام الكامل، فالمراد بشعب الإيمان الإيمان الكامل، ونفي الإيمان عن عادم بعضها بحيث لا يصير كافراً يدل على وجوب ذلك المعلوم، وأما

من لا يأت ببعض المستحبات فإنه لا ينفي عنه الإيمان بسبب عدم ذلك المستحب، ولكن يكون الآتي به قد فضل في إيمانه، فإثبات الكمال فيه وجب للجميع، ونفيه يكون بترك الواجب، ولا ينفي الإيمان لترك المستحب لانتشار المستحب وكثرته، بخلاف بعض العبادات فإنها قد تنفى بترك المستحب المؤكد نحو قوله ﷺ: {لا صلاة لفد خلف الصف} (33)، عند من يعتقد صحة صلاته، وأن ذلك مستحب مؤكد إذ الإيمان نفسه التصديق، وشرعاً: تصديق خاص وهو النافع مع النطق بالشهادتين، وكماله التصديق والأعمال، والإسلام نفسه الانقياد، وشرعاً في الظاهر انقياد خاص بأعمال ظاهرة، ونافعاً في الآخرة، المشتغل على التصديق وكاملاً المشتغل على ذلك مع فعل الخيرات، وترك المنكرات واللغو، فكان الإيمان والإسلام باعتبار الكمال أو النفع مستويين في إطلاق أحدهما مكان الآخر، وعلى ذلك تحمل الآيات والأحاديث التي تدل على استوائهما، وعلى الكامل يحمل حديث شعب الإيمان، وإدخال أمور قدم بأنها من الإسلام في عد شعب الإيمان، وعلى ذلك بنينا أمر هذا الترجمان.

ويطلق المؤمن على المسلم من جهة أن التصديق شرط صحة الإيمان، وعلى معانها الشرعية حيث لم يوجد الحمل ما جاء بما يقتضي تغييرهما، نحو قوله تعالى: ﴿قالت

الأعراب أمنّا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [سورة الحجرات الآية 14]، وحديث سعد في الذي ترك النبي ﷺ إعطائه، فقال له سعد: "يا رسول الله: مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً"، فقال النبي ﷺ: {أو مسلماً}، وهذا حديث صحيح (34). والآية والحديث حجة لنا على المعتزلة حيث ذهبوا إلى أن الإيمان في الشرع فعل الواجبات، وعلى الكرامية وبعض المرجئة الذاهين إلا أن الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب (35).

ومما يرد مذهبهم الفاسد إجماع الأمة على إكفار المنافقين، وإن كانوا قد أظهروا الشهادتين، قال الله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ إلى قوله: ﴿وتزهد أنفسهم وهم كافرون﴾ [سورة التوبة الآية 84].

وأما ما حكى عن الزهري رحمه الله من أن الإسلام "الكلمة، والإيمان العمل" (36)، فهو غير موافق لقول المعتزلة لأن المراد إن كان عمل القلب وهو التصديق الذي يطلق عليه الإيمان شرعاً، فهذا ليس هو قول المعتزلة، بل هو قول لأهل السنة، وإن كان المراد عمل القلب وعمل الجوارح، فهو الإيمان الكامل، فيكون كلامه محمولاً عليه.

(30) بتقديم القاف على الفاء أي يطلبونه، وفي رواية مسلم: ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتفكرون العلم. قال النووي: هو بتقديم القاف على الفاء معناه يطلبونه ويتبعونه، هذا هو المشهور. وقيل معناه يجمعونه، ورواه بعض شيوخ المغاربة من طريق ابن مهران يتفكرون بتقديم الفاء وهو صحيح أيضاً معناه يبحثون على غامضه ويستخرجون خفيه، وروي في غير مسلم: يتفقون بتقديم القاف وحذف الراء وهو صحيح أيضاً ومعناه أيضاً يتتبعون.

(31) صحيح مسلم (36/1).

(32) سنن الترمذي (6/5).

(33) صحيح بن خزيمة (30/3) تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي بيروت 1390هـ، صحيح بن حبان (579/05) تحقيق شعيب الأرنؤوط، السنن الصغرى للبيهقي (390/1) تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة دار المدينة المنورة الطبعة 1. السنن الكبرى للبيهقي (105/03) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار بن باز مكة المكرمة 1414هـ/1994م.

(34) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: أو مسلماً، فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالاتي، فقلت: مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال: أو مسلماً، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالاتي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار. صحيح البخاري (18/1) (538/2)، صحيح مسلم (132/1) (538/2).

(35) شرح مسلم للنووي (147/1) الطبعة الثانية دار إحياء التراث العربي 1392هـ.

(36) سنن أبي داود (220/4)، عون المعبود (287/12) لعبد العظيم الآبادي الطبعة الثانية دار الكتب العلمية 1415هـ. تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، طبعة وزارة العموم والأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب 1387هـ. تحفة الأحوذني (290/7).

وكذلك يحمل على الإيمان الكامل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال الآية 2]، الآية وقول النبي ﷺ: { لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن }⁽³⁷⁾، الحديث، وكذلك ما جاء نحو ذلك، فإنه محمول على الكامل، وعلى ذلك يحمل قول الإمام الشافعي (رضي الله عنه): الإيمان قول وعمل ونية، بهذا الاعتبار كان حديث: {إنما الأعمال بالنيات}، يدخل فيه ثلث فتنه الإيمان المتعدي بالباء نحو قوله: الإيمان بكذا، وفعله: أمنت بكذا، خلافا لبعضهم، ووجه التغاير أن المتعدي بالباء معناه التصديق بوجود ذلك الشيء وإثباته، والمتعدي باللام معناه الإتيان والطوعية، فالإيمان بهذا الاعتبار مساويا للإسلام، وكذلك تقول: أسلمت له، ولا تقول: أسلمت به، قال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لربِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة الآية 131] فشعب الإيمان بهذا الاعتبار تعم المتعدي بالباء، والمتعدي باللام.

إذا تقرر ذلك فليُسق حديث الشعب من الصحيحين، ثم نبين بتنزيل الشعب على حديث جبريل عليه السلام، فأما حديث الشعب فرويناه من طريق البخاري⁽³⁸⁾ بالسند المتقدم إليه، قال في باب أمور الإيمان، وقول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. [سورة البقرة الآية 177]

وقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية⁽³⁹⁾. حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا أبو عامر العقدي قال حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان}. ورويناه من طريق مسلم بالطريق المتقدم إليه قال أخبرنا عبيد الله بن سعيد وعبد بن حميد قالا حدثنا أبو عامر العقدي ونفسه السند والحديث وفيه جزما: {الإيمان بضع وسبعون شعبة}.

ثم قال مسلم: أخبرنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: {الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان}، كذا وقع في صحيح مسلم من رواية⁽⁴⁰⁾ سهيل على الشك {بضع وسبعون} و{بضع وستون} وقد رواه غير مسلم من رواية سهيل بن أبي صالح {بضع وسبعون} من غير شك، ووقع في الترمذي من رواية سهيل بالجزم: {بضع وسبعون} فأما في رواية عمارة بن غزية: {أربعة وستون}، فإننا أخبرنا بذلك الشيخ نجم الدين البغدادي بالسند المتقدم إلى الترمذي قال حدثنا أبو كريب محمد ابن العلاء قال حدثنا وكيع عن سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: {الإيمان بضع وسبعون بابا، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله}، هذا حديث حسن صحيح.

قال الترمذي: وروى عمارة بن غزية هذا الحديث، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: {الإيمان أربع وستون بابا}. قال: حدثنا بذلك قتيبة حدثنا بكر بن مضر عن عمارة بن غزية عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. هذا ما ساقه الترمذي⁽⁴¹⁾. واختلف المحدثون في الترجيح بين هذه الروايات، فمنهم من رجح رواية الأقل، ومنهم من رجح رواية الأكثر، وعلى ذلك جرى الحلبي لأن الحكم لمن حفظ الزيادة. والبضع بكسر الباء على المشهور، وقد تفتح، وهو ما بين الثلاث والعشر، وقيل من ثلاث إلى تسع، وقال الخليل: "البضع تسع، وقيل ما

بين اثنين إلى عشرة، وما بين اثنين عشر إلى عشرين، واختاره بعضهم، ولكن الأول أشهر عند أئمة اللغة، قال الجوهري: "ولا يقال بضع وعشرون"، قلت: والحديث الصحيح المذكور في بضع وستين وبضع وسبعين يرد ما قاله الجوهري⁽⁴²⁾. والشعبة هي القطعة من الشيء، فمعنى الحديث: "بضع وستون خصلة".

قال ابن حبان: "وتتبع معنى هذا الحديث مدة، وعددت الطاعات فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئا كثيرا، فرجعت إلى السنن، فعددت كل طاعة عدها رسول الله ﷺ من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فرجعت إلى كتاب الله تعالى فقرأته بالتدبر، وعددت كل طاعة عدها الله جل وعلا من الإيمان، فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين، فضمت الكتاب إلى السنن وأسقطت المعاد، فإذا كل شيء عده الله عز وجل ونبيه ﷺ من الإيمان تسع وسبعون شعبة لا تزيد ولا تنقص، فعلمت أن مراد رسول الله ﷺ أن هذا العدد في الكتاب والسنن".

وذكر ابن حبان جميع ذلك في كتاب (وصف الإيمان وشعبه)، ولم أر هذا الكتاب، وإنما حكى هذا الكلام عنه، وكنت أود لو وقفت على كتابه المذكور، وأنظر ما قرر فيه من الأمور⁽⁴³⁾، ولكن الفتح الرباني عن ذلك كله أغنانني، وقد بسطت القول على ذلك في التصنيف الكبير⁽⁴⁴⁾، فليُنظر فإنه مفيد نفع الله به آمين.

تم كتاب (ترجمان شعب الإيمان) بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(37) صحيح البخاري (2/875-936) (5/2120) (6/2487-2489-2497-2498).

(38) صحيح البخاري (12/1).

(39) فتح الباري لابن حجر (51/1) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي و محي الدين الخطيب. طبعة دار المعرفة ببيروت 1379هـ.

(40) صحيح مسلم (1/62-63).

(41) سنن الترمذي (5/11) تحفة الأحوزي (7/301).

(42) لسان العرب لابن منظور (8/13).

(43) لخص الحافظ ابن حجر الكلام تلخيصا نفيسا انظره في فتح الباري (1/51-52).

قال: ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان لكن لم نقف على بيانها من كلامه وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن... إلخ.

(44) لعله: الفيض الجاري على صحيح البخاري أو شرح صحيح البخاري، أو أن الإشارة تدل على كتاب للمصنف عنوانه: شعب الإيمان، هو أصل هذا الترجمان المختصر منه.

خُطْبَتَانِ لرمضان

من ديوان الخطيب الشيخ الصالح بن مهنا القسطيني

إعداد | هارون بولقرينات آل باشا

الخطبة الأولى

الحمد لله الَّذِي أَجْزَلَ الثُّوَابَ لِلصَّائِمِينَ، وَغَفَرَ
بِفَضْلِهِ الذُّنُوبَ لِلْقَائِمِينَ، أَحْمَدُهُ أَنْ ضَاعَفَ
فِي رَمَضَانَ الْعَمَلَ لِلْعَامِلِينَ، فَجَعَلَ التَّسْبِيحَةَ
فِيهِ بِأَلْفٍ لِلْمُسَبِّحِينَ، فَسَبَّحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ يَصَلِّي
هُوَ وَمَلَائِكَتُهُ عَلَى الْمُسَجِّرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
فِي مَقَامِ الْمَدْحِ: ﴿وَالصَّائِمِينَ﴾¹، وَأَشْهَدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، الَّذِي كَانَ أَجُودَ
بِالْخَيْرِ، وَأَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ
يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ، الْقَائِلُ: {قَالَ لِي جَبْرِيلُ:
"مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ
اللَّهُ"، فَقُلْتُ: "أَمِينٌ"، فَقُلْتُ: "أَمِينٌ"}²؛
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ،
أَمَّا بَعْدُ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ تَرْمِضُ فِيهِ
الذُّنُوبُ وَتُحْرِقُ، وَيُغْفَرُ فِيهِ لِلصَّائِمِ وَيُعْتَقُ،
وَتُفْتَحُ فِيهِ الْجَنَانُ وَتَعْبَقُ، وَتُسَدُّ فِيهِ أَبْوَابُ
النَّيِّرَانِ وَتُغْلَقُ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ الْمَرِيدُ، وَيَغْتَنَمُ
فِيهِ الْمُرِيدُ، وَيُتَحَقَّقُ فِيهِ طَرْدُ الطَّرِيدِ، وَيُنَالُ
فِيهِ الطَّائِعُ مِنَ اللَّهِ الْمَزِيدَ، تَبْرُزُ فِيهِ الْحُورُ،
وَتُرْخَفُ فِيهِ الْقُصُورُ، وَتُضَاعَفُ فِيهِ الْأَجُورُ،
وَتُرْفَعُ فِيهِ الْحُجُبُ وَالسُّتُورُ، وَتَشْرِقُ فِيهِ
الْأَنْوَارُ، وَتَصَفَّقُ فِيهِ وَرَقُ الْأَشْجَارِ، وَتَحْطُّ
فِيهِ الذُّنُوبُ وَالْأَوْزَارُ، وَيَنْظُرُ إِلَى عِبَادِهِ الرَّبُّ
الْغَفَّارُ، وَتَسْتَغْفَرُ لِلصَّائِمِينَ الْحَيَاتَانِ، وَتَقِفُ
الْحُورُ عَلَى شُرَفِ الْجَنَانِ، وَيُنَادِينَ: "يَا
رِضْوَانُ، هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ؟"³.
فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَأَرَوْا اللَّهَ خَيْرًا مِنْ
أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَى تَنَافُسِكُمْ،
وَإِنَّمَا يَتَنَافَسُ فِيهِ مَنْ كَانَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،
فَقَدِّمُوا إِلَى رَمُوسِكُمْ، وَاغْتَنِمُوا هَذَا الْفَضْلَ
الْعَظِيمَ، وَقَوِّمُوا أَنْفُسَكُمْ أَعْظَمَ تَقْوِيمٍ،
وَاسْلُكُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ: ﴿وَمَا تَقْدَمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ
وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾⁴.



- 1 الأحزاب: 35.
 - 2 أخرجه أبو يعلى في "المسند" (5922)، وابن حبان في "صحيحه" (907) من طريق أبي معمر الهذلي، ثنا حفص بن غياث، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده حسن لأجل محمد بن عمرو بن علقمة، قال الحافظ في "التقريب": "صدوق له أوهام".
 - 3 أخرجه الفاكهي في "أخبار مكة" (1575)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (3421)، وفي "فضائل الأوقات" (109) من طريق القاسم بن الحكم العرني، ثنا هشام بن الوليد، عن حماد بن سليمان السدوسي -شيخ لنا يكتن: أبا الحسن-، عن الضحاك بن مزاحم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه مرفوعاً.
 - 4 وأخرجه أبو القاسم التيمي في "الترغيب والترهيب" (1768)، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (880) من طريق عبد الله بن الحكم البجلي، نا القاسم بن الحكم العرني، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً.
- قال ابن الجوزي: "هذا حديث لا يصح".
وقال المنذري: "وليس في إسناده من أجمع على ضعفه".
وقال الألباني في "ضعيف الترغيب والترهيب" (594): "موضوع".
المزمل/ 20.

جاء في الحديث الشريف فيما رواه البخاري في "صحيحه" عن رسول الله ﷺ أنه قال: {فَتَنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ وَالصَّدَقَةُ} ⁵.

وروى مسلم في "صحيحه" عن رسول الله ﷺ أنه قال: {الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرَ} ⁶.

وروى الدليمي بسنده عنه عليه السلام أنه قال: {صَمَتِ الصَّائِمُ تَسْبِيحٌ، وَتَوْفُهُ عِبَادَةٌ، وَدَعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ} ⁷.

الخطبة الثامنة ⁸

الحمد لله الذي عمَّ بفضلِهِ صائمي شهر رمضان، وضاعف لهم الأجور وفتح لهم باب الجنان، أحمده أن جعل الصوم جنةً ووقايةً من العصيان، فسبحانه من إله يثيب على الطاعة بالطاعة والغفران، ويعاقب على المعصية بالمعصية والخذلان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل على عبده: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ ⁹، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، الذي كان إذا دخل العشر الأخير من رمضان شدَّ مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله لطاعة الرحمن، القائل: {الصَّيَامُ وَالْفَرَانُ يَشْفَعَانِ} ¹⁰، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين رفعوا قواعد الإيمان، أمَّا بعد:

فيا أيُّها النَّاسُ؛ قد انتصف شهر الصَّيَام، وتشطَّر شهر القيام، فهل منكم من جاهد نفسه وقام، وتذكَّر الرَّمْسَ فهجر لذيق المنام، وأطعم لله الطَّعام، وصلَّى بالليل والنَّاس نيام، وأكثر ذكر الله الملك العلَّام، هل منكم من أكثر تلاوة القرآن، وسلك سبيل الإحسان، وأرغم أنف العدو الشَّيطان، وحافظ فيه على السنن والأركان.

هل فيكم من قابله بالتَّعْظِيم والإجلال، وأدَّخِر فيه صالح الأعمال، وأفطر فيه على الحلال، وكفَّ اللِّسَان فيه عن قيل وقال؟ هل فيكم من طهَّر قلبه فيه من الأمراض، وصام فيه عن الغيبة والإعراض، وأعرض عمَّا نهاه الله كلَّ الإعراض، واستدرك ما فرط فيه واعتاض؟

هل فيكم من تورَّع فيه عن الحرام، وتنزَّه عن ارتكاب الآثام، وتفقد فيه الضُّعفاء والأرامل والأيتام، واقتدى بنبيٍّ قام حتَّى تورَّمت منه الأقدام؟



المراد من قصدكم، وابتغوا ما كتب الله لكم. جاء في الحديث الشريف فيما رواه البخاري في "صحيحه" عن رسول الله ﷺ أنه قال: {مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ} ¹¹.

وروى مسلم في "صحيحه" عن رسول الله ﷺ أنه قال: {يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّيَامَ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ} ¹².

وروى الدليمي بسنده عنه عليه السلام أنه قال: {الصَّائِمُ فِي عِبَادَةٍ مِنْ حِينَ يُصْبِحُ إِلَى أَنْ يُمْسِيَ مَا لَمْ يَغْتَبِ فَإِذَا اغْتَابَ حَرَقَ صَوْمَهُ} ¹³.

هل فيكم من سرمد فيه العبادة، وفارق فراشه ووساده، وحصل بلغته وزاده، وأفاد خيرا أو استفاده؟ فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا بقيَّة شهركم، فإنَّه قلب السنَّة من عامكم ودهركم، واجتهدوا في العشر الأخير لعَلَّكم تبلغوا

⁵ أخرجه البخاري في "صحيحه" (1895)، ومسلم في "صحيحه" (144) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

⁶ أخرجه مسلم في "صحيحه" (233)، وأحمد في "المسند" (9197)، وأبو عوانة في "المستخرج" (2897) من طريق ابن وهب، عن أبي صخر حميد بن زياد، أن عمر بن إسحاق مولى زائدة، حدَّثه عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁷ أخرجه ابن أبي الصقر في "مشيخته" (46)، والدليمي في "مسند الفردوس" (3760) من طريق أبي عمرو عثمان بن سعيد الوكيل، ثنا شيبان بن فروخ، ثنا الربيع بن بدر الأعرابي، عن أبي المغيرة القوَّاس، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعا. قال الحافظ في "الفتح" (150 - 8/149): "لا يثبت، وقد أورده صاحب "مسند الفردوس" من حديث ابن عمر، وفي إسناده الربيع بن بدر وهو ساقط".

الربيع بن بدر قال فيه ابن معين: "ليس بثقة"، وقال النسائي وغيره: "متروك الحديث". قال الألباني في "السلسلة الضعيفة" (3784): "ضعيف جدا".

⁸ إن لم تصادف ليلة القدر... وإنما تقال هذه الخطبة قبل دخول العشر الأخير. الرحمن/60.

¹⁰ أخرجه أحمد في "المسند" (6626)، والحاكم في "المستدرک" (2036)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (1839) من طريق حيي بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعا.

قال الحاكم: "حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي. قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (3/419): "رواه أحمد والطبراني في "الكبير"، رجال الطبراني رجال الصحيح".

انظر "صحيح الترغيب والترهيب" للألباني (984).

¹¹ أخرجه البخاري في "صحيحه" (1897)، ومسلم في "صحيحه" (1027) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

¹² أخرجه البخاري في "صحيحه" (5927)، ومسلم في "صحيحه" (1151) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

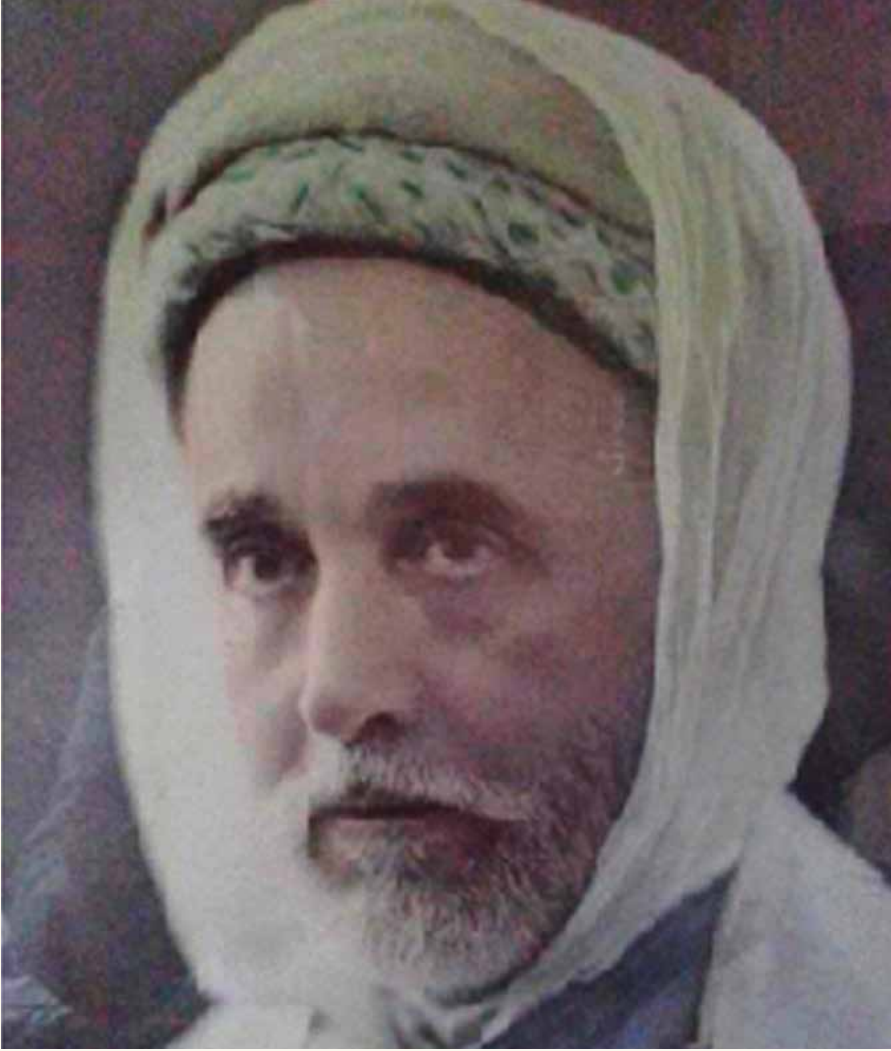
¹³ أخرجه الدليمي في "الفردوس" (3826) من طريق الفضل بن الفضل الكندي، ثنا علي بن سعيد العسكري، ثنا عمر بن مدرك، ثنا محمد بن إبراهيم، عن مقاتل، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا.

قال الغماري في "المداوي" (4/372): "سكت عليه الشَّارح، وهو حديث موضوع، لأنَّه من رواية عمر بن مدرك القاص، وهو كذاب، وقد اختصره المصنَّف وحذف منه ما فيه ركاكة". وانظر "السلسلة الضعيفة" للألباني (3790).

بدايات الوعظ الديني في الإذاعة

من دروس مفتي الجزائر محمد بابا عمر

إعداد | د. أحمد قريق احسن



بعض الأضواء على حياة وثقافة المفتي

المفتي الفقيه المقرئ المحدث شيخ الإسلام بالجزائر وآخر من تولى منصب الإفتاء الرسمي بها شاطبي عصره الوقور الحكيم الامام الخطيب المدرس الواعظ الأستاذ محمد بابا عمر.

اسمه كاملا كما جاء في إجازته للشيخ محمد كتو هو: محمد بن مصطفى بن محمد بن المدني بن الشيخ بابا عمر. كان والده الحاج مصطفى تاليا لكتاب الله عز وجل وحزبا بجامع "ابن سعدون" بالبليدة. وكان للحاج مصطفى أربعة أبناء ذكور. اثنان منهم توظفوا في السلك الديني، أحدهما وهو محمد أصبح مفتيا فيما بعد، والآخر امحمد وكان إماما.

أما أسلافه وباقي أعضاء أسرته فالمعروف على العموم أن العائلة كانت عائلة مثقفة ينتمي الكثير من أعضائها إلى أسلاك القضاء والامامة والتعليم. كما التحق بعضهم بجيش الأمير عبد القادر وشارك في مقاومة الاحتلال.

أما المفتي محمد فقد ولد يوم السبت 22 محرم 1311هـ / 5 أوت 1893م بحي الدويرات - أولاد سلطان بالبليدة ونشأ به. حفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمه بمساجد المدينة على يد علمائها ومشايخها. ومنهم: الشيخ عبد الرحمن بن أحمد زروق (حي 1915م)؛ الشيخ أحمد ابن قدور (ت 1938م)، الذي أجاز تلميذه بابا عمر في "التصانيف العلمية المتداولة في جميع الديار والأقطار"، يقصد بها المتون العلمية المعروفة "كنظم ابن عاشر" و"متن الاجرومية" و"صغرى السنوسي" و"السلم المرونق في علم المنطق" للأخضري⁽¹⁾؛ الشيخ قدور بن علي المهدي البلدي (حي 1339هـ/1921م)، وقد وصف الشيخ بابا عمر ظروف حصوله على الاجازة

من شيخه هذا في رسالته إلى المهدي البوعبدلي وفيها أنها تمت بحضور الشيخ عبد الحي الكتاني وبقلمه إذ أملاها عليه الشيخ المهدي لكونه بصيرا. فيقول المفتي أنه قرأ "ختمة كاملة بالقراءات السبع على أستاذنا المرحوم سيدي قدور بن علي المهدي البلدي مع ما يلزم لذلك من شروح الشاطبية بشرحي ابن القاصح والجعبري وكذلك "غيث النفع في القراءات السبع" لسيد

وفي مدينة الجزائر التقى بالشيخ أمين قدور بن محمد بن عبد الرحمن الامام (1865-1940م)، الذي أجازته. وجاء في نص إجازته: "قد أجزت السيد محمد المذكور

(1) سليم بابا عمر، نبذة عن حياة المفتي محمد بابا عمر بقلم ابنه.

(2) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، قسم المراسلات، دار المعرفة لنشر والتوزيع، 140.

بما صحت به روايتي من سند الصحيحين وغيرهما بواسطة شيخنا المنعم المرحوم سيدي محمد بن أحمد بو قندورة عن أستاذه شيخ الإسلام ومفتي الأئام وخاتمة العلماء الأعلام مولانا علي بن عبد الرحمن المدعو ابن الحفاف عليه سحائب الرحمة والرضوان عن شيخه مولانا محمد صالح الرضوي البخاري ابن خير الله الحسيني قدس الله سره ونفعنا به آمين"، وكان ذلك بتاريخ أوائل ربيع الأول 1358هـ/ جوان 1939م.

كما أجازته كذلك المحدث الشهير محمد عبد الحي الكتاني (1302-1382هـ/ 1884-1962م)، صاحب فهرس الفهارس والأثبات، الذي التقى به بالبليدة يوم الخميس 21 ذي الحجة سنة 1339هـ/ 26 أوت 1921م وأجازته في نفس مجلس إجازة شيخه قدور البليدي، وهي "إجازة عامة مطلقة تامة" بالقرآن وبالقرائات السبع "وبغيرها من الأمور النافعة علومًا وغيرها". كما أجازته في الطريقة الكتانية التي تنتمي إليها عائلته دون طلب من الشيخ بابا عمر⁽³⁾.

وتحصل بالمراسلة على إجازة متأخرة من شيخ الإسلام المفتي المفسر الطاهر ابن عاشور التونسي (1296-1393هـ/ 1879-1973م)، صاحب تفسير "التحرير والتنوير". وهي إجازة في رواية الحديث والعلوم الشرعية.

تقلد الشيخ خلال حياته العملية الطويلة عدة وظائف حملته إلى العديد من مناطق البلاد أو حتى خارجها وجعلته يتحمل مسؤوليات كبرى في عصره. بداية، تشير بعض المصادر أن أباه الحاج مصطفى كان حزابا بجامع بمدينة البليدة. أنشأ بداية مدرسة قرآنية خاصة بالبليدة. ثم تولى عدد من المناصب الرسمية، كان أولها منصب باش حزاب بجامع "ابن سعدون" بالبليدة (1921-1923م)، ثم حزاب بجامع سيدي عبد الرحمن بمدينة الجزائر خلال الفترة: 1923-1925م. ثم انتقل إلى الإمامة بمسجد القبة العتيق (1925-1934م)، والإمامة بالجامع الجديد (1934-1938م)، ونيابة المفتي الحنفي بالجامع الجديد (1938-1941م)، ثم الفتوى على المذهب الحنفي (1941م). وأخيرا انتصب للفتوى على المذهب المالكي سنة 1944م وبقي بهذا المنصب إلى أن وافته المنية.

وخلال حرب التحرير الجزائرية وبعد ثبوت مشاركته فيها والقاء القبض على ابنه البكر سيد علي الذي تم سجنه، انتقل الشيخ بابا عمر إلى باريس بطلب من عميد المسجد السيد حمزة بوبكر. وبقي هناك إلى غاية 1961م حيث عاد إلى مدينة الجزائر. توفي المفتي رحمه الله يوم عيد الأضحى 1396هـ/ 2 ديسمبر 1976م. ودفن بمقبرة سيدي امحمد بو قبرين بحي بلوزداد يوم الجمعة 3 ديسمبر.

حديث الصيام

20 رمضان 1366هـ/ 7 أوت 1947م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على أشرف المرسلين وعلى آل والصحابة أجمعين.

أما بعد فحديث الليلة فيما ورد حول شعيرة الصيام من السهولة والتيسير ومن مطلوبة التخفيف ومراعاة الاحسان في أدائها حتى لا ترهق النفس ولا يدخلها إعنات يوجب الكلل أو يوقع في الملل وهي أحوال أقحمت في الدين اقحاما يظنها بعض الناس اتماما للصيام واحكاما للقاعدة ونهينا عن النعمق في أداء هذا الصيام كما في غيره من سائر العبادات التي ما هي في الحقيقة إلا وسيلة لارتباط القلب بسمي الوصال في تشريف خلال ومناجاة المعبود بالتشريع المعهود ظن البعض أن مجاوزة التوقيت المحدد من حسن الأداء فتجاوزوا الميقات المعلوم في الصوم إلى اشتداد الظلمة وغسق الليل فردّهم البيان النبوي إلى أصل التيسير وإلى القصر على الوارد وللموضوع عقد الامام البخاري ابوابا لأحاديث نبوية شريفة كلها سهولة وكلها رحمة يجب أن تؤتى كما تؤتى أعمال العزائم ثم في يسرها وبهجتها في مسائل الدين قال رحمه الله باب متى يحل فطر الصائم.

وصيغة هطا الاستفهام تقتضي جوابا وهو المعلوم في السياق بغروب الشمس وانه لا يجب امساك جزء من الليل لتحقيق مضي

النهار. وأفطر أبو سعيد الخدري حين غاب قرص الشمس ثم شرح ما في الترجمة بقوله: "حدثنا الحميد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا سفيان وهو ابن عيينة الامام الشهير قال حدثنا هشام بن عروة قال سمعت ابي يقول وأبوه هو عروة بن الزبير بن العوام قال سمعت عاصم بن عمر بن الخطاب عن ابيه رضي الله عنه قال: إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم" ولفظه وان كان يقتضي الخبرة ظاهرا إلا أن معناه الأمر كأنه يقول فليفطر الصائم.

يلي هذا الباب الصريح في هذا الحد المنظم السهل العمل به على كافة الناس بما تقتضيه الفطرة من التعليم بهذه العلاقة المشاهدة للقاصي والداني. أبواب يؤكد بعضها بعضا بل ما يزيد في الترغيب في هذا التعجيل للحصول على ما وعد به من قبل رخصة النبي ﷺ وسرته هذه الكرامة التي لا يردّها إلا لثيم فيقول في باب تعجيل الإفطار عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) ان رسول الله ﷺ قال: { لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر } أي مدة محافظتهم على قواعد العبادة في حدودها امتثالا للسنة المحمدية ووقوفا عند الامر وتباعدا عن التنطع المذموم في الدين فإن التنطع إذا توبع أدى على تغيير قواعد الدين وفي ذلك الافساد المؤذي لأنه تحريف وتبديل ثم الحكمة العالية في الأمر أنه أرفق للصائم وأقوى له على العبادة وقد بين التقرير النبوي فيما رواه أنس (رضي الله عنه) قال: "ما رأيت النبي ﷺ قط صلى صلاة المغرب حتى يفطر ولو كان على شربة ماء".

وفي صحيح مسلم من رواية أبي عطية قال: "دخلت أنا ومسروق على عائشة فقلنا يا أم المؤمنين رجلان من أصحاب النبي ﷺ أحدهما يعجل الإفطار ويعجل الصلاة والآخر يؤخر الإفطار ويؤخر الصلاة قالت: أيهما يعجل؟ قلنا عبد الله بن مسعود قالت هكذا صنع رسول الله ﷺ" واتفق أهل العلم على أن هذا التعجيل مطلوب مرغّب فيه إذا تحقق غروب الشمس بالمشاهدة أو بإخبار عدلين أما إذا كان للتحري وتحقيق الوقت فهو المطلوب.

(3) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة، قسم المراسلات، دار المعرفة لنشر والتوزيع، 141.

هذه تذكرة أيها المستمعون الكرام من ارشاد سيدنا رسول الله عليه صلوات الله تعلم المؤمنين ما لهم وما عليهم وتنير لهم سبيل التقوى في دائرة الطاقة البشرية وبحسب الإمكان في العمل من دون زيادة ولا نقصان وهي الحالة المرضية التي فاز بها من سبقت لهم الحسنى وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

حديث عيد الفطر
من سنة 1367هـ/5 أوت 1948م

الله أكبر الله أكبر
لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد

روى أبو نعيم عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: {زينوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتكبير}.
بغروب الشمس من هذا اليوم انتهى الشهر المبارك، شهر رمضان المعظم، بما ثبت لدى الهيئة الشرعية الإسلامية باجتهادها وتعاونها مع رجال العلم والقضاء والفتوى في سائر القطر الجزائري والله يجازي العاملين ويثيب المحسنين ويعفو عن المفرطين الجاهلين.

وهذه ليلة العيد السعيد عيد الفطر المبارك وهو العيد الذي يفرح له المؤمنون ويحق لهم أن يفرحوا وهذه هي الفرحة الأولى فرحة المؤمن عند الإفطار وهو ما بشرهم به رسول الرحمة ﷺ {للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه} وفي صحيح البخاري في باب سنة العيدين لأهل الإسلام عن البراء (رضي الله عنه) قال: "سمعت النبي ﷺ يخطب فقال: {أن أول ما نبدا به من يومنا هذا ان نصلّي ثم نرجع فننحر فمن فعل فقد أصاب سنتنا}" وفي الباب عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "دخل أبو بكر وعندي جاريّتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعث، قالت: وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر: أمزامر الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك في يوم عيد فقال رسول الله ﷺ {يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا}.

إلى غير ذلك من أحاديث في فضائل وشعائره التي هي المظاهر الجميلة للدين ولنشره بين العباد ولولا هذه المظاهر التي يشارك فيها افراد الامة من سائر طبقاتها لما كان للدين رونقه الجميل وآثاره البادية الوضاعة الواضحة وحتى هذه الاختلافات وتدخل العامة في التحقيق العلمي في اثبات الصيام او الإفطار فهو في نفس الامر حركة دينية واعتناء بأمر الدين ولقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) لا يعيب الصائم

منهم المفطر ولا المفطر منهم الصائم ما لم يخرج حد البحث الفقهي إلى الهمز واللمز وإلى إيذاء المؤمنين بفحش الكلام ومنكر القول والزور ظلماً وعدواناً وكذباً وبهتاناً فنسأل الله التوفيق لسلوك أقوم طريق.

وفي صبيحة هذه الليلة يسارع المسلمون إلى صلاة العيد ويؤدونها في الجماعات الجامعة لطبقات الأمة مهللين مقدسين محمدين معلنين الكلمة الكبرى بالذكر الأكبر الله أكبر ولذكر الله أكبر.

وليس فرح العيد ولا حكمة العيد ان يقتصر الفهم على نفقات خصوصية وتنعمات بدنية دون التفات إلى الانفاق في سبيل الله ولا إلى ذكر الفقراء والمساكين فعن جابر بن عبد الله: "أن النبي ﷺ قام فبدأ بالصلاة ثم خطب الناس بعد فلما فرغ نبي الله ﷺ نزل فأتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء صدقة قلت لعطاء أترى حقا على الامام الآن ان يأتي النساء فيذكرهم حين يفرغ قال ان ذلك لحق عليهم وما لهم الا يفعلوا".

هذه أيها المستمعون كلمة ألقيت عليكم بمناسبة الليلة والله تعالى نسأل ان يجعله عيد فطر مباركا سعيدا على الجميع وان يلهم فيه الخلق رشدهم ويتعاونوا على الخير والفضل والبر والتقوى والإحسان.





كيف نستقبل رمضان؟

الشيخ إبراهيم مقلاتي | مفتش التوجيه الديني والتعليم القرآني - البويرة

الدرس الأول

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ البقرة: 183.

وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، شهادة عبد آمن بالله ربا وبمحمد نبيا ورسولا وبالقرآن كتابا وإماما وهاديا وبالكعبة قبله، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين ﷺ وعلى أصحابه الغر الميامين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

أما بعد أيها الإخوة الكرام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إذا كان لك صديق عزيز عليك ولك معه موعد لاستضافته فكيف يكون استقبالك له مع أنه لا يكلفك شيء من أجل استقباله؟ من المعروف عند أهل الكرم عند استقبال الضيف، تهئية المكان وتنظيفه، ثم توفير ما يحتاج إليه هذا الضيف العزيز. إذا، فماذا أعدنا لاستقبال رمضان؟ وماذا يجب علينا كمسلمين؟

1. التهيئة الروحية

النية والإخلاص وتنقية النفس من جميع الشوائب وخلوص الصيام لله رب العالمين لأن الله هو المتكفل بالجزاء عليه. قال الله عز وجل في الحديث القدسي: ﴿... الصيام لي وأنا أجزي به﴾.

فالصيام أنواع: صيام الخواص، وصيام خواص الخواص، وصيام العوام.

فصيام الخواص: هو كف النظر واللسان واليد والرجل والسمع والبصر وجميع الجوارح عن الآثام.

أما صيام خواص الخواص: فهو صوم القلب عن الهم الدنيوي والأفكار المبعدة عن الله. **أما صيام العوام:** فهو صوم البطن والفرج عن قضاء الشهوة، أي كفها.

إن الأعمال تضاعف فيها الأجور بشرف المكان والزمان فمثلا: الصلاة في المساجد الثلاثة ليست كالصلاة في المساجد الأخرى. كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ **{الصلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام}**. الحديث أخرجه البخاري رقم 1190 في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، وعند مسلم رقم 1394 في الحج وللحديث زيادات أخرى في كتب الحديث.

وكذلك الصيام في رحاب المسجد الحرام والمسجد الأقصى الأسير - أطلق الله سراحه - علينا أن نعترف أن جزاء الصابر المتحسب المتيقن - الجنة - جاء في الحديث القدسي عن سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: **{كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فقال الله تعالى إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه... ولخولف فم الصائم**

عند ربه أطيب من ريح المسك...}. وفي رواية: **{كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي..}**.

وفي رواية للبخاري: **{لكل عمل كفارة، والصوم لي وأنا أجزي به}**.

وأخرجه الإمام أحمد من هذا الوجه ولفظه: **{كل عمل ابن آدم له كفارة إلا الصيام والصوم لي وأنا أجزي به}**. أخرجه البخاري ج 103-4 / رقم الحديث 1894 باب الصوم.

فعلى الرواية الأولى: يكون استثناء الصيام من الأعمال المضاعفة فالأعمال كلها تضاعف من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لا ينحصر تضعيفه في العدد المذكور، ولأن الصيام من الصبر والصابر أجره بغير حساب: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" الزمر: ١٠

أما الرواية الثانية: فإن استثناء الصيام من بين الأعمال يرجع إلى أن سائر الأعمال للعباد، والصيام اختصه الله لنفسه من بين أعمال عباده وأضافه إليه.

أما الرواية الثالثة: فلاستثناء يعود إلى التكفير بالأعمال بأن الصيام يكفر ويشفع لصاحبه، وذلك ما ذهب إليه سفيان بن عيينة رحمه الله قال: "هذا من أجود الأحاديث وحكمها إذا كان يوم القائمة يحاسب الله عباده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر الأعمال حتى لا يبقى إلا الصوم فيحمل الله عز وجل ما بقي عليه من المظالم ويدخله الجنة بالصوم"، شعب الأيمان للبيهقي ج 3 صفحة 295.

2. الاجتهاد في العبادة

إن الأيام كالأسواق عندنا، فأيام رمضان والجمعة وأيام الحج هي الأيام المباركة عند الله والتجارة فيها مع الله رابحة لا محالة والتجارة مع الخالق لن تبور، لهذا يجب على المسلم الاجتهاد في الاتجار مع الله، يجتهد أكثر في القيام والركوع والسجود لله رب العالمين: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ إِمْرْتِ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، قُلْ أَغِيرَ اللَّهُ أَبْغِي رِبَا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣

ويكون الاجتهاد:

- بالمحافظة على الفرائض والزيادة من النوافل والمداومة عليها.
 - بالبعد عن كل ما يبطل الصيام من اللغو والفحش والرفث والسباب وقد ورد في الحديث الصحيح: ﴿مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ﴾ متفق عليه.
- فإذا التزم هذا الصائم بحدود الله وانتهى عما نهى الله فإنه دون شك يفوز بالجائزة الكبرى التي يسعى لنيلها كل مؤمن (الشفاعة والجنة).

الدرس الثاني

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

البقرة: 183

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين أحمده ربّي بالقيام، وأحمده ربّي على القرآن، وأحمده ربّي على القيام بالقرآن في ليالي رمضان، وأحمده ربّي أن جعلتنا من أمة سيدنا محمد ﷺ أمة القرآن. أحمده أن أرسلت إلينا أفضل رسلك وأنزلت علينا أفضل كتبك وجعلتنا خير أمة أخرجت للناس والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله كلما ذكرنا الذكر الذاكرون وغفل عن ذكرنا الغافلون وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: 183

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله جل جلاله المؤمنين من هذه الأمة مخبراً لهم بفرضية الصيام. والصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع (القرب من النساء) ومن جميع ما يفسد الصوم من اللغو والرفث وقول الزور بنية سابقة لأن الصيام جنة ووقاية كما جاء في الحديث: {... الصيام جنة أي وقاية}. في الآية الكريمة ذكر بأن الصيام كان مفروضاً على الأمم التي سبقتنا: {كما كتب على الذين من قبلكم} وشرع من قبلنا شرع لنا إلا إذا ورد في شرعنا ما يخالفه كما قال أهل الأصول.

قال سعيد بن جبير: "كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الإسلام".

وقال جماعة من أهل العلم: "أراد أن صيام رمضان كان واجباً على النصارى كما فرض علينا فربما كان يقع في الحر الشديد والبرودة الشديدة وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشهم فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعل صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم إن ملكاً لهم اشتكى فمه فجعل عليه -إن هو برأ وجعه- أن يزيد في الصوم أسبوعاً، فبرأ فزاد أسبوعاً ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر قال: أتموه خمسين يوماً. وقال مجاهد: أصابهم موتان فقالوا: زيدوا في صيامكم فزيد فيه عشرة قبل وعشرة بعد" تفسير البغوي ج 1 ص 105.

من فوائد الصيام

- إن الصيام فيه تزكية للنفوس وتنقية للبدن وتضييق لمساك الشيطان.
- إن الصيام يغرس الخوف من الله في السر والعلانية.
- وإنه أيضاً يكسر حدة الشهوة وسلطانها على النفس البشرية كبير إشارة إلى قول المصطفى ﷺ {... فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ} أي وقاية.
- رواه الجماعة عن أبي مسعود، ورواه النسائي عن معاذ.
- يعود على النظام في العيش وضبط الوقت ويوفر الاقتصاد عند أهل الاعتدال في الإنفاق.
- يحقق المساواة بين الناس غنيهم وفقيرهم، شريفهم ووضيعهم في أداء هذه الفريضة يصومون في وقت واحد: يسكنون في

قال أبو الدرداء:

- صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور.
- وصوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور.
- وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير.

حال السلف في رمضان

- إن الصائم في رمضان يجمع له جهادان لنفسه:
- جهاد بالنهار على الصوم.
- وجهاد بالليل على القيام.
- فمن جمع بين الجهادين وصبر على أدائهما ووفى بحقوقهما أعطى أجره بغير حساب.
- قال كعب: ينادي يوم القيامة مناد:
- إن كل حارث يعطى بحرثه ويزداد غير أهل القرآن والصيام، يعطون أجورهم بغير حساب.

والقرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة: يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار.

ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان.

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث بريدة مرفوعاً: {إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول: هل تعرفني؟ أنا صاحبك الذي أظمتك في الهواجر وأسهرت ليلك وكل تاجر من وراء تجارته، فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ثم قال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ}.

أخرج بن عدي من حديث أنس مرفوعاً: {ألا أخبرك بالأجود الأجود؟ الله الأجود الأجود، وأنا أجود بني آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه، يبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله}.

وكان ﷺ يتضاعف جوده في رمضان على غيره من الشهور، إن جود ربه يتضاعف فيه أيضاً: ومضاعفة جوده ﷺ في شهر رمضان خاصة فيه أكثر من فائدة، منها:

• شرف الزمان ومضاعفة الأجر. روى الترمذي مرفوعاً عن أنس بن مالك: (أفضل الصدقة صدقة في رمضان).

• إعانة الطائعين على الطاعة من الصائمين والقائمين والذاكرين فيستوجب لهم مثل أجرهم، مثل هذا كمن جهز غازياً فقد غزا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: {من فطر صائماً فله أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء} أخرجه الإمام أحمد في المسند والنسائي والترمذي وابن ماجة وأخرجه الطبراني من حديث عائشة،

وفيه زيادة: {وما عمل الصائم من أعمال البر إلا كان أجره لصاحب الطعام ما دام قوة الطعام فيه}.

• الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة جاء في الحديث: {إن في الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها}. قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: {لمن طيب الكلام وأطعم الطعام، وداوم الصيام وصلى بالليل والناس نيام} أخرجه الترمذي في البر والصلة رقم 1975.

ومن أعمال السلف في رمضان أنهم كانوا يصلون وراء إمام واحد يؤمهم في صلاة التراويح. فقد أمر سيدنا عمر (رضي الله عنه) أبي بن كعب وتميماً الداري -من حفظة القرآن الكريم ومتقنيه- أن يقوموا بالناس في رمضان، فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر.

وروي أنه جمع ثلاثة قراء فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ بالناس ثلاثين وأوسطهم بخمس وعشرين وأبطأهم بعشرين، ثم كان في زمن التابعين يقرؤون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات، فإن قرأ بها في اثنتي عشرة ركعة رأوا أنه قد خفف.

قال ابن منصور، سئل إسحاق بن راهويه كم يقرأ في قيام شهر رمضان؟ فلم يرخص في دون عشر آيات. فقيل له: "إنهم لا يرضون"، فقال: "لا رضوا فلا تؤمهم أن يرضوا بعشر آيات من البقرة، ثم إذا صرت إلى الآيات الخفاف فبقدر عشر آيات من البقرة يعني في كل ركعة". وقد كره الإمام مالك أن يقرأ دون عشر آيات. وسئل الإمام أحمد عما روي

عن سيدنا عمر كما تقدم في سريع القراءة والبطيء فقال: "في هذا مشقة على الناس، ولا سيما في هذه الليالي القصار، وإنما الأمر على ما يحتمله الناس".

وقال الإمام أحمد لبعض أصحابه وكان يصلي بهم في رمضان: "هؤلاء قوم ضعفي -أو ضعفاء- اقرأ خمسا أو ستا أو سبعا، قال فقرأت فختمت ليلة سبع وعشرين".

وقد روي عن الحسن أن الذي أمره أن يصلي بالناس كان يقرأ خمس آيات ست آيات، وكلام الإمام أحمد يدل على أنه يراعى في القراءة حال المأمومين فلا يشق عليهم.

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ: {من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين} - أي يكتب له قنطار من الأجر. (سنن أبي داود رقم الحديث 1398).

نصائح للصائمين والصائمات:

أخي المسلم، أختي المسلمة، الصائمين والصائمات:

إن رمضان موسم الربح لمن يحسن ويعرف الأسواق الراححة وهذا الموسم هو موسم التجارة مع الله:

• احرص على المحافظة على أداء الفرائض في أوقاتها وبشروطها والزيادة من النوافل. إن هذا الشهر يضاعف فيه الأجر للعاملين فاجتهد ولا تسكل.

• أكثر من قراءة القرآن والذكر ولا تكن من الغافلين.

• احذر من الإسراف في كل شيء إلا في الصدقة والعبادة.

• كن كريماً جواداً في رمضان وغير رمضان اقتداء بحبيبك محمد ﷺ.

• ابتعد عن جلساء السوء وأشرار الخلق، واقترب من أهل العلم والصلاح وأهل القرآن.

• احرص على قيام الليل وخاصة العشر الأواخر من رمضان واجعل نفسك تنقطع فيه إلى الله والعبادة (الاعتكاف ولو ليلة واحدة).

• لا تنس رمضان فاجعل لنفسك من صيام التطوع جزءاً حتى لا تنسى رمضان.

• اجعل فرحة العيد شكراً وسروراً بنعمة الله التي أنعم بها عليك فلا تجعله انطلاقة مما حبست عنه نفسك طول رمضان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.



رمضان شهر البركة



أحمد أحمادي | إمام أستاذ رئيسي

ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل".

في الحديثين السابقين يبين لنا الحبيب المصطفى ﷺ أن شهر رمضان هو شهر البركة، يزداد فيه رزق المؤمن ويضاعف فيه ثواب وأجر العمل الصالح.

فما البركة؟ وما معناها؟ وكيف تكون البركة في سائر أحوال المؤمن وفي حياته كلها؟

معنى البركة

البركة في اللغة تعني الثبات والازم والاسقرار، فيقال برك البعير إذا استقر على الأرض. ويقال عن الماء الراكد الذي لا يتحرك بركة؛ فاستقرار النعمة ودوامها وعدم زوالها بركة، واستقرار الشيء ودوامه لا يبقى على حاله، ولكنه يزداد وينمو، لذلك فإن من معاني البركة النماء والزيادة، فكل ما أنعم الله به عليك من النعم إن استقرت ونمت وازدادت، فهي بركة من المولى عز وجل.

البركة من الله تعالى

والبركة لا تكون إلا من الله تعالى، فهو المنعم وهو المعطي، فما من خير إلا هو سائقه وما من فضل إلا هو مدبره. يقول الله تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف، آية: 54]

وقال جل شأنه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْحَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون، آية: 14]

وقال أيضا ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك، آية: 1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، أما بعد: فقد استقبل الحبيب المصطفى ﷺ شهر رمضان الكريم بخطبة جامعة وافية، بين فيها فضل الله تعالى وكرمه علينا في هذا الشهر العظيم، وبيّن فيها الكثير من خصال الخير.

أخرج ابن خزيمة في "صحيحه" (1887) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال ﷺ: {أيها الناس قد أظلمكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء} ، قالوا: " ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم "، فقال: {يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة، أو شربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة}.

وأخرج الطبراني (4783-مجمع الزوائد) من حديث عبادة بن الصامت (رضي الله عنه): "أن رسول الله ﷺ قال يوما وحضر رمضان: {أتاكم رمضان، شهر بركة يغنيكم الله فيه، فينزل الرحمة ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم،

ولله در الشاعر إذ يقول:

لا تخضعن لمخلوق على طمع... فإن ذلك نقص منك في الدين
لن يقدر العبد يعطيك خردلة... إلا بإذن الذي سواك من طين
فلا تصاحب غنيا تستعز به... وكن عفيفاً وعظماً حرمة الدين
واسترزق الله ممافي خزائنه... فإن رزقك بين الكاف والنون

الدعاء بالبركة

والحق سبحانه وتعالى يعلمنا في كتابه الكريم كيف ندعوا وبما ندعوا، فيذكر نبيه نوح عليه السلام في دعائه يقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون، آية: 29] فاستجاب الله لدعائه ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ [هود، آية: 48] ومن دعائه ﷺ: اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي فيما رزقتني. أخرجه الترمذي (3500) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

ومن دعائه أيضاً ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

أخرجه الطبراني في الكبير (10426) والحاكم (977) من رواية ابن مسعود (رضي الله عنه).

وذكر المصطفى ﷺ دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام لمكة بالبركة، فدعا للمدينة وزيادة فقال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَحَلِيلَكَ وَدَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي مَدَّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلِي مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ﴾.

أخرجه الترمذي (3914) من حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

البركة في العيد

ووصف الحق جل وعلا كتابه الكريم بالبركة، فقال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص، آية: 29] فإذا التزم العبد بكتاب الله تعالى قارئاً متعلماً عاملاً بما فيه، بارك الله تعالى فيه، وبارك له في أهله ورزقه وفي عمره، فلا تمر به ساعة إلا وقد اغتنم فيها من خير يرضي الله ورسوله.

قال الله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم، آية: 31-30]

وبارك له في بيته ووسعه عليه وعلى أهله، يقول رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ أَصْفَرَ الْبَيُوتُ بَيْتَ لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شَيْءٌ﴾.

أخرجه الحاكم (2080) من حديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه).

وبارك له في زوجته وذريته، فالبركة لا تكون بكثرة المال وإنما في رضا الحق جل وعلا؛ يقول الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مَوْوَنَةً﴾.

أخرجه أحمد (24529) من حديث عائشة (رضي الله عنها).

فكم من بيوت يملك المال الكثير، ولكن يعيشون في بغضاء وشحناء، لا ينعمون براحة ولا مودة فيما بينهم. وكم من بيوت لا يملك أصحابها إلا القليل، ولكن الله تعالى يبارك لهم فيه ويرضيهم ويرضى عنهم، فينعمون بالمودة والرحمة.

قال الله تعالى ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق، آية: 7]

ورسول الله ﷺ يوصينا بالكلمة الطيبة التي تبعث في النفس الرضا، فيبارك الله تعالى على أهل البيت فيقول ﷺ: ﴿يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَتٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ﴾.

أخرجه الترمذي (2698) من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه).

البركة في الرزق

والبركة تكون في الرزق بتقوى الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف، آية: 96].

أما الحرام فمأله إلى قلة وزوال وهلاك، قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة، آية: 276]

ويؤكد على ذلك المصطفى ﷺ فيقول: ﴿ما نقص مالٌ عبيدٍ من صدقة﴾ أخرجه الترمذي (2325) من حديث أبي كبشة الأنماري (رضي الله عنه).

ويحذر النبي ﷺ من الكذب والغش والخداع في طلب الرزق، فيقول ﷺ: ﴿الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُرُوكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا﴾.

أخرجه البخاري (2079) من حديث حكيم بن حزام (رضي الله عنه).

البركة في السحور

جدير بالمسلم الصائم أن يتسحر، وأن يؤخر سحوره إلى ما قبيل الفجر، ولو كان السحور قليلاً، لأنه مَضْنَةٌ حلول الخيرات والبركات العظيمة، فقد جاء في الحديث المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تسحروا فإن في السحور بركة.

من بركات السحور أن فيه تقوية على الطاعة، وإعانة على العبادة، وزيادة في النشاط والعمل.

ومن بركات السحور ابتعادك عن مساوئ الأخلاق التي قد تنشأ عن الجوع.

ومن بركات السحور، تعرض الصائم لنفحات ربانية تتجلى برحمة الله عز وجل على عباده، يكون المسلم الصائم حينها متهيئاً لقبول هذه النفحات بالدعاء والصلاة والاستغفار قال الله تعالى ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات، آية: 17-18-19].

هذه إشارات إلى بركات جمّة كثيرة لا يسع ذكرها على وجه الاستقصاء.

وبالجملة فالبركة إذا دخلت الجسد قوّته، وإذا أصابت الولد أصلحته، وإذا مسّت المال كثرته، وإذا وافقت الوقت عمرته، وإذا حلّت في القلب أسعدته.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وتقبل الله منا ومن جميع المسلمين صالح الأعمال. آمين يا رب العالمين.

التَّقْوِيمُ الْإِسْلَامِيُّ

تَارِيخُهُ، خُصُوصِيَّتُهُ وَمَعَانِيهِ



د. عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْجَدِيعِ | رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

ما هُوَ التَّقْوِيمُ الْإِسْلَامِيُّ؟
لا يُوجَدُ ما يُسَمَّى قَدِيمًا (التَّقْوِيمُ الْإِسْلَامِيُّ)،
وإنَّما هُوَ (التَّقْوِيمُ الْقَمَرِيُّ) لِكُونِهِ يَرْتَبِطُ
بِالْقَمَرِ، وَهُوَ ارْتِبَاطٌ بِظَاهِرَةِ كَوْنِيَّةٍ، لَا
اخْتِصَاصَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ بِالْإِسْلَامِ، وَلِذَلِكَ
وُجِدَتْ وَلَا تَزَالُ أُمَمٌ تَعْرِفُ شُهُورَ الْعَامِ بِنَفْسِ
الطَّرِيقِ.
أَوْ هُوَ (التَّقْوِيمُ الْهَجْرِيُّ)، وَهَذَا يُعْطِيهِ وَصْفًا
أَدَقُّ، إِذْ يَرْتَبِطُ بِتَارِيخِ الْأُمَّةِ مِنْ جِهَةٍ، كَمَا أَنَّهُ
يُعْطِيهِ مِيزَةً التَّقْوِيمِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَى الْقَوَانِينِ
الَّتِي اعْتَبَرَتْ لِلتَّارِيخِ الْهَجْرِيِّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.
وَهُوَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ (تَّقْوِيمٌ إِسْلَامِيٌّ)، فَمَنْشُؤُهُ
إِسْلَامِيٌّ، وَقَانُونُهُ إِسْلَامِيٌّ.

لَكِنْ يُلَاحَظُ أَنَّ مُفْرَدَةَ (التَّقْوِيمُ الْإِسْلَامِيُّ)
صَالِحَةٌ لِإِطْلَاقِهَا عَلَى (التَّقْوِيمِ الْقَمَرِيِّ
الْهَجْرِيِّ) وَالَّذِي هُوَ لِحِسَابِ الشُّهُورِ وَالسِّنِّينِ،
وَصَالِحَةٌ لِتَقْوِيمِ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ الشَّمْسِيَّةِ،
وَالَّتِي هِيَ لِلْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. وَذَلِكَ مَا يُرَاعَى عَادَةً
فِي حِسَابِ (النَّتِيجَةِ) أَوْ (الرُّزْنَامَةِ).

(رُزْنَامَهُ)، وَهِيَ مُفْرَدَةٌ فَارِسِيَّةٌ الْأَصْلُ تَعْنِي
كُتَيْبَ التَّقْوِيمِ.
كَمَا أَنِّي أَحْتَمِلُ أَنَّ أَصْلَ الْمَفْرَدَةِ إِذَا كَانَ
إِسْلَامِيًّا فَرُبَّمَا عَادَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ عِدَّةَ
الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ
اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ
حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [النُّبُوءَةُ: 36]، فَقَدْ
قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "ذَلِكَ الْحِسَابُ الْبَيِّنُ"،
و"الْمُسْتَقِيمُ".

وإن كَانَ أَصْلُهَا غَيْرَ إِسْلَامِيٍّ، فَيَكُونُ جَاءَنَا
مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي كَانَتْ تَقُومُ مَا تَعْتَقِدُهُ مِنْ خَلَلِ
حِسَابَاتِهَا لِلشُّهُورِ فَكَانَتْ تُضَيِّفُ إِلَيْهَا الشُّهُرَ
وَالشُّهُرَيْنِ وَالْأَيَّامَ لِتَضْبِطَها حَسَبَ الْمَوَاسِمِ،
وَذَلِكَ عُرِفَ فِي الْأُمَمِ الَّتِي أَرَحَتْ بِالتَّقْوِيمِ
الشَّمْسِيِّ.

أَمَّا الْعَرَبُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ السَّنَةَ بِأَنْهَا
اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُؤَخَّرُونَ الشُّهُرَ
الْحَرَامَ اسْتِباحَةً لِلْقِتَالِ فِيهِ، لَا أَنَّهُمْ كَانُوا
يَزِيدُونَ مِنْ أَجْلِ التَّقْوِيمِ، فَذَلِكَ مَا لَا يَعْرِفُ
عَنْهُمْ فِي أَثَرٍ.

"التَّقْوِيمُ" مُفْرَدَةٌ تَعُودُ إِلَى أَصْلِ (قَوْمٍ)، وَهُوَ
يَدُلُّ فِي الْأَصْلِ عَلَى الْإِنْتِصَابِ، **يُقَالُ: "أَقَمْتُهُ
فَقَامًا" أَي: ائْتَصَبْتُ مُسْتَوِيًّا؛** وَلِذَا اسْتُعْمِلَ
لِمَعْنَى يُقَابِلُ الْعَوَجَ، فَالشَّيْءُ يَكُونُ أَعْوَجَ،
فَتَذْهَبُ تَقْيِمُهُ، أَي تَضْبِطُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ.
وَشَاعَ اسْتِعْمَالُ الْفُقَهَاءِ لِهَذِهِ الْمَفْرَدَةِ فِي
أَبْوَابِ التَّعْوِضَاتِ وَالْمَعَاوَضَاتِ، وَهِيَ فِي
سِيَاقٍ مَا يَعُودُ إِلَى رِعَايَةِ الْقِيَمَةِ، وَهُوَ مَعْنَى
أَصْلُهُ مِنْ نَفْسِ هَذَا الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ الْمَتَقَدِّمِ،
قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: "أَصْلُ الْقِيَمَةِ الْوَاوُ، وَأَصْلُهُ
أَنَّكَ تَقِيمُ هَذَا مَكَانَ ذَلِكَ. وَبَلَّغْنَا أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ
يَقُولُونَ: اسْتَقَمْتُ الْمَتَاعَ، أَي قَوْمْتُهُ" (1).

وَمِنْ هَذَا تَأْتِي مُفْرَدَةُ (تَقْوِيمٌ) فِي اسْتِعْمَالِهَا
الْفَلَائِي، فَكَانَتْ مِنْ إِقَامَةِ الشَّيْءِ عَلَى الْجَادَةِ،
بِإِزَالَةِ عَوَجِهِ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ ضَبْطِهِ
بِالْحِسَابِ الدَّقِيقِ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: "يُسَمُّونَهُ عِلْمَ التَّقْوِيمِ
وَالْتَّعْدِيلِ؛ لِأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَعْلَى مَسِيرِ الْكَوَاكِبِ
وَأَدْنَاهُ، فَيَأْخُذُونَ مُعَدَّلَهُ فَيَحْسُبُونَهُ" (2).

وَشَاعَتْ هَذِهِ الْمَفْرَدَةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْفَلَكَ، وَالْفَتْ
فِيهَا الْمَصْنُفَاتُ، وَعَرَفَ النَّاسُ (التَّقْوِيمِ) فِي
الْعَصْرِ الْحَاضِرِ بِاسْمِ (النَّتِيجَةِ)، وَذَلِكَ لِكُونِهِ
حَاصِلَ عَمَلِيَّةٍ حِسَابِيَّةٍ، كَمَا عَرَفُوهُ بِاسْمِ

(1) مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ، لِابْنِ فَارِسٍ (5/43).

(2) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى (9/216).

مَكَانَةُ التَّقْوِيمِ الْهَجْرِيِّ:

عَرَفَتِ الْأُمَمُ مَعَالِمَ تَعَبُّرٍ عَنْ خُصُوصِيَّاتِهَا وَتَمَيُّزِهَا، عَنْ جَمِيعِ أَمَمِ الدُّنْيَا، وَالتَّارِيخُ أَوْ التَّقْوِيمُ مِنْ أُبْرَزِ الْمَعَالِمِ لِأَيِّ حَضَارَةٍ، وَلِذَا عَرَفَ التَّارِيخُ الْبَشَرِيُّ لَجَمِيعِ تِلْكَ الْأُمَمِ أَنَّهُمْ أَرْجَحُوا بِتَوَارِيخٍ تَخْصُهُمْ، كَالرُّومِ وَالْقِبْطِ وَالْفُرْسِ وَالصِّبْنِيِّينَ، وَغَيْرِهِمْ.

وَهَكَذَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ مُنْطَلَقِ الْخُصُوصِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ أَرْجَحُوا، وَقِصَّةُ بَدْءِ التَّارِيخِ كَانَتْ بِأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فِي قِصَّةِ مَشْهُورَةٍ، تَمَّ فِيهَا اخْتِيَارُ يَوْمِ الْهَجْرَةِ كَأَوَّلِ يَوْمٍ لِلتَّارِيخِ الْهَجْرِيِّ، وَبَدَأُوا السَّنَةَ بِالْمَحْرَمِ؛ لِأَنَّهُ مُنْصَرَفُ النَّاسِ مِنْ حَجَّهِمْ.

وَلَمْ يَعْرِفِ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَهُ التَّارِيخَ، وَإِنَّمَا كَانُوا يُؤَرِّخُونَ بِالْوَقَائِعِ، فَيَقُولُونَ: (عَامُ الْفِيلِ، وَيَوْمُ بَذْرِ، وَيَوْمُ الْحُدَيْبِيَّةِ)، وَهَكَذَا، فَلَمَّا بَدَأَ الْمُسْلِمُونَ التَّارِيخَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ، وَجَعَلُوا الْهَجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ مُبْتَدَأَ بَنَوِ ذَلِكَ عَلَى اعْتِبَارِ دِينِي، فَالْهَجْرَةُ كَانَتْ فَرْقًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، كَمَا أَنَّهَا كَانَتْ اللَّيْنَةَ الْأُولَى فِي صَرْحِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَدَوْلَةِ الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا فِي التَّارِيخِ الْإِنْسَانِي نَظِيرٌ.

كَانَتْ تَوَارِيخُ الْأُمَمِ الْمجاوِرَةِ لِلْمُسْلِمِينَ كَالرُّومِ وَالْفُرْسِ مَوْجُودَةً سَارِيَةً جِئْنَ عَزَمَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى التَّارِيخِ، وَلِكِنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي أَثَرِ النَّبَةِ أَنَّهُمْ اعْتَبَرُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، بَلْ جِئْنَ أَرَادُوا التَّارِيخَ كَانَتْ جَمِيعَ الْمُقْتَرَحَاتِ الَّتِي قَدَّمَتْ مَوْصُولَةً بِالنَّبِيِّ ﷺ: مَوْلَدُهُ، أَوْ بَعْثُهُ، أَوْ هِجْرَتُهُ، أَوْ وَفَاتِهِ. وَلَمْ يُقْتَرَحْ أَحَدٌ اتِّبَاعَ تَارِيخِ أُمَّةٍ أُخْرَى مِنَ الْأُمَمِ، وَهَذَا مِنْ أَدَلِّ مَا يَكُونُ عَلَى اعْتِبَارِ مَعْنَى الْخُصُوصِيَّةِ، لَيْسَتْ الْحَضَارِيَّةُ هُنَا فَقَطْ، وَإِنَّمَا الْعَقْدِيَّةُ الدِّينِيَّةُ، وَلَمْ يَكُنْ بِحَالٍ أَنْ تَتَّبَعَ خَيْرُ أُمَّةٍ مِنْ دُونِهَا فِي عُنوانٍ هُوَ مِنْ أُبْرَزِ عَنَاقِينِ الْمَاهِيَّةِ.

وَهَذَا مَا يَتَأَكَّدُ فِيهِمَا بَلِي فِي رِعَايَةِ مَرَجِعِيَّةِ التَّارِيخِ الْهَجْرِيِّ وَقَاعِدَتِهِ.

قَاعِدَةُ التَّارِيخِ الْهَجْرِيِّ:

يَعْرِفُ النَّاسُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْإِسْلَامُ أَنَّ السَّنَةَ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، وَهَكَذَا عَرَفَتْهُ أُمَّةٌ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَعْرِفُ الشُّهُورَ الْقَمَرِيَّةَ، وَأَسْمَاؤُهَا الَّتِي تَعْرِفُهَا حَتَّى الْيَوْمِ هِيَ ذَاتُهَا أَسْمَاؤُهَا مِنْذُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَعْرِفْ لَهُمْ أَعْوَامٌ مَحْسُوبَةٌ، وَكَانُوا يَتَلَاعَبُونَ بِحِسَابِ الشُّهُورِ، بِالنِّسْبَةِ، وَهُوَ إِزْجَاءُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَيُؤَخَّرُونَ مَثَلًا شَهْرَ الْمَحْرَمِ وَيُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ، مِنْ بَابِ الْجِيلَةِ عَلَى التَّحْرِيمِ لِلشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَفِي هَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ

الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَغْلِبُوا فِيهِنَّ أَنْفُسُكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿[التوبة: 36-37].

وَفِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ جِئْنَ خَطَبَ النَّبِيِّ ﷺ النَّاسَ كَانِ مِمَّا وَدَّعَ بِهِ أَنْ قَالَ: ﴿إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمَحْرَمِ، وَرَجَبُ مُصَرَّرٍ الَّذِي بَيْنَ جَمَادَى وَشَعْبَانَ﴾ (3).

وَلَعَلَّ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِ اسْتِدَارَةِ الزَّمَانِ، قَوْلُ ابْنِ الْأَثِيرِ الْجَزْرِيِّ: "مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يُؤَخَّرُونَ الْمَحْرَمَ إِلَى صَفَرٍ، وَهُوَ النَّسِيءُ؛ لِيُقَاتِلُوا فِيهِ وَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، فَيَنْتَقِلُ الْمَحْرَمُ مِنْ شَهْرِ إِلَى شَهْرٍ حَتَّى يَجْعَلُوهُ فِي جَمِيعِ شُهُورِ السَّنَةِ، فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ السَّنَةُ كَانَتْ قَدْ عَادَ إِلَى زَمَنِهِ الْمَخْصُوصِ بِهِ قَبْلَ النُّقْلِ، وَدَارَتْ السَّنَةُ كَهَيْئَتِهَا الْأُولَى" (4).

وَقَدْ نَصَبَتِ الشَّرِيعَةُ لِمَعْرِفَةِ الشُّهُورِ طَرِيقًا لَا يَضِلُّ النَّاسُ مَعَهُ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ الَّذِي رَبَطَ لَهُمْ بِهِ الْإِسْلَامُ شَرَائِعَ دِينِهِمْ، وَانْتَهَوَا إِلَيْهِ فِي مَوَاقِفَتِهِمْ لِتَدْبِيرِ مَصَالِحِهِمْ، وَهُوَ مَا اسْتَصْحَبَهُ الصَّحَابَةُ جِئْنَ بَدَأُوا التَّارِيخَ فِي خِلَافَةِ الْفَارُوقِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

طَرِيقُ مَعْرِفَةِ الشُّهُورِ:

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةَ الصَّيَامِ، حَدَدَ لَهُ زَمَانَيْنِ فَرَضَ اعْتِبَارَهُمَا:

الزَّمَانُ الْأَوَّلُ: قَمَرِيٌّ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185].

وَالزَّمَانُ الثَّانِي: شَمْسِيٌّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ

تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَكُمْ مِنَ الْخَبْطِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْخَبْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: 187].

ثُمَّ اتَّبَعَ ذَلِكَ بَعْدَهُ بِبَيْسَرٍ بِقَوْلِهِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189].

وَالْأَهْلَةُ لِلْقَمَرِ لَا لِلشَّمْسِ، فَهَذِهِ الْآيَةُ إِذَنْ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْقَمَرِ، وَتَحْدِيدُ الْقُرْآنِ لَوْظِيْفَةِ الْأَهْلَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾، يُفَسِّرُ أَنَّهَا الشُّهُورُ الَّتِي تَضِبُّ لِلنَّاسِ أَوْقَاتَهُمُ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ، وَلَيْسَتْ الْمَوَاقِيتُ الشَّمْسِيَّةُ، فَتِلْكَ لِيَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، وَالْهَلَالُ هُوَ الْعَلَامَةُ عَلَى الشَّهْرِ، بَلْ إِنَّ أَهْلَ اللِّسَانِ يَذْكُرُونَ بَيْنَهُمَا تَرَادُفًا، وَهُوَ فِي الْوَاقِعِ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ، فَيَقُولُونَ: (الشَّهْرُ هُوَ الْهَلَالُ) (5)، لِأَنَّهُ يُشْهَرُ بِالْهَلَالِ بِهِ، وَهُوَ أَنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَتْهُ أَعْلَنَتْ بِهِ وَرَفَعَتْ الْأَصْوَاتَ بِذِكْرِهِ.

فَهَذِهِ الْآيَةُ إِذَنْ تُبَيِّنُ أَنَّ الشُّهُورَ تُعْرَفُ بِالْهَلَالِ، فَالْهَلَالُ نِهَائِيَّةُ شَهْرٍ وَبِدَائِيَّةُ شَهْرٍ أُخَرَ. وَلِذَا جِئْنَ جَاءَتِ السَّنَةُ عَلَى تَفْسِيرِ ذَلِكَ قَرَّرَتْ أَنَّ الشَّهْرَ يَنْتَبِئُ بِرُؤْيَا الْهَلَالِ، وَهُوَ شَهْرُهُ، وَبِهِ يَتِمُّ امْتِنَالُ الْمَأْمُورِ فِي الصَّوْمِ مَثَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185].

ثُمَّ يَسْتَمِرُّ التَّلَبُّسُ بِالْوَاجِبِ لَغَيْرِ صَاحِبِ عُدَرٍ حَتَّى يُكْمَلَ الْعِدَّةُ، أَيْ يَتِمَّ الشَّهْرُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ﴾ [البقرة: 185].

وَبَيَانُ السَّنَةِ جَاءَ مُتَوَاتِرًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الْهَلَالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطَرُوا، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا﴾ (6). وَفِي هَذَا بَيَانٌ عِدَّةُ أَيَّامِ الشَّهْرِ فِي الْإِسْلَامِ، فَهُوَ ثَلَاثُونَ يَوْمًا فِي حِسَابِ الْأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَرَى الْهَلَالَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَا يَرَى لِأَقَلِّ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: {الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً، فَلَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمَلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ} (7).

وَقَالَ ﷺ: {إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ الشَّهْرَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - وَعَقْدَ الْإِبْهَامِ فِي الثَّالِثَةِ - وَالشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا} يَعْنِي تَمَامَ ثَلَاثِينَ (8).

(3) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: 4406، 5550)؛ وَمُسْلِمٌ (رقم: 1679)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ الثَّقَفِيِّ.

(4) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، لِابْنِ الْأَثِيرِ (2/139).

(5) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، لِابْنِ الْأَثِيرِ (2/515).

(6) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رقم: 1081)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(7) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: 1907)؛ وَمُسْلِمٌ (2/759)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.

(8) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رقم: 1913)؛ وَمُسْلِمٌ (2/761)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.

فهذه المعالم هي ضابط حساب الشهور، وهي قمرية لا ترتبط بالأملة، وتقدم أن الله جعل شهور السنة اثني عشر شهرا خلقا وتقديرا، وهو التقويم الذي أراد لعباده، وبه ربط لهم ما شاء من التكليف.

4. كذلك جعل حساب سنينهم بالقمر، كما قال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِيَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 5].

فجعل الغاية للمكلفين من تقدير القمر منازل أن يضبطوا بذلك تاريخهم. وهذه الآية من أدل ما يكون حجة على وجوب المحافظة على التاريخ القمري، وذلك مستلزم لما تقدم من حساب الشهور بالأملة.

ضرورة معرفة التقويم القمري:

لنست هذه المقالة الموجزة مناسبة لإجراء مقارنة للتقويم القمري مع التقويم الشمسي للشهور، والذي يقوم على رعاية الفصول الأربعة، وعليه يجري التاريخ الميلادي وغيره، فهذا له محل آخر، لكن ما تقدم يبين أن التقويم القمري هو التقويم الذي قدره الله لعباده، ولذا ربط به الأحكام.

نعم، جرت مصالح الناس على اعتبار الفصول الأربعة في كثير من شؤونهم، كمعرفة الفلاح لمواسم الزراعة والحصاد مثلا، وهذه ينظمها لهم التقويم الشمسي، ولا يوجد ما يمنع من ذلك لهذا الاعتبار، فقد قال النبي ﷺ: ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ﴾⁽⁹⁾، ولكن لا يجيز ذلك إلغاء الأصل الذي اختاره الله لعباده لضبط مواعيدهم، وبخاصة التعديدية، وهو التقويم القمري.

والمسلمون لو استغنوا عنه في يومياتهم، وضبطوا مصالح دنياهم بالتاريخ الميلادي المضبوط بالتقويم الشمسي، فهم مضطرون إلى رعاية التقويم السنوي الرباني في ثلاثة من أركان دينهم، وفي غيرها من تكاليفه، فمن أمثلته:

1. الزكاة الواجبة بحول الحول، فالحول انقضاء سنة قمرية.

2. صوم رمضان، والفطر منه؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

3. الحج، بصريح آية الأهلة، وبقوله تعالى: ﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: 197].

4. الكفارات الموقوتة بالأشهر، ككفارة الظهار، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [المجادلة: 4]، ومثلها في كفارة القتل الخطأ، [النساء: 92]، والوقاع في نهار رمضان.

5. العدة، كعدة المتوفى عنها زوجها: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 234].

6. وكعدة المطلقة التي لا تحيض، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ [الطلاق: 4].

7. حساب مدة الإيلاء، كما في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 226].

8. حساب مدة الرضاغة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِقَ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233].

هذه إشارات موجزة على سبيل التذكير، أوصي في ختامها بتوصيتين:

الأولى: إلى عموم المسلمين.

وذلك بأن عليهم أن ينتبهوا إلى ضرورة حفظهم لتقويمهم القمري، وتاريخهم الهجري، أهيأ بهم أن يجعلوه حاضرا في حياتهم، بل سابقا في تعاملاتهم لتاريخهم المعتاد ما أمكن، فهو أحد أبرز عناوين الهوية والخصوصية والانتماء، وقد فقدته الأمة منذ أن جاءت فكرته لدى السلطان عبد الحميد الثاني⁽²⁾، فصدّقها المنقلب عليه مصطفى كمال، فتم التنازل عن هذا العنوان، وما لحقه من تركة استعمار ثقيلة مكلفة أتت على نضرة هذا التقويم العظيم فذهبت بها، فأصبح المسلمون لا يستحضرون تاريخهم إلا قليلا، ولا يدرون تقويمهم إلا عندما يظلمهم رمضان أو يأتي الحج.

والثانية: إلى العاديين الحاسبيين، إخواننا الفلكيين، كما هي إلى علماء الفقه والشريعة.

عليكم أن تظهروا للأمة كلها - لا للمسلمين فقط - أن التقويم القمري هو الجاري مع القانون الرباني، وما اختاره الله لحساب السنين عينا، جلت حكمته. وليأخذوا مجتمعين على أيدي المسلمين لجمع كلمتهم، وتوجيههم في عباداتهم؛ لئلا يتخذهم أعداء دينهم هزوا، بسبب ما يقعون فيه من اضطراب عظيم في أحص مظاهر دينهم التي يمتازون بها، كالصوم والفطر.

فلقد قال مؤرخ الآثار الأمريكي جيمس هنري برستيد، وهو يتحدث عام 1935م، فيما نقله عنه وحيد الدين خان، كلمة تنبئ عن قبح تصور هؤلاء عنا؛ لجهلهم، أو لعداوتهم، أو لكليهما، قال: "لقد راج التقويم القمري في الدنيا لكثرة تداوله في غرب آسيا، ولغلبة الإسلام سياسيا بوجه خاص، ولقد مضى محمد بالاختلاف بين التقويم القمري والشمسي إلى أقصى حد من العبث يمكن تصوره، حتى أنه أبطل إضافة الشهور الكيسية (Intercalary months). إن السنة القمرية المزعومة تشتمل على 354 يوما، وتقل أحد عشر يوما عن السنة الشمسية. وهكذا تزيد السنة القمرية سنة واحدة كل 33 سنة، وثلاث سنين في كل قرن. فلو حل رمضان في يونيو في هذه السنة فسوف يحل بعد ست سنين في أبريل... لقد مضى 1313 عاما منذ الهجرة، حيث إن قرننا هو بمثابة مئة سنة وثلاث سنين في تقويم المسلمين، وقد سجل تقويمهم واجدا وأربعين عاما زائدا في هذه المدة من قرننا. وقد ألغت كنيسة اليهود الشرقية هذه السخافة واختارت طريقة إضافة الشهور (Intercalation) لتجعل تقويمها مثل التقويم الشمسي، وهذا هو السبب في أن غرب آسيا يعاني حتى الآن لعنة هذه الطريقة القديمة التقويم القمري"⁽¹¹⁾.

هذه مقالة حاقِد أو جاهل، وكَم مثل هذا في عالم اليوم وأسوأ!! فلا نسلط سفهاء الأحلام علينا بجهل أو تفريط، فلنسأ بأشخاصنا من نصاب بهم حقيقة، وإنما نصاب بهم دعوة الإسلام.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. والحمد لله رب العالمين.

(9) أخرجه مسلم (رقم: 2363)، من حديث عائشة وأنس.

(10) مذكراتي السياسية، للسلطان عبد الحميد الثاني (ص: 192).

(11) الإسلام يتحدث، لوحيد الدين خان (ص: 26).

فِي وداع شهر رمضان المكرّم

لهفي عَلَى شهر الصيام الفاضل	*	ولى وَأصبح كالخيال الحائل
ولى سريعا وانقضى فكأنه	*	أحلام نوم أَوْ كظل زائل
فانظر إِلَى أيامه كَيْفَ انقضت	*	في الحين كالبرق السريع العاجل
شهر به الرحمن فضلنا وكم	*	فِيهِ لنا من كُلِّ خير شامل
فلفقيه ذابت قلوبُ أولوالنهي	*	وغدت تودعه بدمع هامل
يَا غافلا مثلي أفق من غفلة	*	وَدَعِ التواني لَا تكن متكاسل
مَا هذه الدنيا بدار إقامة	*	بل دار زور للأنام وباطل
فدع الركون لَهَا وحاذرها وَلَا	*	تغررك يَا هذا بسم قاتل
أَوْ مَا تَرَى شهر الصيام مودعا	*	رام الرحيل وَمَا ظفرت بَطَائِل
وإذا قطعت بغفلة أوقاته	*	من لي ومن لك أن نراه لقابل
فارجع إِلَى المولى وعامل فَمَا	*	حقا يضيع لديه أجر العامل
وارغبه في التوفيق منه بتوبة	*	تأتي بإصلاح لقلب غافل
واسأله بالهادي الحبيب مُحَمَّد	*	بصلاته تظفر بنهج وسائل
صلى عليه الله جل جلاله	*	مَا حنّ مشتاق لِإِلَفِ أهل

من "مجموع القصائد والأدعية" | المطبعة الثمالية-الجزائر.

الفقيه الشيخ سعدي الطاهر حرّاث ..اللغوي المنسي

بقلم المجاهد والمؤرخ | محمد زروال

مداخلة أُلقيت في 3 أبريل 2018م بثنائية المحتفى به بعد الظهر.



وأنا أكتب هذه السطور فأول الشكر الذي يجب عليّ أن أقدمه إنما أسوقه إلى والي ولاية تبسة الذي احتضن هذا الملتقى أول مرة بعد 37 عاما من انتقال المحتفى به إلى ربه فأفاض عليه من كرم الضيافة وحسن التنظيم ما يشجّع على المزيد من عقد مثل هذه الملتقيات التي تعترف بالفضل لأهله وذويه من العلماء المجاهدين والشهداء عند ربهم يرزقون.

وما أكثر العلماء العاملين والشهداء والمجاهدين في هذه الولاية، فالشكر كل الشكر نسديه لواليتها الذي جمعنا مع مناضليها ومجاهديها ومواطنيها، وإننا نغتنم هذه السانحة فننبّه المسؤولين عن مآثر الثورة وتاريخها الحافل في هذه الولاية المجاهدة أن يجمعوا المادة العلمية لهذا التاريخ المشرف الذي صنعوه بأيديهم ولكنهم عن كتابته وتقديمه للأجيال غافلون. ألا فليعلم الناس جميعا هذه الحقيقة الماثلة وهي أن المستعمرين الذين صنعنا من هزائمهم التاريخ، لن يكتبوا لنا التاريخ.

إنني سأقلب الصفحات التي تترجم حياة الشيخ الأولى بدءاً من النشأة ومختلف مراحل التعليم التي قطعها لأبدأ الحديث عن مسيرته الثقافية والثورية من خلال الصفحات التي كتبها عنه الشيخ محمد الصالح الصديق حفظه الله والتي جاء فيها: كان الشيخ الطاهر حرّاث عضوا في جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، وقد كان من مهام

هؤلاء استقبال الطلبة الجزائريين الذين يصلون من القطر الجزائري إلى مدينة تونس للتعليم في جامع الزيتونة، فكان على أولئك الأعضاء أن يدبروا شؤون هؤلاء الطلبة الجدد مع إدارة الجامع ليمهّدوا لهم السبل لكي ينتظموا في سلك التعليم.

يقول الشيخ محمد الصالح: "وعندما وصلت أول مرة إلى مدينة تونس للانخراط في هذا الجامع، استقبلني ثلاثة من أعضاء تلك الجمعية هم: الشيخ عبد الرحمن شيبان، الشيخ أحمد حسين والشيخ الطاهر حرّاث، فقاموا بالإجراءات الإدارية مع إدارة الجامع، فكان التحاقني به يسيرا لم يعرف التعقيدات الإدارية". ولا ينسى الراوي انطباعاته الأولى في أول لقاء له مع الشيخ الطاهر حرّاث فيصفه بقوله: "طويل القامة، أسمر اللون، جهوري الصوت، كثير الاعتداد بالنفس، اشتهر بفصاحة اللسان وقوة الجنان، كان إذا خطب شدّ المستمعين إليه في كثير من الإعجاب به والتأثر بفصاحته". ويواصل الراوي حديثه فيقول: "فعوض



الشيخ سعدي الطاهر حراث رفقة الرئيس الراحل هوارى بومدين.. (رحمهما الله)

أن يرفع الشيخ الطاهر حراث من معنوياتي بكلمات دافئة، منعشة، قال لي: ورغم كل هذا فإنني أسالك سؤالاً أدبيا، إذا أحببت عنه فإنك جدير بالدراسة في الزيتونة، فقلت له: أسأل ما تريد! فقال: كيف تُعرب (جثته غير متأخر)؟".

قال الراوي: "فقلت له في لهجة من الاستخفاف بسؤاله: جثته فعل وفاعل ومفعول به، فقال: إنما سألتك عن كلمة (غير) ما محل إعرابها في هذه الجملة؟ فقلت له: منصوبة على الحال.

فقال: ولكن الحال يشترط فيه أن يكون مشتقا و(غير) لفظ جامد؟ فقلت له: إنه مؤول، تقديره (مغايرا). فصاح: الله أكبر، لله درك، إن الجزائر قد أنجبت".

وعلق الراوي على هذا الامتحان اللغوي العسير الذي أدخله فيه الشيخ الطاهر حراث فقال: "كنت كلما لقيته بعد ذلك دعاني بسيبويه القرن العشرين".

ويزيد الراوي على ذلك فيقول: "وفي عام 1957م التقيت به بالمصادفة عندما كنت داخلا إلى إحدى المكتبات قريبا من جامع الزيتونة، فكان الشيخ واقفا مع صاحب المكتبة، فقدمني الأول إلى الثاني في كلمات معبرة هذا بعض ما أذكره منها: إنه نمط متميز لابن الجزائر، وهبه الله صفات لم يهبها لكثير غيره، إنه يمتاز بقوة في الروح تقهر النفس، وقوة في الخلق تقهر الغريزة، وقوة في الفكر تصنع العجائب". وعلق الراوي على ذلك فقال للشيخ: "هذا كثير، حسبك أن تقول: إنني جزائري زيتوني". (1)

وواصل الراوي حديثه فقال: "وعندما استأذنت صاحب المكتبة في الانصراف، ألقى عليّ الشيخ الطاهر حراث هذا السؤال اللغوي: ما هي الأفعال التي لا تبنى إلا للمفعول؟ فقلت له: إنها ستة أفعال هي: أعجب، زكم، هرع، امتنع، احتقر، واستشهد".

قال الراوي: "فالتفت إليّ صاحب المكتبة وقال له: أرايت أبناء الزيتونة كيف يشرفون العربية؟ قال: وخرجت شاكرا على حسن ظنه بي وأنا لا أستبعد أن يكون الشيخ قد أراد بسؤاله هذا أن يختبرني من جديد".

لقد كان الشيخ الطاهر ذكيا نكاء وقادًا، نشيطا نشاطا أهله للتقلب في مناصب الثورة عندما كان في تونس من عام 1957م إلى عام 1962م، ففي هذه الفترة ألقت السلطة التونسية المحلية في الحدود القبض على بعض المجاهدين وقافلة من الجمال، وقد

أين (صبري) من يذكر اليوم صبري بعد أعوام عزلة وشهور اسألوا الشعر فهو أعلم هلا أكلته الأسماك طي بحور

لقد كان للشيخ قلم سيال وأسلوب بديع وفكر حر يتجدد مع الزمن، فلقد أجمع كل من عرفوه على أنه كان شاعرا فحلا وأديبا مرموقا من أدباء الجزائر المفوهين، ولن يُذكر الشعراء الفحول والخطباء اللسنون في الجزائر إلا ذكر معهم الشيخ الطاهر حراث.

وقد دخل الشيخ في شريط ذكريات كل من تتلمذوا له، أو عرفوه في الحياة العامة، فقد حدّثني عنه الأستاذ محمد فارح اللغوي الضليع قال: "كان هذا في جبل عرفات عندما ألقى الشيخ الطاهر حراث خطابا في الحجيج الجزائريين علق عليه بأغلظ الأيمان قال: والله إنه كان خطابا لا يليقه إلا هو".

أما بعض من تتلمذ له في مدينة غنابة (وهو اليوم في الجمارك) قال عنه: سألت الشيخ ذات يوم طالبين في القسم أن يعرفا البلاغة فلم يحسنا الإجابة، فناداهما إلى المنصة وأعاد عليهما السؤال فلم يحسنا الجواب كذلك. فلطم الأول على خده الأيمن وقال له: البلاغة أن تسأل فتجيب، ولطم الثاني على خده الأيسر وقال له: وأن تجيب فتصيب".

تشددت تلك السلطة في موقفها، فأفشلت كل محاولة من جانب المجاهدين لاسترجاع تلك القافلة.

وعندما تقابل وفد رسمي عن الثورة مع السلطة التونسية كان الطاهر حراث هو الذي يقوده، فإنه قال للوفد التونسي: "إنني لا أسألكم عن الجمال ولكنني أسألكم عن المجاهدين إن كنتم بعتموهم للجيش الفرنسي؟" فتفاجأ أعضاء الوفد التونسي بهذا الجواب المفحم وأمروا بإعادة المجاهدين والجمال إلى الوفد الجزائري. (2)

نعم لقد تقلب الشيخ في بعض هذه المناصب ما أهله له كفايته العلمية وحدها بالتقلب حتى إذا أدركه استقلال الجزائر كان محافظا لحزب جبهة التحرير الوطني في ولاية عنابة، وفكر الشيخ ذات يوم في وضعه الحالي وما سيكون عليه مستقبله، فقرر العودة إلى ميدان التعليم، فكان مديرا لثانوية "عبد الحميد ابن باديس" وثانوية "رضا حوحو" بمدينة قسنطينة.

إنني أعتقد أن شخصية هذا الشاعر الرقيق قد عاشت صراعا نفسيا صامتا لم يخل من ألم ممض، فهو قد أحس ميلا أو شيئا من الميل إلى الصعود والترقي في مناصب الدولة، ولكن الأسباب لم تنهيا له أو قل إنها تهيأت له ولكن نفسه الذكية الوثابة لم تطاوعه في هذا الصعود والترقي، فانتهى إلى هذه العزلة الثقافية التي يصورها إسماعيل صبري في هذين البيتين:

- (1) تذكرني كلمة الزيتوني هذا التعليق على مقرر الولاية الثانية في المؤتمر الاستثنائي لحزب جبهة التحرير الوطني، فعندما كان يقرأ تقرير ولايته فإنه كان يلحن كثيرا، فقلت للشيخ الشبوكي الذي كان جالسا إلى يساري ما بال هذا المقرر كثير اللحن وهو متخرج في جامع الزيتونة؟ فأجابني قائلا: وهل كل زيتوني يعصر الزيت؟ ولكن شيخنا محمد الصالح الصديق يعصر الزيت ويقلبه.
- (2) وللأمانة العلمية نقول إن بعض الرواة ينسبون هذا الجواب لقائد الولاية الأولى صالح بن علي سماعيل.

وأما غير هذين هذين فقال لي: "كان ذلك في مدينة تونس عام 1957م عندما قلت للشيخ: أنت تعلمت العربية فلم لم تتعلم الفرنسية لتتخذ منها وسيلة للعيش؟ قال: فقال لي: يا حيوان! نحن نتعلم العربية لنجاهد بها".

كما حدثني عنه المجاهد إبراهيم جواوي قال: "عندما قرّر الشيخ العربي التبسي غلق المعهد فإنه جمع الطلبة وخاطبهم بقوله: بدءاً من اليوم فإن المعهد مغلق وليس في إضراب، لأننا ليس لنا حقوق نطالب بها حكومة فرنسا، إن الجهاد أصبح فرضاً وإن كل واحد منكم اليوم مطالب بالنهوض بشعيرة الجهاد".

أما الشيخ الطاهر حرّاث فإنه قال: "أبنائي، اليوم نودّع بعضنا بعضاً"، وأنشد على مسامعنا هذه الأبيات:

وطني بالدم الزكي أفديكا

يمينا شريفة وعهودا

وطني إننا ضحاياك في السلـ

م وفي الحرب بغية أن تسودا

فاتخذنا إذا أردت سيـوفا

وأحرقن إذا أردت وقودا

وعندما ألفت السلطة العسكرية الفرنسية القبض على الشيخ امحمد الشبوكي من مدينة الشريعة ونقلته إلى مدينة قسنطينة حيث أدخل السجن، زاره الشيخ الطاهر وقال له: "إنهم سينقلونك إلى المنفى وإني أنصح لك أن تعود إلينا من منفاك محملاً بديوان من الشعر أقترح عليك أن تجعل له هذا العنوان: (من ذوب القلب)".

ولما طالت مدة المنفى بالشيخ فإنه ناجى صديقه الطاهر حرّاث بهذه الأبيات:

نجي الفؤاد صديق العُمر

ويا طاهر القلب يا خيربر

ككيف الرفاق وآمالهم

وما جدّ في جوهم من خبر

فإني وإن كنت في عزلي

بجرف المسيلة وهي القدر

أعيش بروحي مع رفقتي

وأُشدّ فيهم نشيد الظفر

وعندما كان الشيخ محافظاً لحزب جبهة التحرير الوطني في ولاية عنابة، فقد جاء هو والشيخ امحمد الشبوكي مدينة قسنطينة



ذات يوم، وكان ذلك عندما دخل عليّ كبير الحرس في المكتب فقال لي: "إن الشيخين: امحمد الشبوكي والطاهر حرّاث بالباب يريدان مقابلتك".

فقلت له: "عد إليهما بسرعة وآتني بهما على عجل".

وجاء الشيوخان، وبعد الترحيب بهما سألتهما عن سبب زيارتهما. فقال لي الشيخ الطاهر: "إن دعاية كبيرة انتشرت في الأوساط الرسمية والشعبية في بعض الولايات بأن الشيخ امحمد اتخذ موقفاً سياسياً مضاداً لانقلاب 19 جوان، وإننا جئنا لنشرح لقائد الناحية العسكرية الخامسة براءة الشيخ من هذه الدعايات وننفيها عنه نفياً قاطعاً"، فهتفت إلى قائد الناحية قلت له: "إن كُلا من الشيخ الشبوكي والطاهر حرّاث يريدان مقابلتك وإنهما عندي في المكتب"، فقال لي: "إني أنتظرهما فليأتيا"، فصحبتهما إليه ورجعت إلى مكنتي.

وبعد وقت وجيز عاد إليّ بعد أن أقمنا قائد الناحية ببراءة الشيخ.

ولما حان وقت الغداء صحبتهما إلى نادي الضباط. وعندما كنا منكبين على الأكل فإن الشيخ الشبوكي كان ينشد على مسامعنا قصيدة شعرية طويلة، تنتهي قافيتها دائماً هكذا: "آية". كنتُ أتابع الشيخ بشغف كبير لما يلقي على مسامعنا، ولكن الخبز كان قد فرغ من الطاولة فتوقّف الشيخ الطاهر عن الأكل لحظات في انتظار أن يتمّ الشيخ قراءة البيت الذي ينتهي بآية.

وعندما قال الشيخ "آية" حدّق إليّ الشيخ الطاهر وتبسم ضاحكاً وقال لي بصوت خافت: "والخبز في الكرباية"، فنادت الجندي الذي كان يقدم لنا الأكل: "أن أسرع إلينا بالخبز".

إنني أردتُ أن تكون هذه الكلمة محاولة أدبية تعبّر عن الجانب الأدبي في حياة الشيخ، ولكنني لم أقف له على آثار أعتمد عليها في إظهار مواهبه الأدبية وخطراته اللغوية. وقديماً قال أبو الطيب المتنبي:

عليم بأسرار الديانات واللغى

له خطرات تفضح الناس والكتبا

وكذلك كان للشيخ خطرات تفضح الناس والكتب ولكنها خطرات، للأسف الشديد، لم يتركها لا في الكتب ولا في دواوين الشعر، اللهم إلا ما يشهد له به من هذه الخطرات كلّ من عاشروه واحتكوا به.

وعلى الرغم من البحوث التي أجريناها قصد العثور على إنتاجه الأدبي فإننا لم نعثر إلا على قصيدتين اثنتين نشرهما بعض القراء في الشبكة العنكبوتية. (3)

أما القصيدة الأولى فإنه يصف في القسم الأول منها الصحراء وطبيعتها الخلابة.

وأما القسم الثاني فإنه يتحدث فيه عن جهاد أبنائها من أجل استعادة خيراتها الباطنية واسترجاعها من الاستعمار الفرنسي إلى الشعب الجزائري.

وعدّد أبيات هذه القصيدة واحد وعشرون بيتاً، مطلعها:

هنا لك حيث المساء الجميل

وحيث الهواء النقي العليل

فإذا واصلتَ قراءتها استوفك الوصف الدقيق لجمال المساء في الصحراء وهوائها النقي العليل يداعب رُباهاً وحزونها.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن سراب الصحراء والتيه بين تلالها وقوافلها التي تمشي الهويّنا وأمواج رمالها التي تتلأأ مع أشعة الشمس إذا كان النهار ونور القمر إذا كان الليل فيقول:

وحيث السراب وحيث الجمال

وحيث المتاهات بين التلال

(3) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين. إصدار مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. (إدارة التحرير)

وحيث القوافل تمشي الوئيد

وأما رمل كثيف تبيد

وعندما يصف شاعرنا صخور الصحراء فإنه يضيف عليها هذا اللون الأسود الذي نرى أنه قد اقتبسه من القرآن الكريم في قوله تعالى (4) **ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود** [فاطر:27] ولكنها غرابيب نبت فيها الشوك فيقول:

صخور مجللة بالسواد

وحيث النبات نبات القتاد

وإلى هنا ينتهي القسم الأول من هذه القصيدة بعد أن ركب بنا الشاعر ظهر هذه الفلاة العطشى ونحن كرمالها عطشى فإنه ينتقل بنا الآن إلى بطن الصحراء التي أسالت خيراتنا لعاب المستعمرين، فيخصص القسم الثاني من القصيدة لنضال أبناء الصحراء وجهادهم المستميت رغم قساوة طبيعتها فيقول:

رموز التحدي بتلك الوهاد

حياض حوت ثروات البلاد

هناك الكنوز هناك المراد

هناك علت صيحة للجهاد

وقد أعلن الشعب شعب الكفاح

وشعب السلام وشعب السلاح

لتحرير صحرائنا الماجدة

وسرنا جميعا نشق الطريق

إلى حقنا دون عون الرفيق

وكان الحوار الشريف الدقيق

وكان القرار الوفي العميق

بتأميم ثروتنا الغالية

ويخاطب فرنسا فيصفها بأنها الشَّعب فيقول:

ألم تفهمي يا بلاد الشَّعب

بأن التحكُّم حكمٌ ذهب

وأنا عزمنا على أن نهب

ومنذ زمان لنيل الأرب

وأنا استعدنا سواقي الذهب

كأرض العناقيد أرض العنب

وإذا كانت هذه القصيدة تعبر عن نظرة الشيخ وأمله في أن تسترجع الجزائر حريتها واستقلالها موحدة وحدة ترابية، فإن القصيدة الثانية (خاطر ضرير) لسنا نعلم

شيئا عن الظروف العامة التي أحاطت بالشيخ فقالها. هل حرَّ في نفسه الألم الممض لأحد أقاربه الذي حلَّت به كارثة العمى فقال هذه

القصيدة يعزِّيه بها ويحنو عليه حنو القريب لقريبه، أم أنه قالها يريد أن يختبر شاعريته في التعبير عن هموم الآخرين. وهي تتألف من ثمانية عشر بيتا.

وهي تعبير صادق عما يحسه كل من فقد بصره وأظلمت الدنيا أمام عينيه بعد أن عرف جمال الدنيا وعاش منعما بحسنها يمعن النظر في آفاقها الرحبة، استمع إليه في هذا المطلع الجميل:

عرفتُ جمال ذي الدنيا صغيرا

وأمعنتُ التلمي في رباها

وعانقتُ الحياة بها كثيرا

وغازلتُ الغزالة في سماها

ونازلتُ الفوارس مستثيرا

وعاجلتُ النفوس على منهاها

وعاجلتُ المصاعب مستثيرا

وسابقتُ الكواكب في علاها

وبعد أن يتفنن الشاعر في وصف الحالة النفسية لهذا الضرير قبل أن تحل به آفة العمى فتحزن نفسه وتتألم ألما ممضا لهذه الظلمة التي أصبحت تلازمه ملازمة الظل للشيء، استمع إليه وهو يقول:

وها قد صرت بعدئذ ضريرا

تداعبني الحياة ولا أراها

فيا حزني على بصري وعزي

وأها للمصائب ثم أها

ويتذكر أيام حدة بصره عندما كان دليلا لكل سار في الليل وسار بالليل فيقول:

وكنتُ لكل سارية دليلا

أراقب سيرها وأرى عداها

أمد الطرف مخترقا طويلا

فأبصر بالنواب في سراها

أما بعد أن أصابته آفة العمى فإنه أصبح كثير التمثل، ولكن تمهله هذا لن ينفعه دوما،

شعرتُ وكنتُ منكسرا ذليلا

بأن النور في الظلماء تاه

ثم انظر إليه في هذا البيت البائس الحزين من البرء والشفاء عندما يقول:

وأن البرء أضحى مستحيلا

وأن النفس قد فقدت منهاها

هواجس ما استطعت لها بديلا

تلح علي يؤلمني بكاه

مشاعرُ ما عرفتُ لها مثيلا

سوى حزني سوى ألمي حكاه

هذا قليل عن ثقافة الشيخ في جانبها الأدبي يتجلى منها أنه كان أحد رجالات النهضة الثقافية الجزائرية في القرن العشرين التي كانت تتحدى الاستعمار الفرنسي، وإنه لا يسعنا في الأخير إلا أن ندعو الله سبحانه وتعالى أن يجازيه أحسن الجزاء على هذه الخدمات الجليلة التي قدّمها للغة العربية المظلومة في عقر دارها. كما أننا ندعو الله أن يوفق تلامذته وطلابه أن يواصلوا أداء رسالته العلمية التي فرغ نفسه لخدمتها، وعسى أن يجتهد الجيل الذي خلفه من بعده فينهض للبحث عن آثاره وبحوثه المتفرقة في الجرائد والمجلات لكي ينتفع بها القراء ويستفيدوا منها.

(4) **جدد**: جمع جُدة بضمة على الجيم، وهي ما كانت صخورا بيضاء اللون أو قريبة من البياض، أما الجدد الحُمْر فهي الحجارة الحمراء تكون في الجبال عادة.

غرابيب: جمع غريب، وهو اسم الشيء الأسود الحالك سواده وليس له مادة يشق منها، ولعله مأخوذ من الجامد وهو الغراب الذي عرف بسواد لونه.

سود: جمع أسود وهو الذي لونه لون السواد، فيقال: أسود غريب، ويقال أبيض يقق وأصفر فاقع وأحمر قان، ولا يقال: غريب أسود. التحرير والتتوير/ج22، الدار التونسية للنشر (تونس)، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، ص302-303.

الشيخ محمد الثابتي

حياته وآثاره

صلاح الدين بن نعوم | باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية



يُعد الشيخ محمد الثابتي السحنوني من بين علماء معسكر القرن الماضي، بل من بين علمائها الذين تفقهوا في المذاهب الأربعة، وتوسعوا في العلوم النقلية والعقلية، فضلا عن رحلته العلمية بالمشرق الحافلة بالتحصيل والمواقف، رغم ذلك، لا تزال الدراسات حول سيرته وآثاره قليلة جدا، فلم أقف إلا على دراسة وحيدة تطرقت لحياة الشيخ؛ ثم هذا المقال الذي يحاول كشف المزيد عن حياة الشيخ وآثاره من خلال مصادر جديدة.

الثابتي تدريسه العلوم العقلية من منطق وفلسفة وفلك، بعد أن عدّ له الأخير العلوم التي تلقاها في رحلته،⁴ وهذا شأن العلماء الربانيين الذين طلبوا علوما من تلامذته، ومثله فعل العلامة الحافظ **أبو راس الناصري** حين أخذ علوم اللغة والنحو على أحد طلبته.

تصوفه

أما في علوم القوم والحقيقة، فقد التمس منها سبيلا وبلاغاً، حيث اتبع الشيخ **الثابتي** الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وصام يومي الإثنين والخميس مذ كان في سن الخامسة والعشرين، فعُرف بـ "صايم الدهر"،⁵ كما سلك رحمه الله سبيل أولي الألباب والراسخين في العلم، من حيث التسليم اتجاه من أوتي الحكمة والعلم اللدني، وهذا ما يؤكد في نسخه وتعليقه على قصيدة ابن عمه كلاله الشيخ سيدي محمد بلوهراني التي مطلعها

رحلته العلمية إلى المشرق الإسلامي

التحق الشيخ **الثابتي** بالمدرسة "القادرية" بحاضرة بغداد ومكث بها أربع سنين،² تلقى فيها قطر الندى في النحو، والفقه على المذاهب الأربعة، والفلك والفلسفة والمنطق والحساب، ثم جال بأرض الشام (سوريا، فلسطين، لبنان والأردن)، وقصد اليونان في بحث واستقصاء في الفلسفة اليونانية القديمة، فتعلم بها اللغة اليونانية واللاتينية القديمة، ثم حجّ للمرة الثانية إلى البقاع المقدسة وعرج إلى القدس، وبها تعرض للتوقيف من طرف إنجلترا مشبوها بالتجسس.³

التحق الشيخ بعد ذلك بمعهد "الزيتونة" في تونس، وفيها اتصل بأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ووفودها من الطلبة، ليعود فيما بعد إلى زاوية العطار لدى شيخه، الذي وعلى جلالته قدره، وعلو مقامه ومشيخته، طلب من الشيخ محمد

نسبه

هو العلامة الموسوعي، الفقيه النوازلي، النحوي اللغوي، المنطقي الحيسوبي، سيدي محمد **الثابتي** بن عبد القادر بن محمد بن الحبيب بن عبد القادر الملقب ثابت بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن سحنون الشارف بن أحمد بن محمد بن سيدي أحمد بن علي الغريسي الثعباني التركماني الحسيني.¹

نشأته وتكوينه

ولد (رضي الله عنه) سنة 1905م، بدوار "السحانيين" من سهل "غريس"، حفظ في أول أمره القرآن الكريم، وأخذ علوم الدين واللغة على الشيخ سيدي بن شرقي بزاوية العطار بالشلف، وكان قد مكث بها عشرين سنة مذ كان عمره إثني عشرة سنة، ولما رأى فيه شيخه قوة حافظته، وسعة عقل، وصفاء ذهب، مع قابلية التلقي والاستيعاب، وجّهه إلى المشرق الإسلامي.

"يا شيخني يا شيخ دنق واش يصير..."، حيث قال الشيخ **الثابتي** في آخرها ما نصه: "والدافع في نظر هذا الكلام، لأنه ظهر ولم يبق منه إلا القليل، والشرعية تؤيده **﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾** والكرامات بنات المعجزات، والتسليم أولى بأولي الألباب، محمد الثابتي هـ"، وقد حدّثني حفيده عن كرامات لجده الشيخ **محمد الثابتي** شاهدها هو بنفسه.⁶

مشيخته

عاد الشيخ **محمد الثابتي** إلى معسكر وفي جعبته علوم من المغرب والمشرق، ليتولى التدريس بزواية "**سيدي أبي عمران البهلولي الخليلي**"، وتخرج على يديه كثير من الطلبة الذي ارتقوا إلى مصاف الشيوخ والأساتذة بالجزائر وتونس وغيرهما، وشارك في الحياة الثقافية العلمية والدينية بمعسكر، ترك خلالها بصمات ومواقف بارزة، فقد كان على المجمل ذو أقوال وأفعال، صداعا بالحق، محاججا نقادا، لا يخاف في الله لومة لائم، فخطاباته فترة الاحتلال لم تخلوا من نصرة ثورة أول نوفمبر المباركة، وبعد الاستقلال لم تخلوا من انتقاد ونصح رؤساء الجزائر ومسؤوليها الكبار، فضلا عن الخطابات الإصلاحية الموجهة للمجتمع.

ومن مواقفه العلمية ما ذكره الأستاذ **الجيلالي محمد** في منقبه، ونصه: "أن سألته يوما عن أحد العارفين باللغة يتحدى العالم أن يكون عربي واحد قادر على أن يعرب «لا إله إلا الله محمد رسول الله» على خمسة أوجه، فكان ردّه رحمه الله أن قال للسائل: صاحب هذا التحدي عُوِّلِم لا عالم، لأنه قد لا يعرف أن «لا إله إلا الله محمد رسول الله» تعرب على سبعة أوجه لا خمسا فقط وعربها لي على أوجهها السبعة، وسألته مرة أخرى في مرضه وهو ينيّف عن ثمانين، عن مسألة في النسخ والمنسوخ ولما كان متعبا عن الكلام قال لي عليك بالصفحة كذا من الكتاب كذا بالطبعة كذا من مكتبته الغنية"، وكان كلما حج استفتاه وناقشه كثير من أهل العلم بالحرمين في مسائل عديدة متعلقة خاصة بفقه الحج وقواعد اللغة العربية ونحوها أي ما يتعلق باللفظ اللغوي القرآني وفي فلسفة المتكلمين.⁷

آثاره

ترك الشيخ **الثابتي** آثارا وتآليف مختلفة، منها تأليف في فقه الحج على المذاهب الأربعة، وضع رحمه الله فيه بصمته من خلال إبداء آرائه الفقهية فيما يتعلق بمناسك الحج، خاصة في مسائل الهدي والفدية، فضلا عن ما اصطبغ به التأليف من صبغة تاريخية توضح بشكل كبير ما كانت عليه أحوال الحجاج وسياسة تسيير مناسكهم من طرف المملكة سنوات الثمانينات، لأن المؤلف رحمه الله اعتمد كثيرا في تأليف كتابه على المعاينة والتجربة خلال أربع حجات أداها.⁸ وله تأليف أيضا في نسب أولاد سيدي أحمد بن علي، وهو في ثلاث كراسات،⁹ وله مجموع خطابات إصلاحية ألقاها بمعسكر قبل الاستقلال وبعده،¹⁰ ونوازل كثيرة منها سبعة عشر فتوى في الطلاق غير الرجعي، وله تحقيق لبعض المخطوطات والكتب، مثل تحقيقه لنسخة مخطوطة من كتاب "**الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز**" لابن عمّه سيدي **العربي بن عبد الله شنتوف**، أكثره تصويب أو شرح في نسب أولاد سيدي أحمد بن علي الحسني الحسيني، ومن ذلك على سبيل المثال قول الشيخ **العربي** في تأليفه المذكور: "قلت أن سيدي أحمد بن علي خلف الجيلاني"، قال الشيخ **محمد الثابتي** معلقا على الهامش: "قوله أن سيد أحمد بن علي خلف الجيلاني ومحمداً، فيه اختصار ظاهر يدل عليه ما يأتي، صححه محمد الثابتي هـ"، ومن ذلك أيضا قول الشيخ **العربي بن عبد الله** في اللوحة الموالية من نفس

التأليف ما نصه: "ثم أن سيدي عبد الله وهو الرابع من أولاد سيدي أحمد بن علي"، قال الشيخ **محمد الثابتي**: "سبق قلم، وصوابه: وهو الرابع من أولاد سيدي سحنون وهو ظاهر، صححه محمد الثابتي هـ".¹¹

وللشيخ فتاوى ونوازل، تبين لنا مدى حرص الشيخ على المرجعية الدينية للجزائر بمذهبها المالكي، رغم أن الشيخ له اطلاع على المذاهب الأربعة، كما توضح هذه الفتاوى والنوازل تمكنه من المذهب المالكي ومعرفته بالاختلاف وإطلاعه على أمهات كتبه، مثل: "الموطأ"، "نوازل ابن الحاج"، "شفاء الغليل في حل مقفل خليل" لابن غازي المكناسي، "مصنفات ابن عرفة المالكي الأشعري"، "شرح مختصر خليل" لمحمد بن يوسف المواق، و"مواهب الجليل في شرح مختصر خليل" وغيرها. أما منهجه في نص الفتوى على ما وقفت عليه، فيبتدئ بموضوع الفتوى أو النازلة كعنوان، ثم يُعطي رأيه في المسألة باجتهاد منه مع ذكر القاعدة الفقهية التي استند عليها، أو إحالة إلى نص الفتوى من كتب الفقه المالكي، ثم يخوض في تفصيل المسألة وأوجهها، كذا أقوال العلماء فيها.¹²

وفاته

توفي الشيخ **محمد الثابتي** رحمه الله تعالى في 24 جانفي سنة 1994م،¹³ وضرّحه معلوم بمقبرة أولاد سيدي أحمد بن علي الغريسي بمعسكر.

الهوامش

- 1 محمد الثابتي، تقييد نسب أولاد سيدي أحمد بن علي الغريسي، مخطوط بخزانة السيد أحمد الثابتي، معسكر، لوحة 79 (ظهر).
- 2 وقيل سبع سنوات.
- 3 الجيلالي محمد، معسكر ومناقب أئمتها في القرن العشرين، نشر ابن خلدون، تلمسان، ص 37، 38. ورواية شفهية عن حفيده السيد أحمد الثابتي في أبريل 2019م.
- 4 المصدر نفسه.
- 5 عن حفيده السيد أحمد الثابتي، وانظر أيضا: الجيلالي محمد، المصدر السابق، ص 38.
- 6 تعليق الشيخ محمد الثابتي على قصيدة بلوهراني، مخطوط مصور بخزانة الوالد السيد محمد بن نعم، معسكر.
- 7 عن حفيده السيد أحمد الثابتي. وانظر أيضا: الجيلالي محمد، المصدر السابق، ص 38، 50.
- 8 محمد الثابتي، فقه الحج على المذاهب الأربعة، مخطوط بخزانة السيد أحمد الثابتي، معسكر.
- 9 محمد الثابتي، تقييد نسب أولاد سيدي أحمد بن علي، مخطوط بخزانة السيد أحمد الثابتي، معسكر، ج 1.
- 10 محمد الثابتي، مجموع خطب ودروس، مخطوط بخزانة السيد أحمد الثابتي، معسكر.
- 11 العربي شنتوف، مخطوط الحقيقة والمجاز، نسخة خزنة الشيخ محمد التهامي، تغنيف -معسكر-، لوحة 39 (ظهر) 40 (ظهر) 50 (وجه).
- 12 جواب الشيخ محمد الثابتي في مسألة ترتيب الفرائض من الصلوات، وثيقة مخطوطة مصورة بخزانتي.
- 13 حسب زيارتي الميدانية لمقبرة سيدي أحمد بن علي، مطمور، معسكر، ومعاينة شاهد قبر الشيخ محمد الثابتي رحمه الله.

إسهامات الشيخ محمد الصالح بن عتيق في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية

أ. عبد الكريم سناني | مفتش رئيسي - جيجل

مقدمة:

يعد البحث في الشخصيات العلمية والتاريخية الجزائرية في المرحلة الراهنة أمراً ضرورياً وواجباً أخلاقياً، حتى يتسنى لنا إبراز جهود هؤلاء العلماء الأجلاء وإسهاماتهم العلمية والمعرفية والنضالية، خاصة وأن حياتهم قد تكللت بنتائج علمية وفيرة ومتنوعة في مختلف الميادين، وعلى جميع الأصعدة؛ سواء تعلق الأمر بالنشاط الديني أو اللغوي أو التاريخي؛ وخاصة الجوانب المتعلقة بأسس ومقومات الهوية الوطنية.

والشيخ العلامة محمد الصالح بن عتيق من العلماء المخلصين الذين كان لهم حضور فعال، بتلك المجهودات الإصلاحية، فكان بذلك شمعاً احترقت لتتبرق السبل لأبناء هذه الأمة، ولتعبد الطرق وتذلل الصعاب؛ حتى يتمكنوا من القيام بواجبهم على أكمل وجه. وقد تجلّى ذلك وتبين في تلك القابلية للاستقلال والقابلية للتحرر من قيد وأغلال الاحتلال، والسعي والمضي قدماً في إخراجهم من أرض الإسلام والمسلمين. وما ثورة نوفمبر إلا امتداد لمجهوداتهم الإصلاحية ومجهودات إخوانهم ممن يتقاسمون معهم الغاية والهدف.

لقد ساهم أمثال هؤلاء الرجال بسلامة اللسان والقلم في شرق مجتمعتنا الجزائري وغربه شماله وجنوبه في غرس ثقافة العروبة والإسلام وثقافة شعب الجزائر المسلم وإلى العروبة ينتسب، وذلك من خلال تعليم النشء أمور دينهم، وتدرّيس تاريخهم وتمكينهم من لغتهم، لغة القرآن الكريم، هذا المقوم الأخير الذي أدركوا قيمته وأهميته ودوره في تحرير المجتمع فكراً وسلوكاً، ثقافة وأخلاقاً.

التعريف بشخص محمد الصالح بن عتيق:

مراعاة للمنهجية العلمية عند التعرض لشخصية من الشخصيات العلمية أو الثقافية



أو التاريخية أن نقدم صورة ولو موجزة وكانت هذه القرية (العارصة) تعاني من الفقر الشديد حتى أن الشيخ يروي في مذكراته أنه لم يشبع من طعام أبيض، فإذا رزق أحد من أبناء هذه القرية طعاماً أبيضاً فكأنما حاز الدنيا بأجمعها. وكانت أيام الشبع كما يذكر لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة في العام⁽²⁾.

فهو محمد الصالح بن الحسن بن المكي بن شعبان بن رابح بن داود بن سعد العتيق الشهير بابن عتيق ولد بتاريخ 4 ماي 1903⁽¹⁾، والكتابة في الكتاب جالسا هو وإخوانه نشأ وترعرع في قرية العارصة التي تبعد عن مدينة الميالية بنحو 5 كم شمال قسنطينة، ولما بلغ السادسة من عمره بدأ يتعلم القراءة

(1) توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية، تاكسوس تي في، ج2، جانفي -2015 الجزائر- ص 13.
(2) أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية، منشورات حلب، الجزائر، د ت، ص 31.

عشر فقد أباه ثم بعدها أمه، وأصبح بذلك يتيم الأبوين هو وخمسة من إخوانه وفي قرية جبلية ليس فيها سوى رعي الحيوانات.

تتقل بعد ذلك بين عدة زوايا منها: "الشيخ بورصاص" وتقع بمنطقة الخنق وتقع نحو 30 كلم شمال قسنطينة ثم زاوية "الشيخ الزواوي" في قرية "بن زياد" ثم زاوية "ابن زقوطة" بوادي العثمانية ومدينة ميلة (3).

ليلتحق بقسنطينة أين تتلمذ على يد ابن باديس وإخوانه، ثم التحق سنة 1927 بجامع "الزيتونة" بتونس وتابع دراسته حتى سنة 1932 حيث حصل على شهادة التطويح.

انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأسس جمعية وأنشأ مدرسة للتعليم في مدينة الميلية.

ونظرا للصعوبات التي كان يلاقيها من قبل الإدارة الاستعمارية من إبعاد للتلاميذ وتهديدات تلاحقه، عين الشيخ رحمه الله إماما مرشدا بالمسجد الكبير بقلعة بني عباس ومنها انتقل لفرنسا.

وفي سنة 1954 عين الشيخ بن عتيق واعظا ومرشدا بمدينة البليدة، والتي استمر عمله بها إلى غاية شهر أفريل 1956 تاريخ اعتقاله من طرف قوات الاحتلال، ف قضى السنوات الموالية منتقلا بين معتقلات البرواقية، أفلو، أركول بوهران بوسوي سيدي بلعباس، الدويرة، وأخيرا معتقل الشحامي بوهران إلى أن أفرج عنه سنة 1962 أيام قليلة قبل إعلان الاستقلال (4).

مساهمة الشيخ ابن عتيق في الحفاظ على مقومات الأمة:

1. الجانب التاريخي:

نهج الشيخ العلامة ابن عتيق، -باعتباره خريج المدرسة الإصلاحية- نهج أساتذته العلامة ابن باديس والبشير الإبراهيمي والشيخ مبارك الميلي فنهل من منهلهم وأخذ من مجمعهم، فسار على نهجهم، وما انحاز قيد أنملة.

لقد دافعوا -رحمة الله عليهم أجمعين- عن تاريخ الأمة وأصولها كما دافعوا عن حمى أرضها، ونجد هذا جليا فيما ذكره ابن عتيق في حديثه عن الشيخ مبارك الميلي وعن كتابه (تاريخ الجزائر القديم والحديث) وما

لهذا الكتاب من فائدة كبيرة في تصحيح الكثير من المفاهيم وتبيان حقيقة أصول الأمة ومأصولها، مستعينا بمقولة شكيب أرسلان "ما كنت أظن أن في الجزائر من يفري مثل هذا الفري".

ويذكر أيضا تعليق الإمام عبد الحميد بن باديس على كتاب مبارك الميلي، "كان من حقه أن يسمى حياة الجزائر" (5).

فقد صدق ابن باديس في وصفه هذا، فهذا الكتاب إن دل على شيء إنما يدل على أنه استطاع صاحبه أن يبعث الأمة من جديد وينفث فيها من روح الحياة، من خلال ربطها بأصولها ومصدرها، لذا كانت الأعمال الجليلة من قبل هؤلاء جميعا من المصلحين ومنهم الشيخ ابن عتيق، تصب في هدف واحد هو الحفاظ على الهوية التاريخية للمجتمع الجزائري.

لذلك نجد من المساهمات الفعلية العملية التي قامت بها جمعية العلماء وجسدها طلبتها منهم الشيخ بن عتيق أن جعلوا مادة تاريخ العرب الحديث مادة أساسية تدرس ضمن برامج مدارسهم الحرة ونواديهم، مؤكدين من خلالها أن جميع سكان شمال إفريقيا من أصل عربي يمجدون الفتوحات ويتذكرون إنجازات المسلمين في عصرهم الذهبي.

كما عد علماء الجمعية التاريخ بمثابة الجنسية الوطنية، ومما رُوي عن الشيخ المبارك الميلي (من أساتذة ابن عتيق) قوله: "عندما يدرس أبناء أمة تاريخهم؛ سيعرفون واقعهم، وإذن سيعرفون أن القومية الموجودة (الفرنسية) سوف لا تبتلع قوميتهم" (6).

كما أن أهم المساهمات الفعلية للجمعية هي وقوفهم ضد التجنيس، والمرابطية، والتمثيل النيابي، والاحتفال الفرنسي بالاحتلال المئوي، والقوانين الاستثنائية، وما شابه ذلك. ففي مسألة المرباطية يعتبرون الجمعيات الطرقية قد جاءت نتيجة الفهم المظلل للدين، وبذلك عارضوا كل مظاهر هذه الجمعيات من موسيقى ورقص واحتفالات دينية مشبوهة كالنحر عند القبور وغيرها.

كما اعتبر علماء الجمعية مسألة التجنيس أنها خطة لمحو الإسلام وعروبة الجزائريين، فكان كل متجنس محل شفقة وسخرية من طرفهم، ونجد هذا جليا في جريدة (الشهاب) (أكتوبر 1930) والأمر نفسه بالنسبة للاحتفال

المئوي الفرنسي، ودفاعهم المستميت عن حقهم المشروط في التمثيل البياني.

لقد أعلنت جمعية العلماء بصورة واضحة من خلال أبنائها ومن بينهم ابن عتيق، عن الوطنية الجزائرية وعروبته ودينها، وذلك ببعث تاريخ الجزائر، وأدبها وتعليمها (7).

2. الجانب الديني:

قضى الشيخ ابن عتيق معظم شبابه بل حياته داعيا إلى عبادة الله بمقتضى كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ، معلنا حربه على البدع والخرافات التي ألصقت بالعقيدة وأحكام الشريعة من قبل الاستعمار وأعوانه، فكان رحمه الله يعتمد في دروسه العقدية على ما اعتمد عليه شيوخه، من كتاب (أم البراهين) للإمام السنوسي وفي دروسه الأخرى المتعلقة بالسيرة النبوية على كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي، وكتب أخرى (موطأ الإمام مالك)، (أقرب المسالك)، (الرسالة)، (متن ابن عاشر)، (المفتاح)، وفي اللغة (قطر الندى)، و(الأجرومية)...

والمتمعن في هذه الكتب المختلفة التخصصات يجدها مالكية المذهب، وهذا يدل على المحافظة على الخيار الديني ذي الخصوصية الجزائرية.

كما أن ابن عتيق لم يساهم في عملية الإصلاح الديني داخل الوطن فقط، بل خارجه أيضا إذ أرسل بتوجيه من قبل الجمعية إلى فرنسا، بقيادة العلامة الفضيل الورتلاني، حيث قاموا بفتح نوادي علمية منظمة ببرامج محكمة للدروس والمحاضرات، وكان الإقبال عليها مشجعا. يقول الشيخ ابن عتيق في مذكراته: "لقد أدت هذه المؤسسات العلمية والدينية أكبر رسالة بين العمال وأنقذت منهم عشرات الآلاف من خطر يهددهم في كيانهم العقائدي والأخلاقي" (8).

فعلى الرغم من الصعاب التي كانوا يجدونها حتى في فرنسا من بعض المستهزئين والمحقرين من أبناء بلدنا الذين أخذوا نظرة سلبية عن علماء الجمعية، إلا أنهم برهنوا على كفاءتهم وقدرتهم على أداء الرسالة الدينية. يقول ابن عتيق في هذا الباب:

(3) محمد الصالح بن عتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية، ص 32، 33.

(4) توفيق بوزناشة، دليل الجمهورية، ج 2، 2015، الجزائر، ص 13.

(5) محمد الصالح بن عتيق أحداث ومواقف ص 51.

(6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، طبعة خاصة، دار الرائد، الجزائر 2009 م، ص 402.

(7) المرجع نفسه، ص 406.

(8) محمد الصالح بن عتيق أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية، ص 85.

"...وبينما كنا نواصل الحديث في إقناعهم لاحظنا معهم حركات ونظرات كانوا يتبادلونها وابتسامة صفراء من زعيمهم صاحب اللحية الطويلة التي تبعثرت شعراتها على ذقنه في تحاذل والتواء وذو العينين الغائرتين كأنهما خنفستان وقعتا في جحرين... وفي الحين أخذت في قراءة خطبة الكتاب مع الشرح وانتهيت إلى باب (رفع الحدث وحكم الخبث) إلى أن أتيت عليه سردا وكنت لحسن الحظ أحفظ جزءا كبيرا من المصنف، فدهشوا وأصابهم ذهول، فما تعودوا أن يروا شابا يرتدي الزي الأوروبي حاسر الرأس حليق اللحية يجتمع بخليل أو يعرف له مكانا ولو علموا أنني كنت قبل ملتحميا ومبرنسا لرموني بالإلحاد والزندقة، فالعلم عند هؤلاء في زي الإنسان وبزته وشواربه ولحيته فاقتنعوا ظاهرا ووعدوا بالحضور في الدرس على شرطهم فاتفقت معهم على تعيين الزمن..." (9).

3. جانب اللغة العربية:

مرت اللغة العربية بأسوأ مراحلها مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وبذلك ارتفعت نسبة الأمية والجهل في مختلف طبقات المجتمع الجزائري خاصة بعد صدور قانون 8 مارس المشوّم المعروف باسم قانون **شوطان Choutoune** نسبة لوزير الداخلية الفرنسي الذي ينص على أن اللغة العربية لغة أجنبية يجرم تعليمها وتعلمها (10).

وكما جاء في مقال للشيخ علي مرحوم في جريدة (البصائر) المعنون "محنة العربية في الجزائر" عبر فيه عن حال معلمي ومتعلمي اللغة العربية أمام محاولة الفرنسيين منع تدريسها وتعلمها، ودور المعلمين في المدارس الفرنسية الذين اتهمهم بالعمل على منع التلاميذ من تعلم اللغة العربية في مدارس جمعية العلماء، وبين الشيخ علي مرحوم أن فرنسا تريد القضاء نهائيا على العربية والإسلام (11).

في هذا الوضع المتأزم وفي هذه المرحلة الصعبة أدركت جمعية العلماء ومن يتقاطع مع مبادئها أن الأمر فيه خطورة، وبدأت ببناء المدارس الحرة في شرق البلاد وغربها، شمالها وجنوبها، وقامت بتأطيرها بطلابها النجباء، المتخرجين من الجمعية..

ومن هؤلاء الشيخ محمد الصالح بن عتيق الذي أرسل إلى قلعة "بني العباس" بعد أن كان

مستقرا في "الميلية" سنة 1934-1937م. أخذ الشيخ هذه الرسالة على عاتقه، وقام مع سكان المنطقة ببناء مدرسة لتعليم أبنائهم مختلف العلوم الشرعية بما في ذلك اللغة العربية، والذي يشهد على هذا العمل الذي ساهم في الحفاظ على مقومات الأمة رسالة **العقيد عميروش** عندما تولى قيادة منطقة "بني عباس" أثناء الثورة، حيث أشاد بعمل الشيخ ووصفه بالعمل الجبار.

حينما بعث إليه الرسالة مع السيد **علاوة السعيد** هذا جزء من نصها:

"جئت إلى القلعة فوجدت القوم على أتم الاستعداد لخوض معركة التحرير والالتحاق بالمجاهدين وبذل المال والرجال، يا ليتنا عملنا على نشر هذه المدارس في الوطن العربي إذا لاسترحنا من كثير من المشاكل التي تعترض سبيلنا اليوم" (12). والمعروف عن **العقيد عميروش** حبه الشديد للغة العربية.

كان الشيخ **بن عتيق** خطيبا بارعا وعظيما ذا لغة سليمة اكتسبها من مشايخه ومن رحلاته العلمية، فقد أخذ العربية وعلومها عن العلامة الشيخ الهادي بن القاضي كما تتلمذ على يد **الطاهر بن زقوطة** بقسنطينة وأخذ الخطابة عن الشيخ **حمدان لونيبي** وأجازه بذلك في مختلف علوم اللغة العربية.

فكان رحمه الله يكتب بعض الأشعار أحيانا والقصص أحيانا أخرى وله بعض المقامات فجاء في مذكراته انه لما كان في باريس سمع بعض من يمدح باريس:

فيقول أحدهم:

أهذه جنة الدنيا أم هي باريس

أملأنك سكانها أم فرنسيس

فأنشد خلاف هذا البيت قائلا:

أهذه خزية الدنيا أم هي باريس

أشياطين سكانها أم أباليس

وحينما وصل عائدا من باريس أنشد أبياتا قائلا:

ولي وطن آليت أن لا أبيع

وأن لا أرى غيري الدهر له مالكا

عمرت به شرخ الشباب منعما
بصحبة قوم أصبحوا في ظلالها
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

كما كتب رحمه الله في القصة والمقامة فكان له في ذلك الابداع الفني الموسوم بـ (المقرونة)، (الدلالة).

إن الشيء الملفت في هذه المرحلة وخاصة لما أشد الخناق على اللغة العربية، عمد رجال الجمعية ومنهم **ابن عتيق** إضافة إلى فتح المدارس والنوادي إلى وسيلة تعد في بالغ الأهمية، وسيلة يرى علماء الجمعية أن المرحلة الزمنية تقتضيها ولا غني عنها وهي الصحافة وبذلك لعبت الصحافة إلى جانب الوسائل الأخرى دورا بارزا من أجل تثبيت اللغة العربية الفصحى، واتفقت في هذا صحافة الحركة الإصلاحية وصحافة الطرق الصوفية والصحافة المستقلة، ورأوا جميعا، أن هذه الوسيلة سوف تعطي درسا يوميا للشعب عن اللغة الوطنية، وتساهم في تطوير اللغة العربية وتطويعها وجعلها مناسبة لشروط الحياة العصرية (13) بالخصوص عند ما تكون هذه الصحف، يومية ومستمرة دون انقطاع وغنية بالمواضيع المتنوعة من مقالات إلى مواعظ إلى دروس إلى شعر، إلى مقامات... إلخ، وهكذا وبداية من سنة 1927 ظهرت جريدة (المبشر) إلى (كوكب إفريقية) وجريدة (المغرب) والتي كان من كتابها **مصطفى الشرشالي**، و**عبد الحميد بن سماية** و**ابن الموهوب** و**المجاوي**، وبعد الحرب العالمية الأولى ظهرت (النجاح) و(الإقدام) و(المنتقد) ثم (الشهاب) و(البصائر) و(جرائد أبي يقضان)، وبذلك احتضنت عددا من كتاب المقالة، مع أن هؤلاء الكتاب جميعا لم يتخرجوا من معاهد الصحافة ولكنهم تملسوا في الميدان، وجربوا أقلامهم في صحف ليس لها كتاب غيرهم (14).

كما نجد أيضا أن محتوى هذه الصحف من مقالات أدبية إلى شعر إلى قصة ومقامات

(9) محمد الصالح بن عتيق أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية، ص 87.

(10) محمد الهادي الحسني، أحمد حماني أصالة ومعاصرة، منشورات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 57.

(11) البصائر، العدد، 271-316 السنة الرابعة من السلسلة الثانية، ط1 دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان 2005، ص 289.

(12) محمد الصالح بن عتيق مذكرات، ص 77.

(13) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجليل الثقافي، ص 28.

(14) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجليل الثقافي، ص 69.

وخطب قد تطور على يد العديد من الأقلام المعبرة منهم: **أحمد توفيق المدني**، و**حمزة بوكوشة**، و**رضا حوحو** ثم **الإبراهيمي** و**ابن باديس** وعددهم كثير.

فعلى الرغم من أهمية هذه الوسيلة الهامة والخطيرة والوسائل الأخرى التي أعتمد عليها العلماء في تثبيت اللغة العربية لم يكن للشيخ **ابن عتيق** مقالات عديدة(*) إلا أنه ساهم إلى حد كبير في إعداد الرجال الذين تمكنوا من استيعاب لغة الضاد واكتسبت ألسنتهم طلاقة لا رجعة فيها وألفوا العديد من المقالات والكتب ومما يؤكد هذا ما ورد في جريدة **(البصائر)** العدد "12" في مراسلة لرئيس شعبة جمعية العلماء المسلمين لقلعة بني العباس إلى مدير جريدة **(البصائر)** **الطيب العقبي** يقول فيها:

"... لقد من الله علينا وله الحمد بأستاذ جليل خبير بأساليب التربية والتعليم العصري ألا وهو الأستاذ محمد الصالح بن عتيق ولا غرو أنكم عرفتموه معرفة عين، وقد جد واجتهد وأخلص في العمل وفي مدة قليلة تقرب من العام ظهرت نتيجة عمله في تلاميذه والحال أنه يعلم ما يقرب من مائتي تلميذ غير أنه من فراسته قسمهم طبقات، وقد أقام تلامذته كعادة غيرهم من تلاميذ المدارس العصرية احتفالاً شائقاً في ثالث يوم النحر، وتليت فيه الخطب والمحاورات بين تلاميذه وأناشيد شعرية باللغة العربية الفصحى بالسنة طلقة لا عجمة فيها ولا عجرفة وتعجب الحاضرون لنبوغ أولئك التلاميذ وتحركت همم الآباء لما شاهدوه من نجابة أبناءهم" (15).

إن الشيخ **بن عتيق** رحمه الله قد نبغ بين يديه تلاميذ كانت لهم جولات بل صولات علمية ومعرفة وقيادية على مختلف الأصعدة والمستويات من بينهم الفيلسوف والعالم الجليل **مولود قاسم نايت بلقاسم** وآخرون والجميع يشهد ما قدمه مولود قاسم للغة العربية والثقافة الإسلامية فهذه المحبة والشوق للغة الضاد اكتسبها من شيخه **محمد الصالح بن عتيق** رحمهم الله جميعاً. زد إلى ذلك تلك المدارس والنوادي التي ساهم في بنائها في مختلف نواحي القطر الجزائري من قلعة بني العباس إلى الميلية إلى تيارت إلى سكيكدة إلى البليدة، متنقلاً بين مختلف المدن لا هدف يسعى إليه إلا الإصلاح والدعوة إلى الإسلام وإحياء الأمة ولغتها.

إلى جانب هذا فالشيخ **بن عتيق** له بعض القصص والمقامات وبعض الأشعار الرقيقة العاطفية القوية المعني ووضوح المقصد قد أشار إليها في مذكراته (16).

وقد سبقت الإشارة إلى بعضها. أما المقامات فقد أشار أن البعض منها أُلّف في أحد السجون ولم يبق منها إلا النادر، منها مقامة **(الداعة)**، **(المقرونة)**، كما كان **ابن عتيق** خطيباً بارعاً مقنعاً لمن يسمعه لا يقل شأناً عن أحد زملائه وهو **أبو يعلى الزواوي** الذي كان هو الآخر خطيباً بارعاً يستعان به في الأوقات الحرجة والمناسبات الدينية فكان **الشيخ العقبي** يسميه بشيخ الشباب وشاب الشيوخ.

ومما يؤكد ويبين هذه الإسهامات العظمى والعمل الجبار الذي قام به خدمة للدين والتاريخ واللغة أنه كان محل الثقة من قبل الجمعية فقد اختير رئيساً للجنة التعليم التابعة للمجلس الإداري لجمعية العلماء حيث ورد في جريدة **البصائر** مايلي:

"لقد قرر المجلس الإداري لجمعية العلماء في 1 أكتوبر 1936 تأسيس أربع لجان فرعية لأعمال خصوصية وهي لجنة الأدب ولجنة الدعاية، ولجنة التعليم، ولجنة الإصلاح الإجتماعي وقسم المشايخ على هذه اللجان مراعين في كل عضو اختصاصه القريب بأعمال اللجنة التي نسب إليها وكفاءته المشهورة المبنية على التجارب في العمل الخاص باللجنة والقوة النفسية التي يعدها كل عضو..."

- لجنة الأدب ترأسها بورنان الميلي (ميلة).
- لجنة الدعاية ترأسها السعيد صالح (قنزات).

- لجنة التعليم ترأسها محمد الصالح بن عتيق (القلعة) وكان من أعضائها محمد الطاهر الجيجلي.

- لجنة الإصلاح الإجتماعي ترأسها الفضيل الورتلاني (قسنطينة)". (17)

ومما يؤكد أيضاً هذه الإسهامات الكبيرة التي قدمها للغته ووطنه ودينه ثناء الشيخ **البشير الإبراهيمي** له وذكر مزاياه، فقد جاء في

مقال في جريدة **(البصائر)** **لعمار القلي** يتحدث فيه عن حفل افتتاح مدرسة خطاب بالميلية: "... في هذه الليلة فتح مدرسة خطاب رسمياً ومن الآن تعد مفتوحة لكل طالب وراغب، وبعدما أثنى الثناء العاطر على صاحبها ونوه بمزايا الشيخ محمد الصالح بن عتيق، ... وبأثره قام الأستاذ ابن عتيق فرحب بالشيخ الوافدين ثم جماعة المؤمنين المخلصين، وفي الأخير قطع على نفسه عهد الله ثم لجمعية العلماء على الإخلاص والتفاني في خدمة العربية والاسلام" (18).

الخاتمة:

لقد خاض الشيخ **ابن عتيق** ومن كان يتقاسم معه المبدأ والغاية غمار صراع صامت وحرب غير معلنة على مستقبل الجزائر وقد استطاع مع إخوانه المصلحين بإسهاماتهم الجبارة غرس شجرة العلم والتعلم والعمل والتقدم أصلها ثابت وفرعها في السماء آتت أكلها في وقتها بإذن ربها ورحم الله الشيخ **أحمد حماني** حينما قال:

"إن الشيخ صالحاً مثلاً لطلبة ومدرسة ابن باديس، إيمان قوي، دين صحيح، خلق متين، علم غزير، ووطنية صادقة، كفاءة نادرة عمل دائم ومستمر مع تواضع جم، إنكار للذات، ووفاء للأصدقاء والإخوان، وإخلاص في العمل".

ورحم الله الأستاذ **العسكري عبد القادر الياجوري** الذي قال فيه شعراً عندما حال بينهما جدار السجن الذي كان يفصلهما ولم يستطع توديعه:

غيض بحر العروض يابن عتيق

ودموعي تسيل سيل العقيق

ليت شعري يفيض مثل دموعي

فيعيننا على وداع الصديق

ولو أن الدموع تغرق ناري

فأكون الغريق وسط الحريق

ضاع شعري وضاع عمري وأنتم

يا زميلي أدرى بكل رفيق

وسلام عليكم ما أقمتم

أذهبت سلام داع شفيق

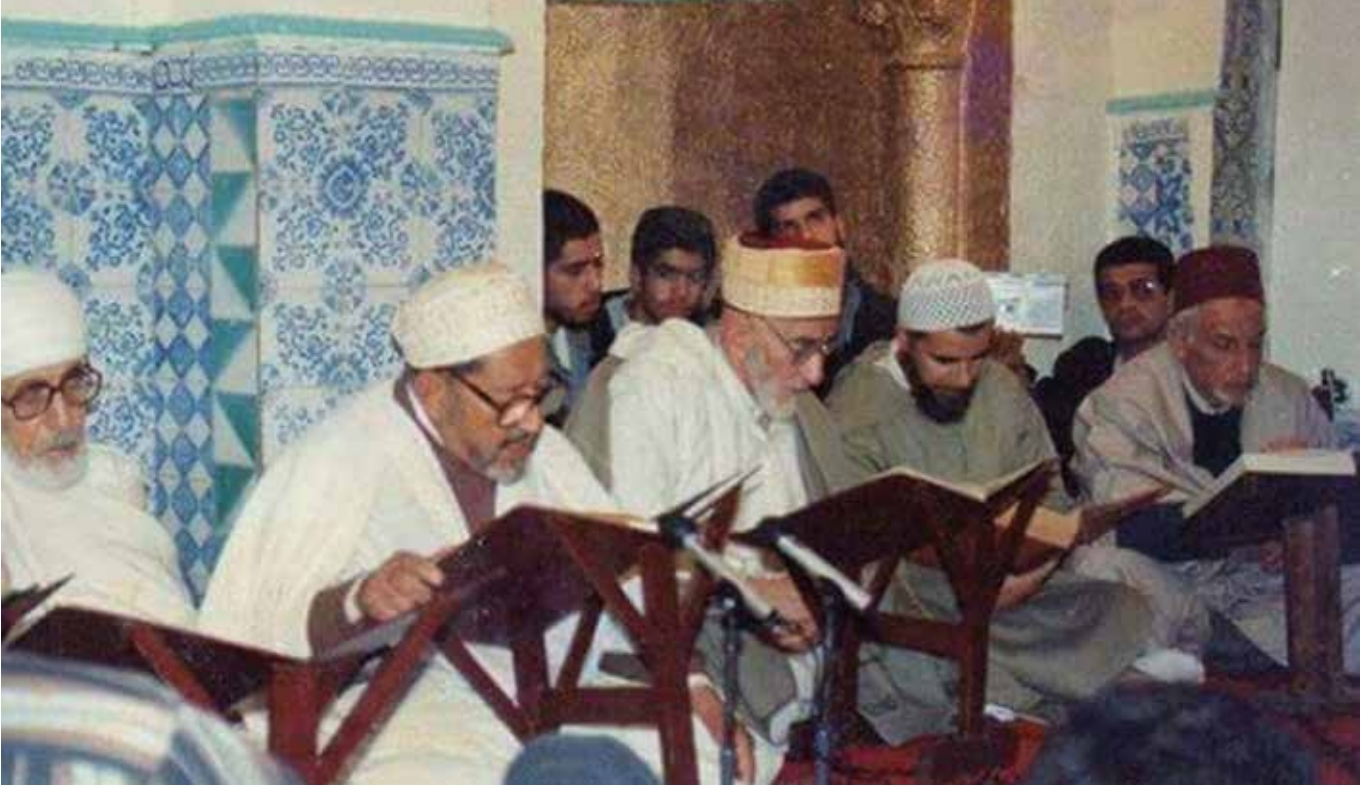
(*) لابن عتيق بعض المقالات منها مائدة كليسي رد فيها عن شبهات حول الشيخ الإبراهيمي انظر البصائر العدد 35 ص 6 السنة الثانية من السلسلة الثانية 1948 ومقال حول المناظر المجهول محمد الزاهي، مجلة 1 نوفمبر (15) البصائر، السنة الأولى، العدد: 1-50، ط. 2005، 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص. 99.
(16) محمد الصالح بن عتيق، أحداث، ص. 61-59.
(17) البصائر، السنة الأولى، العدد، 1 - 50، دار الغرب الإسلامي ط 2005 ج 1 ص 307، 310.
(18) البصائر، السنة الرابعة، السلسلة الثانية، العدد 136-180، ص 28

قراءة صحيح البخاري

في الجامع الكبير بالجزائر العاصمة

للشيخ محمد بن عبد القادر شارف رحمه الله

قرأه وعُني به تلميذه | الدكتور محند أو إدير مشنان



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن لـ "صحيح البخاري" مكانة كبيرة في منظومة الشريعة الإسلامية، فهو أصح كتاب بعد القرآن الكريم. وقد اعتنت به الأمة عناية عظيمة، واجتهد العلماء في روايته وحفظه، وتنافسوا في شرحه دراسة وتأليفاً، وامتد ذلك إلى عقد حلقات سرده قراءته، كما شاع في مساجد الجزائر عبر التاريخ، حيث كانت تعقد مجالس لقراءته، وخصوصاً خلال شهور رجب وشعبان ورمضان.

وممن كان له الدور البارز في المحافظة على هذه السنة العلمية الحضارية في وطننا الجزائر، شيخنا العلامة الفقيه سيدي محمد بن عبد القادر شارف رحمه الله، الذي كان

يشرف ويؤطر مجالس سرد البخاري في عدد من مساجد الجزائر العاصمة، وخصوصاً الجامع الكبير، وفي هذا السياق العلمي المتميز، كتب الشيخ مقالين مختصرين حول قراءة "صحيح البخاري":

تعريف موجز بالشيخ محمد شارف رحمه الله

قبل الشروع في عرض المقالين يحسن إفادة القراء بتعريف موجز بصاحبهما.

اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ الإمام العلامة محمد بن عبد القادر بن الحاج المدني، الذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وابن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) بنت رسول الله ﷺ.

ولد حوالي سنة 1908م/1325هـ، في مدينة مليانة التابعة حالياً لولاية عين الدفلى،

الأول: حول كيفية قراءة صحيح البخاري:

وهو عبارة عن رسالة موجهة للأستاذ العلامة عبد الرحمن شيبان، الذي استكتب الشيخ بهذا الخصوص، وكان وزيراً للشؤون الدينية وقتئذ.

الثاني: حول افتتاح قراءة صحيح البخاري

في الجامع الكبير: وهو كلمة ألقيت بمناسبة افتتاح "صحيح البخاري" في الجامع الكبير بالجزائر العاصمة عام 1401هـ/1981م.

ويسعدنا أن نضع هذين المقالين بين أيدي القراء في مجلة العصر الغراء، لتعميم الاستفادة منهما، وقد اجتهدت في إخراجهما،



[كيفية قراءة صحيح البخاري]

مؤلفاته: لم يهتم الشيخ رحمه الله بالتأليف

اهتمامه بالتدريس، ومع ذلك فقد ترك عددا من المصنفات، التي أكرمني الله تعالى بالعناية بها دراسة وتحقيقا، وطبعت برعاية وزارتي الشؤون الدينية والأوقاف، والثقافة في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، وهي:

1. فتاوى في الدين والأخلاق.
2. الكشكول: نقليات علمية وفقهية وأدبية واجتماعية وغيرها.
3. لغات قبائل العرب في القرآن الكريم.
4. مباحث في علم القراءات.
5. دروس في أصول الفقه.
6. السدل والقبض عند السادة المالكية.
7. مناسك الحج والعمرة مع فوائد مفرقة.
8. دروس ومبادئ في الصرف العربي.
9. الأمانة: حقيقتها وأنواعها.
10. مبادئ في فن المنطق.
11. خطب ومقالات وحوارات.

وينتمي إلى عائلة متوسطة الحال، معروفة بالتدين، محافظة على القرآن الكريم مشاركة في العلم.

نشأته العلمية ونشاطه التعليمي: حفظ

القرآن الكريم، وعمره حوالي 12 عاما، وتلقى مبادئ علوم اللغة والفقه في مسقط رأسه مليانة والمناطق القريبة منها، ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة سنة 1932م فواصل تحصيله العلمي، وأخذ عن عدة شيوخ منهم: أبوه الحاج عبد القادر بن الحاج المدني، والشيخ الحاج ابن سعادة، والشيخ احسين بلحاج بوغرة، والشيخ محمد وكال المعسكري الأزهرى، والشيخ ابن عودة، والشيخ عبد القادر بن سعدية، والشيخ عبد الله الدراجي، والشيخ نور الدين عبد القادر البسكري، والشيخ بن دالي محمود المعروف بالشيخ كحول.

وكان يحضر الدروس التي كان يلقيها أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نادي الترقى، من أمثال الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ الطيب العقبي. سخر الشيخ محمد شارف حياته كلها في خدمة الدين والعلم والوطن، وأمضى أكثر من 70 عاما في التعليم، وشارك في صفوف الثورة التحريرية المباركة، وفي هذا العمر المليء بالجد والاجتهاد، والحب والإخلاص، درّس الشيخ فنونا من العلم، كعلوم القرآن، والحديث، والعقيدة، والفقه، وأصوله، والنحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، والمنطق، والتاريخ وغير ذلك، وتكون عليه عدد لا يحصى من التلاميذ الذين صاروا من المشار إليهم بالبنان، والذين يساهمون في تنشيط الحركة العلمية في الجزائر.

إلى فضيلة الأخ المحترم الأستاذ عبد الرحمن شبان⁽¹⁾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فتلبيةً لطلبكم⁽²⁾ السديد، المتضمن البحث عن العادة المتبعة لدى قراءة رواية الحديث الشريف لـ "صحيح الإمام البخاري" رحمه الله في رجب وشعبان ورمضان، بالجامع الكبير بالعاصمة، وبعض مساجد القطر الجزائري.

إن العادة جارية منذ القديم من الترضي عن الصحابة والترحم على العلماء الذين ورد ذكرهم في سلسلة الرواية للمؤلف، ومن نسبة الرواية إلى صاحبها، كقول السارد للحديث الشريف: {وبه قال حدثنا}⁽³⁾.

فقد فتشت في أمهات كتب الحديث عن أصل ذلك فعثرت في شرح النووي لصحيح مسلم على أصل لذلك في مقدمة الجزء الأول، في النص التالي:

[فصل: يستحب لكتاب الحديث إذا مرّ بذكر الله عز وجل أن يكتب "عز وجل"، أو "تعالى"، أو "سبحانه وتعالى"، أو "تبارك وتعالى"، أو "جل ذكره"، أو "تبارك اسمه"، أو "جلت عظمته"، أو ما أشبه ذلك. وكذلك يكتب عند ذكر النبي ﷺ: "صلى الله عليه وسلم"، بكمالها لا رامزا إليهما، ولا مقتصرا على أحدهما.

كذلك يقول في الصحابي: "رضي الله عنه"، فإن كان صحابيا ابن صحابي، قال: "رضي الله عنهما".

وكذلك يترضى ويترحم على سائر العلماء والأخبار.

وفاته: بعد أكثر من قرن من حياة العلم النافع والعمل المتواصل في التربية والتدريس والإصلاح والدعوة إلى الله تعالى، انتقل الشيخ رحمه الله إلى بارئه، قبيل فجر يوم الخميس 1 صفر 1432هـ الموافق 6 جانفي 2011م، وكانت جنازته مشهودة حافلة بأعيان البلد من العلماء والأعيان والأئمة والطلبة المريدين والمحبين، وصلى عليه صاحب الفضيلة الشيخ العلامة محمد الطاهر آيت علجت، ودفن في مقبرة العالية في الجزائر العاصمة. تغمده الله برحمته الواسعة، وقدس سره، وأسكنه فسيح الجنان، وأسبل عليه عفوه وكرمه، ورفع درجاته في الصالحين، وألحقه بجوار حبيبه محمد ﷺ.

(1) هو الشيخ عبد الرحمن بن البشير شبان، ولد سنة 1918م بقرية الشرفة (البويرة)، وحج صغيرا سنة 1927م مع والده، أتم حفظ القرآن بزاوية الشيخ السحنوني، وبها أخذ مبادئ العلوم عن مشايخ الزاوية، ثم هاجر إلى تونس سنة 1938م بقصد طلب العلم، تولى رئاسة جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين سنة 1947م، وفي هذه السنة تحصل على شهادة التحصيل، التحق مدرّسا بمعهد الشيخ ابن باديس سنة 1948م، شارك في ثورة التحرير بقلمه، وبعد الاستقلال تولى عدة مناصب، أهمها منصب وزير الشؤون الدينية من سنة 1980م إلى غاية سنة 1986م، من إنجازاته: نشر تراث الإمام ابن باديس، شارك في تأسيس المجمع الفقهي الإسلامي في جدة، ثم بعد وفاة الشيخ حماني تولى رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1998م، وتوفي رحمه الله تعالى بعد مرض سنة 2011م. انظر ترجمته في: من أعلام الإصلاح في الجزائر (81/2 - 87) للأستاذ محمد الحسن فضلاء، والدالة في تاريخ علماء امشالة ص: 29 - 30 للشيخ إبراهيم مقلاتي.

(2) أي طلب الشيخ عبد الرحمن شبان رحمه الله بصفته وزيرا للشؤون الدينية، من الشيخ محمد شارف بصفته إماما للجامع الكبير بالجزائر ومشرفا على مجلس سرد صحيح البخاري فيه، التي بُنِّدَ في الأول من رجب، وتختتم ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، وما يزال العمل بها مستمرا إلى الآن.

(3) سيأتي بيان ذلك.

ويكتب كل هذا وإن لم يكن مكتوباً في الأصل الذي ينقل منه، فإن هذا ليس رواية، وإنما هو دعاء.

وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه، وإن لم يكن مذكوراً في الأصل الذي يقرأ منه، ولا يسأم من تكرار ذلك، ومن أغفل هذا حرم خيراً عظيماً، وفوت فضلاً جسيماً [انتهى بالحرف⁽⁴⁾].

وجاء كذلك:

[فصل: جرت العادة بالإقتصار على الرمز في "حدثنا"، و"أخبرنا"...] ⁽⁵⁾.

يقول المؤلف: [وإذا كان للحديث إسناده أو أكثر، كتبوا عند الانتقال من إسناده إلى إسناده (ح)، وهي حاء مهملة مفردة، والمختار أنها مأخوذة من التحول، لتحول من الإسناد إلى إسناده، وأنه يقول القارئ إذا انتهى إليها (ح)، ويستمر في قراءة ما بعدها] ⁽⁶⁾.

وبعد أن أورد المؤلف الخلاف في المقصود منها قال راجعاً إليها: [ثم هذه (حاء) توجد في كتب المتأخرين كثيراً، وهي كثيرة في صحيح مسلم، قليلة في صحيح البخاري، فيتأكد احتياج صاحب هذا الكتاب إلى معرفتها، وقد أرشدناه إلى ذلك، ولله الحمد والنعمة والفضل والمنة] ⁽⁷⁾.

وجاء كذلك: [فصل: جرت عادة أهل الحديث بحذف "قال"، ونحوه، فيما بين رجال الإسناد في الخط، وينبغي للقارئ أن يلفظ بها، وإذا كان في الكتاب: "قريء على فلان، أخبرك فلان"، فليقل القارئ: "قريء على فلان، قيل له أخبرك فلان".

وإذا كان فيه: "قريء على فلان أخبرنا فلان"، فليقل: "قريء على فلان، قيل له: قلت أخبرنا فلان". وإذا تكررت كلمة: (قال)، كقوله: "حدثنا صالح، قال: قال الشعبي"، فإنهم يحذفون إحداها في الخط، فليلفظ بهما القارئ، فلو ترك القارئ لفظ: قال، في هذا كله فقد أخطأ، والسماح صحيح، للعلم بالمقصود، ويكون هذا من الحذف لدلالة الحال عليه [انتهى المنقول⁽⁸⁾].

أقول: وعليه فالعادة المتبعة في سرد رواية الحديث الشريف عندنا هي جارية على الطريقة التي ساقها الحافظ النووي في شرحه على صحيح مسلم، وهي مأخوذة عن الأسلاف، وهي طريقة أهل الحديث الشريف، حكاهما النووي عنهما. وأما قول سارد الحديث الشريف: [وبه قال]، فإنما هو حاك وليس برأى، ومعناها:

"وبالسند للإمام الحافظ فلان قال: ..."، ثم يأتي به حاكياً روايته إلى آخر الحديث. ذكر هذا العلامة القسطلاني في إرشاد الساري لشرح "صحيح البخاري" ⁽⁹⁾، كما يعلم من تتبع سرده لرواية الصحيح. وبقي أن النسخة التي يقع السرد منها لـ "صحيح البخاري" عندنا بالعاصمة هي موحدة وليس فيها اختلاف، اللهم إلا التنبيه على شكل بعض الكلمات ⁽¹⁰⁾ الذي يخالف ما في بطن النسخة المسروبة منها الحديث، فهي بالهامش، وفائدة ذلك التنبيه فقط على أن هناك نسخاً أخرى جاءت بخلافها، ولا يضرب ذلك، بل ليستفيد السارد فائدة زائدة، والله أعلم.

كتبه محمد شارف

إمام الجامع الكبير

تحريراً في 06 رجب 1406 هـ

الموافق 17 مارس 1986 م

افتتاح قراءة "صحيح البخاري" في الجامع الكبير ⁽¹¹⁾

[1 - مقدمة]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين وتابعيهم من خادمي السنة النبوية، خصوصاً الإمام البخاري ومسلماً وجامعي السنن النبوية، وسائر العلماء الأتقياء والصالحين، وبعد، فيسرتنا قبل الشروع في سرد رواية الإمام البخاري رحمه الله وأجل عليه رضاه، أن نتوجه بالشكر الخالص إلى معالي وزيرنا

المحترم، وزير الشؤون الدينية، الأستاذ عبد الرحمن شيبان رعاه الله على اعتنائه بالقيام بهذا الواجب الديني الاجتماعي، ألا وهو الحرص الوكيد على الحفاظ على هذه السنة النبيلة، سنة أسلافنا رحمهم الله في العمل على نشر هذين الأصلين الأساسيين: الكتاب الكريم، والسنة النبوية الشريفة الطاهرة. كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى حضرات الإخوة الفضلاء الذي لبوا نداء الواجب الديني الذي يفرضه إيمانهم بإحياء ونشر معالم ديننا الحنيف.

هذا العمل الجليل، عمل سرد الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله، وإسماع روايته للجمهور، لهُو من أنبل الأعمال وأرفعها شأنًا، تخص عمارة بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ⁽¹²⁾، بالإضافة إلى تلاوة كتابه جماعياً بصوت مرتفع، حتى يسمعه المؤمنون كاملاً كما أنزل، وكما جمع في مصحف الخليفة عثمان (رضي الله عنه)، يسمعون كل شهر، حيث إن القراء المكلفين بقراءته يتلون منه كل يوم حزبين، حزباً قبل صلاة الظهر، وحزباً قبل صلاة العصر.

وأما "صحيح البخاري" فيسرد على ملأ من الجمهور، كل يوم من الساعة العاشرة صباحاً إلى أن يحين وقت الظهر، وقد رتبته السلف رحمهم الله على القراء المعيّنين به في الأشهر الثلاثة: رجب، وشعبان، ورمضان، يبتدئونه في أول رجب، ويختتمونه في السادس والعشرين رمضان، ليوافق ختمه ليلة القدر المباركة، رجاء أن يستجيب الله دعاء السائل ذي الحاجة من عباده، والله في أيامه نفحات يجب على العباد أن يتعرضوا لها، كما جاء ذلك في بعض أحاديثه عليه الصلاة والسلام ⁽¹³⁾.

(4) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (39/1).

(5) وتمايم كلامه: "... واستمر الإصطلاح عليه من قديم الأعصار إلى زماننا، واشتهر ذلك بحيث لا يخفى، فيكتبون من "حدثنا": "ثنا"، وهي التاء والنون والألف، وربما حذفوا التاء، ويكتبون من "أخبرنا": "أنا"، ولا يحسن زيادة الباء قبل "نا" ...".

انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (38/1).

(6) شرح النووي على مسلم (38/1).

(7) شرح النووي على مسلم (38/1).

(8) شرح النووي على مسلم (36/1).

(9) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (17/1).

(10) وزيادة بعض الكلمات أو نقصها عما في النسخة التي يقع السرد فيها. [الشيخ محمد شارف].

(11) كلمة ألقى في الجامع الكبير بالعاصمة في افتتاح سرد البخاري رحمه الله، تاريخ رجب 1401 هـ، [محمد شارف].

(12) يشير إلى قوله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [سورة النور/36].

ترجمة شعرية لسورة الزلزلة الأديب والشاعر الفرنسي الشهير فيكتور هيفو

La terre tremblera d'un profond tremblement,
Et les hommes diront : Qu'a-t-elle ? En ce moment,
Sortant de l'ombre en foule ainsi que des couleuvres,
Pâles, les morts viendront pour regarder leurs œuvres.
Ceux qui firent le mal le poids d'une fourmi
Le verront, et pour eux Dieu sera moins ami ;
Ceux qui firent le bien ce que pèse une mouche
Le verront, et Satan leur sera moins farouche.

Victor Hugo — La légende des siècles
Nouvelle série (1877) : IX. Avertissements et châtiments :
III. Verset du Koran

ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نقدم تعريفا مختصرا بهذا الإمام الفذ، الذي يعتبر جامعه من أصح كتب الحديث، وثاني اثنين في الصحة بعد كتاب الله تعالى، ولتلقى الأمة الإسلامية كلها له بالقبول التام، فنقول:

[2 - اسم الإمام البخاري ومولده ووفاته]

هو الإمام الحافظ الحجة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بَرْدِزْبَه الجعفي بالولاء، البخاري بلدا ومنشأ. ولد رحمه الله ببخارى يوم الجمعة ثالث عشر شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة النبوية (194هـ)، وتوفي ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين (256هـ)، عن عمر بلغ اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما⁽¹⁴⁾.

[3 - تخريجه لجامعه وكثرة شيوخه وتلاميذه]

وقد روي عنه أن قال: "خَرَّجْتُ كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث، في مدة ست عشرة سنة"⁽¹⁵⁾. وما وضعت فيه حديثا إلا اغتسلت وصليت ركعتين⁽¹⁶⁾.

هذا، وقد ذكر عنه أنه حفظ الحديث في صغره وهو ابن عشر سنوات، وقد كتب الحديث عن ألف وثمانين (1080) رجلا، ما منهم إلا صاحب حديث، كلهم يقول: الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص⁽¹⁷⁾. وأما الذين رواوا عنه فرجال كثيرون يبلغون مائة ألف (100.000) رجل⁽¹⁸⁾.

[4 - اجتهاده في العلم والعبادة]

وقد رزقه الله قوة الحفظ، فكان يحفظ وهو صبي سبعين ألف (70000) حديث سردا⁽¹⁹⁾. وكان رحمه الله يقوم في صلاة التراويح من رمضان بثلاث القرآن الكريم، يعني عشرين حزبا في الليلة الواحدة، وكان يختمه في كل ثلاث ليال⁽²⁰⁾.

[5 - مكانته العلمية]

وبالجملة فقد كان من عباد الله الصالحين، مجاب الدعوة، من الذين شملهم حديث المصطفى ﷺ القائل وقد زار البقيع يوما فسلم على أهل القبور، ثم قال: {وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ إِخْوَانِي}، رواه مالك في الموطأ⁽²¹⁾. فهو حقيقة من الذين عناهم الرسول الكريم، وكيف لا وقد أنفق جهده، وصرف عمره في تمحيص حديث الرسول ﷺ، واختيار الأصح منه.

[6 - خاتمة]

مكانتهم التي كانت لأسلافهم، والله يقول
سردنا هذا ليتذكر الأخلاف كيف كانت سيرة
الحق وهو يهدي السبيل، والسلام عليكم
الأسلاف، كي يتخذوها نبراسا يسرون على
ورحمة الله. ضوئها، إن أرادوا استرجاع عزهم واستعادة
وحرره محمد شارف.

(13) لعله يشير إلى حديث مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا}. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/180، رقم 2856)، وفي المعجم الكبير (19/233، رقم 519).

قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص220): "اختلف في إسناده". وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير.

(14) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (2/322)

(15) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (2/322)، تاريخ دمشق لابن عساكر (52/72).

(16) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (2/322)، تاريخ دمشق لابن عساكر (52/72)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (1/74).

(17) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (12/395)، فتح الباري لابن حجر (1/479).

(18) عن هذا العدد قال الفِرْزَبَرِيُّ تلميذ البخاري: "سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل".

انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (2/322)، تاريخ دمشق لابن عساكر (52/74)، سير أعلام النبلاء للذهبي (12/398).

(19) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (52/63)، سير أعلام النبلاء للذهبي (12/417).

(20) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (2/322)، تاريخ دمشق لابن عساكر (52/79)، سير أعلام النبلاء للذهبي (12/439).

(21) رواه مالك في الموطأ. [الشيخ محمد شارف]

يشير إلى وراه أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه {أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ذَا رَقِومَ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاجِفُونَ، وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي. وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ حَيْلٌ عَرُ مَحْجَلَةٍ فِي حَيْلٍ دُهِمَ بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ حَيْلَهُ؟} قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْغُصُوءِ. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ. فَلَا يَذَانُ رَجُلًا عَنْ حَوْضِي كَمَا يَذَانُ الْبُعِيرِ الضَّالِّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: فَسَحَقًا. فَسَحَقًا. فَسَحَقًا.

أخرجه الإمام مالك في الموطأ (1/29-30، رقم 28).

ومسلم (1/218، رقم 249/39).

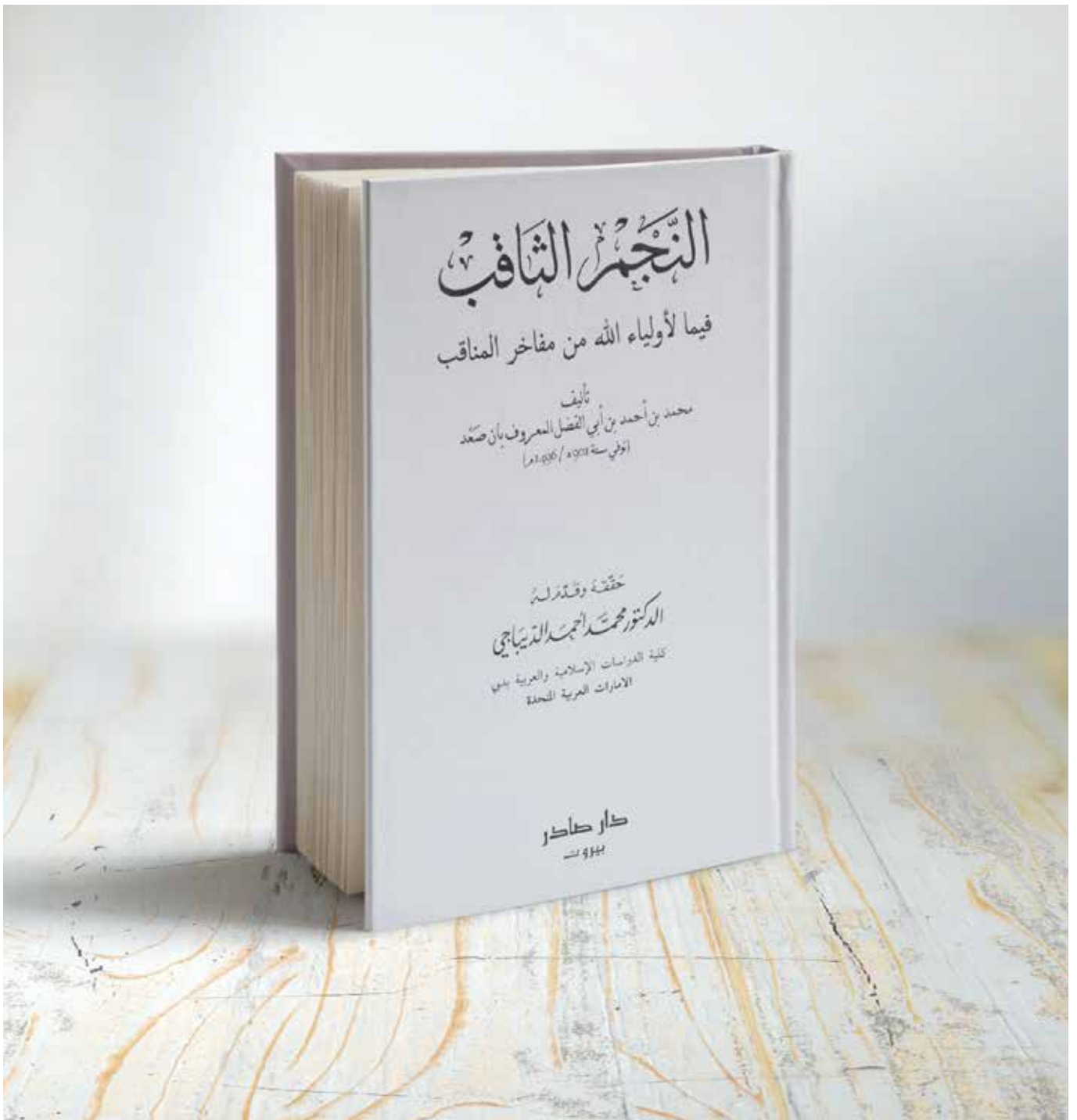
ابن الرقيق لا ابن الدقيق

نظرة في تحقيق كتاب

”النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب“

لابن سعد التلمساني

د. عبد الحكيم الأنيس | كبير باحثين أول عضو في هيئة كبار العلماء - الإمارات العربية المتحدة





من العلماء المؤرخين والأدباء: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق، المتوفى نحو سنة 425هـ، وقد ترجم له الزركلي فقال: "مؤرخ أديب من أهل القيروان". كان يلي كتابة الحضرة في الدولة الصنهاجية، واستمر فيها زهاء نصف قرن.

ورحل إلى مصر سنة 388هـ يحمل هدية من باديس بن زيري إلى الحاكم، وعاد إلى وطنه فتوفي فيه على الأرجح.

وصفه ابن رشيقي صاحب (العمدة) بأنه: "شاعر سهل الكلام محكمه، لطيف الطبع، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار، وهو بذلك أحق الناس" اهـ.

وقال ابن خلدون في (المقدمة): "ابن الرقيق، مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان، ولم يأت من بعده إلا مقلد".

ونعته ياقوت في (معجم الأدباء) "بالكاتب". وأورد أسماء كتبه، ومنها:

(تاريخ إفريقية والمغرب) - ط في تونس.

و(كتاب النساء).

و(نظم السلوك في مسامرة الملوك).

وله (قطب السرور في وصف الأنبذة والخمر) - ط جزء منه (1). أقول:

وكتابه (كتاب النساء) كان من مصادر ابن سعد التلمساني (ت 901هـ) في كتابه (النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب) (2).

وقد نقل عنه في الصفحات الآتية: (305)، (338)، (372).

ولكن تحرف اسمه على الأستاذ المحقق إلى "ابن الدقيق"، وظنّه ابن دقيق العيد! وترجم له مرتين:

مرة على أنه ابن دقيق العيد: أحمد بن علي المتوفى سنة 702هـ!

ومرة على أنه ابن دقيق العيد: موسى بن علي المتوفى سنة 685هـ! وهما أخوان.

وكل هذا خطأ، وهذا تفصيل ذلك:

1 جاء في ص 305: "حدث ابن الدقيق في كتابه" قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل لأبي جعفر...".

وعلق المحقق على ابن الدقيق بقوله:

"هو تقي الدين أحمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد".

وقد أخطأ في الاسم، وأخطأ في الترجمة. وحتى لو كان "ابن الدقيق" فأين هو من "ابن دقيق العيد"؟

2 وجاء في ص 338: "وفي كتاب النساء" عن الإمام أبي محمد اليزيدي...".

وسكت المحقق هنا.

3 وجاء في ص 372: "وحكى ابن الدقيق في كتاب النساء" أنه خرج أبو حازم يرمي الجمار...".

وقال المحقق: "في الأصل: ابن الرقيق. وهو تحريف صوابه من ط، ب.

وابن الدقيق هو موسى بن علي المعروف بابن دقيق العيد. تقدمت ترجمته في ص 88هـ، 6".

أقول: وما جاء في الأصل والذي عدّه المحقق تحريفاً هو الصواب بعينه، ولكن بقافين: (الرقيق) وليس (الرفيق).

والترجمة في الموضع المحال إليه وهي هذه: (ابن دقيق العيد موسى بن علي: فقيه أديب، وهو أخو تقي الدين أحمد بن علي المعروف مثله بابن دقيق العيد. توفي سنة 685 هـ. الأعلام 7/325) خطأ أيضاً.

وبعد: فإن تحريف "ابن الرقيق" صاحب (كتاب النساء) إلى "ابن الدقيق"، ثم الترجمة له على أنه (أبو الفتح تقي الدين ابن دقيق العيد) ثم (سراج الدين ابن دقيق العيد) أخطاء يؤسف لصدورها! وترتب على هذا الخطأ في الفهرس أيضاً، فحين ذكر المحقق (كتاب النساء) في فهرس الكتب الواردة في المتن ص 465 قال: "كتاب النساء لابن دقيق العيد 338، 372" (3).

وهكذا نُسبَ إلى الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد ثم أخيه سراج الدين ابن دقيق العيد ما ليس لهما، لِمَنْ قريب ولا مِنْ بعيد، وضاع المؤلف الحقيقي المؤرخ الأديب إبراهيم بن القاسم "ابن الرقيق القيرواني" (4).

(1) الأعلام (1/57). وقد طبع كتاب "قطب السرور" كاملاً بتحقيق سارة البربوشي نشر دار الجمل اعتقد 2010م.

(2) صدر عن دار صادر في بيروت سنة 1432هـ/2011م. بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد الديباجي.

(3) وفات المحقق أن يذكر في الفهرس الصفحة 305 فقد نقل فيها المؤلف ابن سعد عن الكتاب، وإن لم يُصرّح باسمه.

(4) وفي التراجم أخطاء أخرى، وما دُكر مثلاً منها.

نشرة الدكتور بشار عواد معروف

من التكملة لابن الأبار⁽¹⁾

بيان إيهامها وأوهامها وتصحيفاتها وأنواع الاختلال الداخل عليها

د. عبد الله الثوراني | أستاذ الحديث وعلومه بجامعة محمد الأول | المملكة المغربية

تقدمة

الاشتغال بتحقيق كُتب التراث الأندلسي له أصوله وشرائطه، وله رجاله وأهله، وأوفى شروطه وأبلغ مقتضياته المعرفة التامة بتقاليد الكتابة، والتوغل في طرائق الأندلسيين؛ تأليفاً وتصنيفاً، وتدقيقاً وتحريراً، مع الأمانة في النقل، والتثبت عند الاعتماد، والتروي في هذا المحصول من علومهم ومعارفهم.

وكتب الرجال الأندلسية شديدة الصلة بالمعرفة الحديثة التي بُني عليها هذا الفن؛ من معرفة الرواة، وأسمائهم، وأنسابهم، وكُنَاهم، وألقابهم، وفيهم الكثير من المشتبه الذي يتطلب معرفة عميقة بعلم الرجال وطبقات المحدثين، وفيهم ما هو من قبيل المؤلف والمختلف، والمتفق والمفترق، وغير ذلك من فنون الصنعة التي لا يقوم بها إلا صيارفتها ونقذتها.

وقد اعتور هذه الكتب الرجالية الأندلسية الكثير من الخلل والتغيير والتبديل، وعَبَثَ بأصول علومنا -بهذا الصقع المغربي الكبير- كثيرون؛ من الذين لم يحكموا صنعة التحقيق، ولا عرفوا محجة الطريق، وفيهم أسماء نابهة؛ لها شهرتها وسطوتها، غير أنها لم تكن من العارفين بهذا الشأن، وهو لا يلين لأي أحد، إلا لمن وفقه الله ويسر أمره.

من غير إغفال في التتبع والاستقصاء.

المبحث الأول: كتاب التكملة وخصائصه المعرفية والمنهجية

كتاب "التكملة" لابن الأبار ذليل وصله وتكملة، ظهر ذلك من تضاعيف الكتاب، وقد استدرك على ابن الفرضي وابن بشكوال الكثير من الرواة والفقهاء، وهو بعد حافل بالأخبار التاريخية، مفيد في التعرف على سيرة العلم بالأندلس في القرن السادس والسابع الهجريين.

ومن مميزات التي تجعله في مقدمة كتب الصلّات:

- احتفاؤه بالإسناد، وإيراده لنخبة منه في تضاعيف التراجم.
- تحويله على الإجازات العلمية، وإفصاحه عن ذلك.
- نقله المسهب عن كثير من كتب الرواية الأندلسية؛ مما يفيد في التعرف عليها، وتكوين صورة عامة حولها.
- إبرازه لصنعة النقد، واعتمادها في تراجم الكتاب.

ومن جملة الكتب التي مُنيت بهذه الرزايا كتاب "التكملة لكتاب الصلة"، للمحدث الحافظ الناقد أبي عبد الله بن الأبار القضاعي البُلَنَسِي، المتوفى عام 658هـ، فخرج إلى الناس في نشرات أربعة، تفاضلت فيما بينها وتمايزت بحسب الجهد المبذول فيها، غير أنها لم تكن على وفق العلم وهُداة.

وآخر نشرة لهذا الكتاب هي نشرة العلامة الدكتور بشار عواد معروف، وهي نشرة تميّزت عن غيرها، بما عُرف عن صاحبها من الإجابة والإتقان، والمعرفة العميقة بعلم الرجال؛ على كثرة فنونه وأوضاعه، وبعد مقابلتي لنشرته على ما تجمّع لدي من أصول الكتاب ونُسخه ومخطوطاته ظهرت لي أخطاء منهجية في التحقيق، وفي قراءة النص، وفي تفقيره وترقيمه، أُكِّدت لدي شكوكا كانت تحوم ولا أجد ما يُسند لها لزمان معتبر، وبعد هذه المقابلة ثبت لدي أن عمل الدكتور بشار ما هو إلا متابعة لعمل السابقين؛ خصوصاً نشرة العلامة الدكتور عبد السلام الهرّاس (يرحمه الله).

وقد جعلت هذه الدراسة في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، على رسم الإيجاز والاختصار،

1 قُدِّمَتْ هذه الدراسة في أصلها إلى المؤتمر الدولي الأول في: مناهج تحقيق المخطوط الشرعي المغربي الأندلسي، المنعقد بجامعة السلطان مولاي سليمان، ببني ملال، أيام 26-27-28 مارس من عام 2018م.

- اهتباله بالوراقة وطبقات الوراقين، والإفادة منها في تراجم الكتاب.
- استقصاؤه في تتبع الشيوخ والتلاميذ والمصنفات في سياق ذكره لأخبار مُترجميه.
- إحالته على كُتبه ومشاريعه العلمية التي اشتغل بها.

المبحث الثاني: نقد الدراسة

وهذا النقد متجه إلى جملة أمور:

1. طعنُ بشار في ابن الأَبار

ودراسة الدكتور بشار لكتاب ابن الأَبار دراسة مقتضبة جدًّا، يلمس القارئ لها أن المحقق لم يكن يعنيه أن يتقَّفر ما ينبغي له كُتبه وبَحْثه في سيرة الرجل؛ الذي كال له أنواعًا من الاتهام والقذح، وتلك عادة المشاركة في دراستهم لتراث المغاربة.

ولم يكن ابن الأَبار مرضيًا عند الدكتور بشار؛ لأنه مُداخل للأمرء والسلاطين، مسارع إلى الانحياش في زمريتهم والانطراح على أعتاب خدمتهم.

وتمنى الدكتور بشار أن لو اتَّجه ابن الأَبار -بعد سقوط بلنسية- إلى لَمْلَمَة جراحه بدل منافسة خاصة أهل تونس في وظائفهم ومراتبهم، ورجا أن يكون مقبلاً على شأنه بدل الدخول في أمور تُطَرِّقُ التهمة إليه، وتُطلق الألسنة عليه.

ولكننا لم نر لساناً غير لسان بشار في التعريض واللمز والتَّهمة بأنواعها، ولم نر غيره مسارعاً إلى ما سارع إليه من النفوذ إلى دخيلة الرجل، وإنشاقه الحنظل في معرض ذكره لسيرته ولحكمه عليه.

وقد ضرب هذا المحقق بكل ما قيل من ثناء في ابن الأَبار عرض الحائط، وجعله ظهريًّا، واستظهر بكلام متهافت لصاحب له في تلك النحلة المشرقية؛ ينزع به إلى ما قرَّره في صفحات الدراسة، وهو كلام الأستاذ حُسَيْن مؤنس في مقدمته "للحلة السَّيْرَاء" ¹.

قال الدكتور بشار: "وهكذا انتهت حياة هذا العالم الجليل الذي لم يعرف قَدْر نفسه والعلم الذي يحمله، غرَّته الدنيا فطلبها بكل ما أوتي من حول وقوة، فعاش قلقاً في الأندلس، ولم يحترم غربته في دار هجرته؛ فنافس أشياخ البلد الذي هاجر إليه، وزاحمهم بوظائفهم، فكانت هذه النهاية المفجعة التي كان يُمكنه تجنبها بالبصيرة والحكمة والرضى بما قَسَم الله له من العلم والمعرفة والمنزلة الأدبية

2. موارد التكملة

وهو فصل قصّر فيه المحقق تقصيراً بيّناً، فاستعجل الحديث، وختَّمه وهو لم يبدأ بعد، وعوض أن يذكر مصادر الكتاب صار ينقل أسماء بعض الأعلام المذكورين الذين عول عليهم ابن الأَبار في كتابه، وليس قصده ذكر الرجال؛ إنما قصده ذِكرُ الكتب التي ألفوها.

وهذه المصادر منقسمة إلى أقسام:

فمنها: الفهارس والبرامج.

• ومنها: الإجازات.

• ومنها: المكاتبات والرسائل والمخاطبات.

• ومنها: الفوائد المضمَّنة في أصولهم وكتبهم.

• ومنها: الفوائد التي شافوها بها غيرهم.

• ومنها: كتب التواريخ الأندلسية.

• ومنها: مؤلفات عامَّة وردت فيها إفادات تاريخية.

• ومنها: فوائد متصلة بصناعة النِّسَاجَة والنِّسَاج.

ولكن الدكتور لم ير كل هذا، وكأنه لا يهيمه أن يبحث وينظر ويُجِيل فكره لِيُشَيِّدَ دراسة تليق بالكتاب وصاحبه، ليس له من غرض إلا نشر نص الكتاب؛ للعائدة التي يجنيها، والفائدة التي يُحصلها، فمن يكون ابن الأَبار هذا حتى أُطِيلَ في دراسته وأستفرغ الوسع في بحث كتابه؟

ثم يقول بعد ذكره لأولئك الجمع: "إنَّ موارد ابن الأَبار كثيرة ومتنوعة .. وهي تستحق أن تخص بدراسة مفصَّلة مستوعبة، وهو أمر لا تحتمله هذه المقدمة الوجيزة" ⁷.

وإذا لم تكن مع كتاب "التكملة" وفي مقدمته فأين تكون؟ وأين موضعها؟ ومتى زمانها؟ وكيف يتهدَّى إليها الشادي والمستترشد الظامئ؟

3. وصف النسخ

وفات الدكتور بشار نسخة باريس من "التكملة"، وهي السفر الثاني من الكتاب؛ أصل أندلسي متقن، يضاهي المبيضة التي عول عليها المحقق في نشرته.

ولن يجد عدُوُّ ابن الأَبار أفحش من هذا الكلام إذا أراد أدبته، وتكفي هذه الجنابة لتشهد على عمل بشار في حق هذا الرجل الذي قُتل مظلوماً، وأراد بشار أن يزيده ظُلمًا إلى الظلم الواقع عليه؛ بحُكْم شديد على النفس، مُوغل في التشفي، وعامر بالأحقاد، وكان الدكتور في غنى عنه لو فطن، ولكنه ترك قلمه يفعل به ما يشاء.

وكل من ترجمه يذكر جلالته وأفضليته، وابن عبد الملك رغم شدة نقده الذي عُرف به لم يسعه إلا أن يقول فيه: "كان آخر رجال الأندلس؛ براعةً، وإتقاناً، وتوسعا في المعارف، وافتناناً، مُحَدَّثاً مُكثِّراً ضابطاً، عدلاً ثقةً، نافذاً يقطُّ، ذاكرةً للتواريخ على تباين أغراضها، مستبحراً في علوم اللسان؛ نحواً، ولغةً، وأدباً، كاتباً بليغاً، شاعراً مُفْلِحاً مُجيداً" ³.

وتعديل ابن عبد الملك لابن الأَبار لم يَرُقْ بشاراً، فقال ما قال، وسار على ذلك المنوال، وكيف يكون ثقة وعدلاً وهو بتلك الأوصاف التي استنتجها الدكتور؟

ولو كان ابن الأَبار من المستذلين لأنفسهم لكان حَذِراً في التعامل مع أمرء تونس، ولكنه كان يراهم قاصرين عمَّا بأيديهم، منتزعين غير مطيقين لما ينبغي أن يكونوا عليه، فأكثر من النكير عليهم، ومجابتهم بما يكرهون، وإخشان القول لهم، قال ابن خلدون: "وكان يُزري على المستنصر في مباحثه، ويستقصّر مداركه، فحُشِنَ له صدره، مع ما كان يُسخط به السلطان من تفضيل الأندلس وولاتها عليه" ⁴.

وفي سياقته لخبر قتله وقع للدكتور بشار تصحيف عجيب، مع ضبطه له بالحركات، وهو قوله: "أن يُقتل قَصْعاً بالرماح" ⁵، صوابه: "قَعَصاً"، كذلك وردت في كتب من ترجمه.

ومن الأمور التي عول عليها المحقق في حُكمه المتجني فيه عدم مشاركة ابن الأَبار في الجهاد ضد العدو ⁶، وهو يرى سقوط مدن وقواعد الأندلس، ولعل القارئ يحسب قائل هذا الكلام من المجاهدين المرابطين على الثغور، ومن المداومين على القتال نوذاً عن الإسلام وبلدانه، وما أشبه زمان ابن الأَبار بزمان بشار! ومثل هذه الفرية قد قيلت في أبي حامد الغزالي وفي غيره من علماء الإسلام.

1 الحلة السَّيْرَاء: (7/1).

2 مقدمة التكملة: (24/1).

3 الذيل والتكملة: (281/4).

4 أزهار الرياض: (206/3).

5 مقدمة التكملة: (23/1).

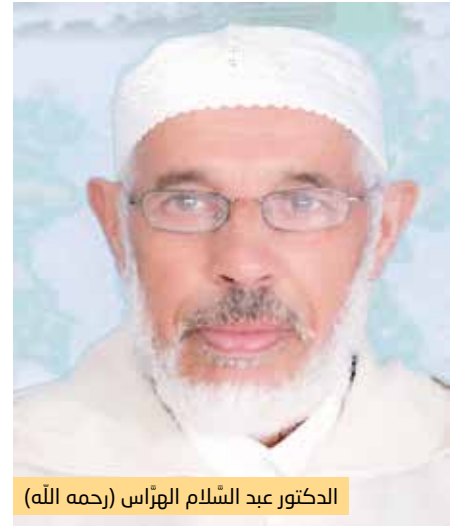
6 مقدمة التكملة: (20/1).

7 مقدمة التكملة: (31/1).

واعتبر الدكتور **بشار** أن نسخة الأمير **ابن حَكَم** هي الأصل المعتبر، وأهمل النسخ الأخرى، ولمَّا لم يقابل بها لم يدرك أهميتها، ولم يستطع تحديد نسبها وأصولها، فظنَّ أن نسخة الإسكوريال مشابهة للنسخة الأزهرية، والأمر على خلاف ذلك، فهي متطابقة تمامًا مع أصل **ابن حَكَم**، ولو عوِّل عليها لتجاوز كثيرًا من التصحيقات والتحريفات والأسقاط. وأوهم وصفه لأصل **ابن حَكَم** أنه اعتمد عليه وقابل به، وليس الأمر على ما أوهم، بل لم يلتفت إليه إلَّا عند ظهور ما يدعوه إلى الشك، فقد كان مُستندًا إلى نشرة الدكتور **عبد السَّلام الهَرَّاس** (رحمه الله)، فتابعه في أخطائه وتصحيقاته وأسقاطه، وهي كثيرة جدًّا.

المبحث الثالث: الأخطاء المنهجية لنشرة الدكتور بشار عوَّاد معروف
ويمكن حصرها في عشرة أخطاء، لكل واحد منها أمثله ونماذجه:

1. **التعويل على نشرة الدكتور عبد السَّلام الهَرَّاس**
وأكثر ما يُنتقد على هذه النشرة تعويلها على نشرة الدكتور **عبد السَّلام الهَرَّاس** من "**التكملة**"; دون ذكر ذلك أو الإشارة إليه،



الدكتور عبد السَّلام الهَرَّاس (رحمه الله)

وهو عيب علمي ومنهجي، وأمر يؤول إلى القول بعدم أمانة المحقق، فأن يتفق الدكتور **بشار** -على علمه وفضله- مع أخطاء نشرة **الهَرَّاس**، مع عدم وجود ذلك في الأصل الذي قال: إنه عوِّل عليه واستند إليه؛ يشكك في النشرة كلها، ويبعث على الريبة وسوء الظن، والإقبال على فحص النشرة ومقابلتها بالأصول؛ من أول الكتاب إلى نهايته.

6. **تغييره للأسماء وادعاؤه وجود التصحيح**

في النسخ
وتتفق النسخ في أحيان كثيرة على ضبط اسم، فيخالف هو ذلك، ويختار من عنده أو باعتماد كتاب آخر ليس من كُتب الأندلسيين، فيضبط الاسم على وقفه، وهو أمر لا يجوز في صناعة التحقيق، وغالب ما يُغيره يكون هو المخطئ فيه، وما في الأصول هو المعروف المشتهر، ولكن يختار من غير بيان ولا ترجيح ولا استدلال ما يخالف النسخ الصحيحة والمليحة، كما وقع له في اسم "**ابن فليح**"، فكتبه: "**ابن فليج**".

7. **إهماله للنسخة الأزهرية**
وهي تمثل الإبرازة الأولى للكتاب، وتنفرد بزيادات، وإن كان **ابن الأَبَّار** غير فيها وبدل، غير أنه كان يحسن إثبات تلك الزيادات أو الروايات في الهامش ليُستفاد منها؛ ففيها ما ليس في المبيضة المزعومة التعويل عليها.

8. **الاختلال الحاصل في متن الكتاب**
ومنه تقديم ما يجب تأخيرها وتأخير ما يجب تقديمه؛ لعدم معانيته للأصول المخطوطة، ومن أمثله: تقديم بعض التراجم، وحققا أن تكون متأخرة. ومنها: تأخير ترجمة **محمد بن محمد الأمي** 3، متابعه منه لنشرة **الهَرَّاس** 4، ولما أهمل النسخ وعوِّل على المطبوع لم يمكنه التيقظ لخطئه وخطأ الدكتور **الهَرَّاس**، وفوق اسم المترجم رمز التقديم (ق)، وفوق اسم المترجم المقدم عليه رمز التأخير (خ)، وبعدهما رمز (صح).

هذا الذي ورد في أصل **ابن حَكَم**، أمَّا في الأصول الأخرى فقد ورد على الصحة، وعلى الترتيب الذي رتبهُ المؤلف 5.

9. **متابعة بعض اختلالات الإبرازة الثانية**
وظهر ذلك في التراجم التي نُقلت عن مواضعها، وبعضها وقع الاختلال في نقله، فنقل بعض الغرباء إلى البلديين، وهذا يجعل المترجم معدودًا في الأندلسيين، والأمر بخلاف ذلك.

2. **إهمال النسخ الصحيحة للتكملة**
ولما عوِّل على نشرة الدكتور **عبد السَّلام الهَرَّاس** لم ير نفسه في حاجة إلى مقابلة الكتاب بالنسخ المعروفة، فأهمل نسخة الأزهرية إلَّا في أحيان قليلة، وأهمل نسخة الإسكوريال، وأهمل نُسختي الخزنة العامة بالرباط، ونسخة الخزنة الحسنية، وغالب هذه النسخ تُمثل الإبرازة الأخيرة للكتاب.

وذلك أن الحافظ **ابن الأَبَّار** قد أخرج كتابه "**التكملة**" إلى الناس في إبرازات، وكان دائم النظر إليه واستصلاح ما يحتاج إلى ذلك، وذكر ما يتحصَّل بعد مدة من الزمان؛ من شيوخ المترجمين، ووفياتهم، وضبط أنسابهم، وغير ذلك، وكذلك بقي إلى أن هاجر إلى تونس.

وإن كان أصل **ابن حَكَم** هو أعلى ما وصل إلينا من نُسخ "**التكملة**"، إلَّا أنه كان ينبغي أن يذكر الدكتور **بشار** في حواشي الكتاب ما يُمثل الإبرازة الأولى، وفي بعضها فوائد وزيادات.

3. **إهمال الطُّرر الموجودة ببعض النسخ**
وبعض النسخ قديمة جدًّا، وفيها علامات النفاسة، وفي بعضها فوائد في الطرر والحواشي؛ تُفيد في ترجمة المذكورين، ولكن **بشارًا** لم يعول على تلك النسخ، فمَنع قارئه من تلك الفوائد، وفي بعضها ذكر لتواريخ الوفيات التي لم يطلع عليها **ابن الأَبَّار**، وقد أفاد من بعض هذه الطرر الحافظ **عبد الحي الكتَّاني** في كتابه "**إعلام الحاضر والآت**" 1.

4. **إهمال ضبط الأسماء التي تحتاج إلى ضبط**
وأهمل أسماء كثيرة من قبيل المشكل، والقارئ الشادي لا طاقة له على قراءتها قراءة سليمة، وكان عليه أن يضبطها على الرسم المتعارف عليه.

5. **اختلاف الضبط في الاسم الواحد بين تضاعيف الكتاب**
وأمر آخر يراه القارئ لنشرة **بشار**، وهو اضطراب الضبط في بعض الأسماء، فتجد له أنواعًا متنوعة من الضبط في مواضع متفرقة من الكتاب، "**كابن غَلْنْدَه**"، فمرة ضُبط هكذا: "**ابن غَلْنْدَه**" 2، ومرة هكذا: "**غَلْنْدَه**"، وهو الصواب.

1. إعلام الحاضر والآت: (2/ق222).

2. التكملة: (3/219).

3. التكملة: (2/321).

4. التكملة: (2/121).

5. التكملة -الإسكوريال-: (2/53/أ)، باريس: (ق51/أ)، الحسنية: (ق97/أ).

10. التقصير في التعليق على النص

فغير قليل من الشعر لم يُخرجه، ولم يذكر مواضعه في كُتب الشعر والأدب، ويكون هذا الشعر مذكورًا بها، متداولًا معروفًا.

المبحث الرابع: أنموذج للتصنيف والتحريف والأسقاط واختلال الضبط

وهي كثيرة متعددة متنوعة، واخترت الاكتفاء بأمثلة قليلة ممّا اجتمع لديّ، دون إطناب أو إطالة في ذلك.

وممّا تصحّف عليه ألفاظ التواريخ، في ترجمة أبي الحسن اللواتي الفاسي: "ومولده سنة تسع وسبعين وأربع مائة"¹، تابع فيها نشرة الهزّاس². قلت: تصحّفت عليه التسعون فكتبها سبعين، صوابه: "سنة تسع وتسعين"³، كذلك وردت في الأصول.

ومن تصنيف التواريخ، ما جاء في ترجمة ابن رشاد القضاعي: "وكتبه من أصله في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة"⁴.

وهو تصنيف، صوابه: "في سنة ستة وثمانين وأربعمائة"⁵.

وإنما تابع بشار نشرة الهزّاس⁶، من غير أن يرجع إلى أصل.

وفي ترجمة عبد الودود بن سمّجون: "عقيلة أبي إسحاق الإسفراييني"⁷، وهو تصنيف؛ تابع فيه بشار نشرة الهزّاس⁸. صوابه: "عقيدة أبي إسحاق الإسفراييني"، كذلك وردت في الأصول، وهو المفهوم والمعروف.

وفي ترجمة ابن زيدان، سمّاه: "ابن زيدان"⁹، وهو تصنيف، وورد على الصحة في غالب مواضع الكتاب.

ومن الاختلال في نشرة بشار وقوع القلب في بعض الأسماء في سياقه لعمود النسب، كما وقع له في ترجمة ابن المجوم، وفيها: "عيسى بن قاسم"¹⁰، صوابه: "قاسم بن عيسى".

وفي ترجمة ابن الكمّاد: "كان مُتَحَقِّقًا بالعلوم على تفاريقها، متقدمًا في ذلك، مُتَفَنِّئًا، ناقدًا في غامضها"¹¹، وهو تصنيف، وكذلك هو في نشرة الهزّاس¹²، صوابه: "نافذًا"، كذلك هو في الأصول.

وجاء في نشرة بشار عند ترجمة أبي القاسم الملاح: "وشيوخُه الذين كتبت أسماءهم من خطّه مائة وستة وثلاثون، وفيهم من شيوخنا جماعة، وقال ابن الطيلسان: ذكر لي

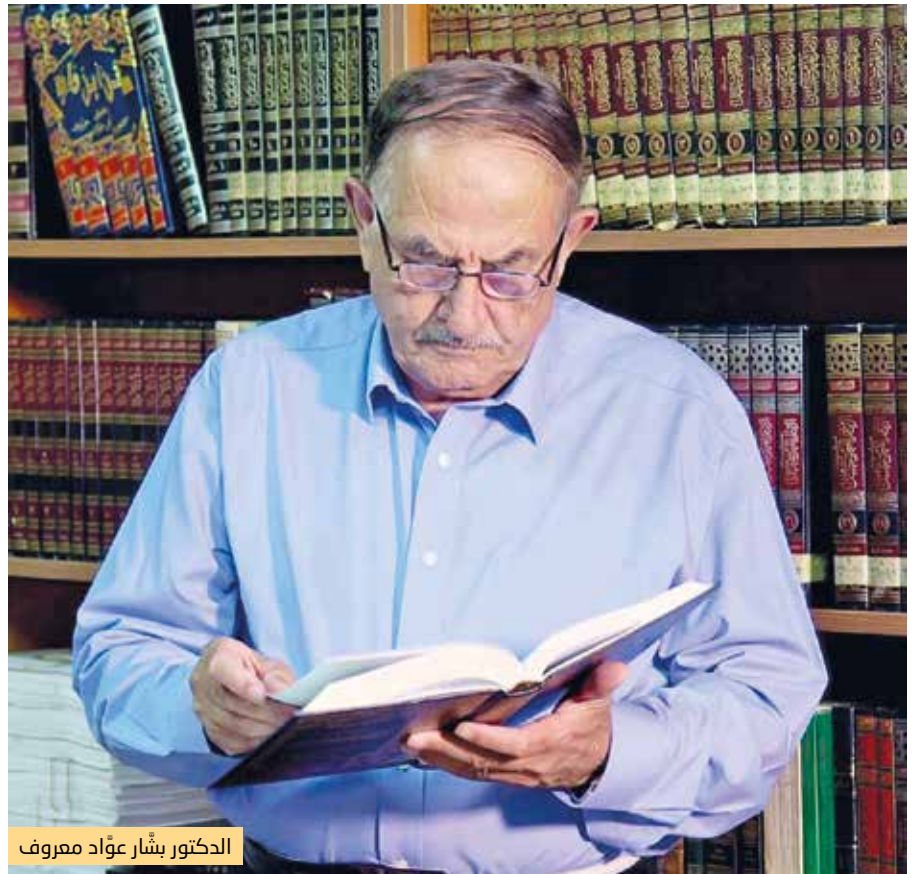
أنهم يزيدون على مائة وخمسين رجلًا"¹³. صوابه: "وشيوخُه الذين كتبت أسماءهم من خطّه مائة وستة وثلاثون، وقال ابن الطيلسان: ذكر لي أنهم يزيدون على مائة وخمسين رجلًا، وفيهم من شيوخنا جماعة"¹⁴. وسبب اختلال وضع تلك العبارة في غير موضعها متابعتها لنشرة الهزّاس¹⁵، ولم يلحظ علامة التقديم والتأخير المقيّدة فوقها، ولو أنعم النظر في الأصل الذي عوّل عليه لما وقع له هذا الاختلال.

وأسوأ ما في هذا الاختلال جعلُ كلام ابن الطيلسان كلامًا لابن الأبار، وربما قرأه الناظر في هذه النشرة فظن أن ابن الأبار شارك أبا القاسم الملاح في جملة من شيوخه، وغير بعيد أن يدّعيه باحث إذا لم يُحسن الفحص عن هذا الكلام والنقد له؛ اغترارًا بما في نشرة بشار.

وفي نشرة بشار: "سمع من أبيه وخاله وأبي إسحاق بن الحلاء"¹⁶.

صوابه: "سمع من أبيه وخاله أبي إسحاق بن الحلاء"¹⁷، كذلك ورد في الأصول الصحيحة.

ومن التصنيف: "الأرجفي"¹⁸. صوابه: "الأرجقي"، وتابع بشار نشرة الهزّاس¹⁹.



الدكتور بشار عواد معروف

- 1 التكملة: (407/3).
- 2 التكملة: (244/3).
- 3 أصل ابن حكم من التكملة: (ق78/ب).
- 4 التكملة: (83/4).
- 5 التكملة -نسخة الحسنية-: (ق193/ب).
- 6 التكملة: (116/4).
- 7 التكملة: (288/3).
- 8 التكملة: (143/3).
- 9 التكملة: (3/240).
- 10 التكملة: (3/199).
- 11 التكملة: (3/95).
- 12 التكملة: (2/290).
- 13 التكملة: (2/318).
- 14 التكملة -نسخة باريس-: (ق51/ب).
- 15 التكملة: (119/2).
- 16 التكملة: (317/2).
- 17 التكملة -نسخة باريس-: (ق50/ب)، والحسنية: (ق96/أ).
- 18 التكملة: (324/2).
- 19 التكملة: (124/2).

1. أنموذج للأسقاط:

ومن هذه الأسقاط التي أخلَّت بالمعنى وغيَّرت ما جاء في ترجمة ابن اليتيم: "وكتب إليه من أهل إشبيلية أبو إسحاق بن فرقد، وأبو محمد بن موصول نزيلها، وأبو بكر بن خير من سبته، وأبو بكر بن رزق"¹.

صوابه: "وكتب إليه من أهل إشبيلية: أبو إسحاق بن فرقد، وأبو محمد بن موصول نزيلها، وأبو بكر بن خير، ومن سبته أبو بكر بن رزق"².

وإنما تابع بشار نشرة الهرَّاس³، وتلك الواو الساقطة تحيل المعنى وتبدله؛ وتجعل أخذ ابن اليتيم من ابن خير إنما كان بسبته، ولم يكن بإشبيلية.

ومن الواو الساقطة أيضًا والمُحيلة للمعنى ما جاء في ترجمة ابن اليتيم -أيضًا-: "وأجاز له هو أبو عبد الله بن الرَّمَّامة"⁴، متابعة منه لما في نشرة الهرَّاس⁵.

صوابه: "وأجاز له هو وأبو عبد الله بن الرَّمَّامة"، كذلك هي في الأصول الصحيحة. ومما يدخل في هذا الباب الواو المزیدة، متابعة منه لنشرة الهرَّاس⁶، فمن ذلك: "ويعرف"⁷، صوابه: "يعرف"⁸.

2. أنموذج لاختلال الضبط

والأسماء التي اختلَّ فيها الضبط في نشرة الدكتور بشار كثيرة جدًّا، ويكفي في الدلالة عليها والإشارة إليها هذه الأمثلة.

منها: "ابن بُبال"، صوابه: "ابن بُبال". ومنها: "كان فاضلاً سنياً معدلاً"⁹، صوابه: "سُنياً معدلاً".

ومنها: "دلّية"¹⁰، صوابها: "دلّية". ومنها: "مجموعة"¹¹، صوابه: "مجموعه".

ومنها: "ابن حريق"¹²، صوابه: "ابن حريق". ومنها: "حكى"¹³، صوابه: "حكى".

وفي نشرة بشار: "محمد بن عبید الله بن غياث"¹⁴.

صوابه: "غياث"¹⁵، كذلك هي في الأصول الصحيحة.

ومنها: "أبو الحسين بن السراج"¹⁶، صوابه: "السراج"¹⁷، وذلك أنها ضبطت بشدة تحتها كسرة، فظنها كاتبها أنها عليّ وفق ما جرى به العمل اليوم، فكسّر ما حقه أن يُفتح، ولا تُفید الكسرة إلا إذا كانت الشدة تحت الحرف، لا فوقه، كما هي هنا.

ومما يُعابنه القارئ لنشرة الدكتور بشار تعدد طرق ضبط كثير من الأسماء، مما يدلُّ على اشتغال أكثر من شخص على الكتاب، وتقسيم الكتاب على جماعة من الباحثين والمحققين.

المبحث الخامس: أخطاء في التعليق على النص

ومن أخطائه في التعليق على النص ما قاله في تفسير قول ابن الأَبَّار: "كان شيخ المتكلمين على مذهب أهل الحق"¹⁸، عند ترجمة أبي العباس الزُّنقي، قال: "يعني:

المعتزلة"، وقد أبعد بشار بتفسيره هذا النجعة، وهذه العبارة تقال فيمن أتقن الكلام على طريقة الأشعرين.

خاتمة

هذا ما ظهر لي في قراءتي النقدية لنشرة العلامة الدكتور بشار عواد معروف (حفظه الله)، من غير قصد للتتبع أو الإيغال في ذلك، وقد اكتنف عمله الكثير من الأخطاء؛ التي مردها إلى عدم تعويله على الأصول المخطوطة إلا في القليل النادر، والاكتفاء بنشرة العلامة الدكتور عبد السلام الهرَّاس (يرحمه الله)، ولو أنه عوّل على الأصول الخطية للتكملة لكان عمله بالغاً الغاية، ولكنه لم يفعل، واكتفى بتنضيد النص وتفقيره ووضع الفهارس، ويبقى هذا الكتاب بحاجة إلى خدمة له تُظهره بالمظهر اللائق به، فكتاب "التكملة" لابن الأَبَّار يستحق الإجابة والإشادة، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

- 1 التكملة: (323/2).
- 2 التكملة -نسخة الحسنية-: (ق97/أ)، ونسخة باريس: (ق52/أ)، ونسخة الإسكوريال: (ق2/ب).
- 3 التكملة: (122/2).
- 4 التكملة: (323/2).
- 5 التكملة: (122/2).
- 6 التكملة: (120/2).
- 7 التكملة: (2/319).
- 8 التكملة -نسخة الحسنية-: (ق97/ب)، ونسخة باريس: (ق51/أ).
- 9 التكملة: (321/2).
- 10 التكملة: (323/2).
- 11 التكملة: (325/2).
- 12 التكملة: (326/2).
- 13 التكملة: (331/2).
- 14 التكملة: (319/2).
- 15 التكملة -نسخة الحسنية-: (ق96/أ)، ونسخة باريس: (ق50/ب).
- 16 التكملة: (402/3).
- 17 التكملة -الأزهرية-: (ق76/أ)، والحسنية: (ق64/أ).
- 18 التكملة: (117/1).

فهرس المصادر

- 1 اختصار التكملة، لأبي عبد الله ابن الذهبي، بخطه، نسخة محفوظة في المكتبة الوطنية بالجزائر، رقمها: (1735).
- 2 التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأَبَّار، نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط، رقمها: (1411).
- 3 التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأَبَّار، نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط، رقمها: (5049).
- 4 التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأَبَّار، نسخة خطية محفوظة بالإسكوريال، رقمها: (1675).
- 5 التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأَبَّار، نسخة خطية محفوظة بالمكتبة الأزهرية، عليها خاتم الخزانة، ولا تظهر تفاصيل الختم.
- 6 التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأَبَّار، نسخة خطية محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس، رقمها: (7089).
- 7 التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأَبَّار، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 2011.
- 8 التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله بن الأَبَّار، تحقيق الدكتور عبد السلام الهرَّاس، دار الفكر، 1415/1995.
- 9 الحلة السَّرياء، لأبي عبد الله بن الأَبَّار، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف، 1985.
- 10 الذيل والتكملة، لأبي عبد الله بن عبد الملك المراكشي، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة والدكتور إحسان عباس والدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 2012.

"توالي المِنَح في أسماء ثمار النَّخْلِ ورُتْبَةِ البَلَح"

للشيخ بدر الدين القرافي

تحقيق الدكتور علي القاسمي دراسة ونقد¹

د. يوسف عبدالله الجوارنة | جامعة طيبة بالمدينة المنورة قسم اللغة العربية



كانت شجرة النَّخْلِ -وما زالت- مباركة طيبة ذات قيمة عظيمة عند العرب قبل الإسلام وبعده، تشكل بعداً اقتصادياً وعصباً حيوياً في حياة الناس ومعاشهم، اعتنى بها الإنسان وأعطاهما جزءاً كبيراً من وقته، لأنها ما زالت إلى اليوم تشكل ثمارها غذاءً عضوياً متعدد المنافع؛ قال ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ): "وبركة النَّخْلَة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تبيس تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك يُنتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب، والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى" (1).

(ق: 10)، أي مترابطٌ بعضه فوق بعض، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النَّخْل: 67).

في الحديث النبوي

وقد اعتنى الرسول ﷺ بالنَّخْلَة، وجعلها قريبة من الإنسان أثيرة إليه، فعن ابن عمر قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا، وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ}. فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَة، فَاسْتَحْيَيْتُ. ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: {هِيَ النَّخْلَة}" (5).

لماذا هذا التشبيه بالنَّخْلَة؟ ذلك لأنَّ المسلم الحقَّ دائمٌ نفعه في كلِّ الأوقات وفي جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم: 24)؛

لذلك، اختصت هذه الشجرة في القرآن (2) بآيات كثيرة تبين فضلها وأهميتها وقيمتها في الحياة، منها قوله تعالى: ﴿وَهِيَ إِلَيْكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ نَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ (مريم: 25)، قال ابن وحشية النبطي: "وأما الرُّطْبُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ شَيْءٍ لِلنَّفْسَاءِ، وَهُوَ أَحْسَنُ دَوَائِهَا" (3).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾ (الأنعام: 141)، وقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قُطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد: 4)، والصَّنَوَانُ (4) : جمع مفردة صِنُو، ومعناه النَّخْلَتَانِ أو أكثر في أصل واحد، وغير صنوانٍ وحدها، ومثناه: الصَّنَوَانُ، بكسر النون.

ومثله القِنَوَانُ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ (الأنعام: 99)؛ فالقِنَوَانُ جمع كثرة مفردة قِنُو، وفي القلة: أَقْنَاء، وهو العِذْق، كالْعُنُقُودِ للعنب، وورد في القرآن بلفظ «العُرْجُون»، والعُرْجُون هو العِذْق أو القِنُو، والعُرْجُون عندما يبس يلتوي بشكل نصف دائري كأنه هلال آخر الشهر أو أوله.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٌ وَنَخْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ (الشعراء: 148)، أي لطيف لين. وقوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلُ بِاسْقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾

1 يهدف هذا البحث إلى مراجعة تحقيق الدكتور علي القاسمي لرسالة "القرافي" في "أسماء ثمار النَّخْلِ ورُتْبَةِ البَلَح" ونقده، على نسختين أخريين من نسخ المخطوط، مسبقة بدراسة تناولت مقدمة عن شجرة النخل وأهميتها، من خلال آيات من القرآن الكريم، وأحاديث من الهدي النبوي الشريف، وأبيات شعرية من التراث الشعري العربي. وتناولت أيضاً حديثاً عن الرسالة ومؤلفها، وتفصيلاً لأسماء ثمار النَّخْلِ وما يندرج تحت كل رتبة من مصطلحات وتفريعات، ومذيلاً بصور من النسخ المعتمدة في المقابلة والنقد.

فأصل دين المسلم ثابتٌ كَثَبَاتُ أصل شجرة النَّخْل التي ضربها الله مثلاً لكلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، وإن ما يصدر عنه -كما يقول ابن حجر- من العلوم والخير قوتٌ للأرواح مُستطابٌ⁽⁶⁾.

وعليه، فإن التشبيه الحاصل بين المسلم والنخلة متعدد الأغراض والمنافع، قال ابن قَيِّم الجوزية (ت751هـ) في حديث النخلة السَّالف: "ومنه ما تضمَّنه تشبيه المسلم بالنخلة من كثرة خيرها، ودوام ظلِّها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام"⁽⁷⁾.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "قال رسول الله ﷺ: {يَا عَائِشَةُ، يَبْتَ لَا تَمْرِ فِيهِ جِيعٌ أَهْلُهُ، يَابَ عَائِشَةُ، يَبْتَ لَا تَمْرِ فِيهِ جِيعٌ أَهْلُهُ، أَوْ جَاعَ أَهْلُهُ}⁽⁸⁾ قالها مرتين أو ثلاثاً"، وعن عدي بن حاتم (رضي الله عنه) قال: "قال رسول الله ﷺ: {ما منكم من أحدٍ إلا وسَيِّكُمُ الله يوم القيامة،... فمن استطاع منكم أن يتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ}⁽⁹⁾".

وخَصَّ رسول الله ﷺ تمر المدينة في حديثه، فعَنْ عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، أَنَّهُ ﷺ قَالَ: {مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا يَبْنِي لَابْنِيهَا حِينَ يُصْبِحُ، لَمْ يَضُرَّهُ سَمٌ حَتَّى يُمْسِيَ}⁽¹⁰⁾، وعن عائشة (رضي الله عنها) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: {إِنَّ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً، أَوْ إِنِّهَا تَزِيحُ، أَوَّلَ الْبُكَرَةِ}⁽¹¹⁾.

وعن عامر بن سعد عن أبيه، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: {مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمٌ وَلَا سِحْرٌ}⁽¹²⁾؛ قال الإمام النووي: "وفي هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها، وفضيلة التَّصَبُّحِ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ مِنْهُ؛ وتخصيص عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ دُونَ غَيْرِهَا، وَعَدِدُ السَّبْعِ، مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي عَلَّمَهَا الشَّارِعُ وَلَا نَعْلَمُ نَحْنَ حِكْمَتَهَا، فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا وَاعْتِقَادُ فَضْلِهَا وَالْحِكْمَةُ فِيهَا"⁽¹³⁾.

ورَوَى البخاري في صحيحه عن عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: "ابْنُ أُخْتِي، إِنَّا كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أَوْقَدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: يَا خَالَةَ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا"⁽¹⁴⁾.

في الأدب العربي

لشجرة النَّخْل حضور واسع في الأدب العربي قديمه وحديثه على السواء؛ فقد كان الأدباء يأنسون بهذا الطود الشامخ، الشجرة التي تبعث في روح الأديب انطلاقةً، تتجلى في إبداع روائع من غرر الأدب وعبونه، ذلك أنَّ العلاقة بينهما تشكل امتزاجاً روحياً، لا ينفك الشاعر -بخاصة- يستوحي من ظلاله كثير المعاني وروائع الصور، كذلك الامتزاج التناغمي بين ابن خفاجة الأندلسي والجبل، الذي وجد فيه الأليف عندما يوحش المكان، قال:

وَأَرَعْنَ طَمَاحَ الذَّوَابَةِ، بِأَذْخٍ.... يُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ
يَسْدُ مَهَبَ الرِّيحِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ.... وَيَزْحَمُ لِيلاً شَهْبَةً بِالْمَنَاكِبِ
وَقُورٍ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاقَةِ، كَأَنَّهُ.... طَوَالَ اللَّيَالِي مُفَكِّراً بِالْعَوَاقِبِ
أَصْخَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ آخِرُ صَامِتٍ.... فَحَدَّثَنِي لَيْلُ السَّرَى بِالْعَجَائِبِ⁽¹⁵⁾

ومثله ذلك التكافل الحميمي بين الشَّنْفَرِي، الشاعر الذي تمرَّد على طبقية المجتمع المقيتة، فوجد في مجتمع الذئاب أنسه وحياته: أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم... فإني إلى قوم سواكم لأميلُ

ولي دونكم أهلون: سيدٌ عمَلَسُ... وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَبَالُ
هُمُ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ... لَدَيْهِمْ، وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُحْدَلُ⁽¹⁶⁾
ولذلك أولى الشعراء النخلة عناية كبيرة في أشعارهم؛ فقد كانوا يستشعرون فيها كل خير عميم، بل غدت في الثقافة العربية الإسلامية الأنيس الذي يطرد عن الإنسان وحشته، والغذاء الذي يبعد شبح الجوع والفاقة، والمثال الذي يتبارى الأدباء في جعله النموذج في صورهم وخیالاتهم، والصفاء والنقاء من شوائب القلوب ودخائلها، فصارت بذلك مضرب المثل، وفي ذلك قال الشاعر:

كُنْ كَالنَّخِيلِ عَنِ الْأَحْقَادِ مَرْتَفِعاً... يَرْمَى بِصَخْرِ، فَيُلْقِي أَطْيَبَ الثَّمَرِ

فهذا زهير بن أبي سلمى اختتم قصيدته الرائعة التي يمدح فيها هَرَمَ بَنِّ سَنَانٍ، والحارثَ بَنِّ عَوْفٍ، ومطلعها:

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو

وأقفر من سلمى التَّعَانِيقُ فَالْتَقُلْ

اختتمها بقوله:

هَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ... وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ⁽¹⁷⁾
أي: لا تنبت القنأة إلا القنأة، ولا تنبت الحقل إلا البقلة، أي "أنهم -كما يقول ثعلب في شرح البيت- كرام؛ ولا يولد الكريم إلا في موضع كريم".

وقال امرؤ القيس في معلقته في سياق وصفه حبيبته: وَفَرَعَ يَغْشَى الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ... أَثِيثٌ كَقَنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِّلِ⁽¹⁸⁾
وصف شعرها بأنه طويل شديد السواد كثير النبات، يُشْبِهُ عِذْقَ النخلة المتداخل لكثرتها.

وقال الأعشى يهجو علقمة بن علاثة:

تَبَيَّتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً يُطُونُكُمْ... وَجَارَاتُكُمْ غَرَى يَبْتَنَ خَمَانِصَا
فَلَوْ كُنْتُمْ نَخْلًا لَكُنْتُمْ جُرَامَةً... وَلَوْ كُنْتُمْ نَبَلًا لَكُنْتُمْ مَعَاقِصَا⁽¹⁹⁾
أي أنكم لو كنتم التمر، ما كنتم إلا حثالته، ولو كنتم النبل، ما كنتم إلا أردأ السهام.

ووصف النابغة الذبياني تمرّاً بأنها مكتنزة بلحائها، بقوله:

صَغَارِ النَّوَى مَكْنُوزَةٌ لَيْسَ قَشْرُهَا

إذا طَارَ قَشْرُ التَّمْرِ، عَنْهَا بِطَائِرِ⁽²⁰⁾

وقالت الخنساء في معرض ردّها خطبة دريد بن الصَّمَّة، وتعرض به: مَعَادَ اللَّهِ يَرْضَعُنِي حَبْرُكِي... قَصِيرُ الشَّبْرِ مِنْ جُشْمِ بْنِ بَكْرِ
يرى شرفاً ومكرمةً أتاه... إذا أغذى الجليسَ جريمَ تَمْرِ
لئن أصبحت في جُشْمِ هَدِيَا... إذا أصبحت في ذُلٍّ وفقرٍ⁽²¹⁾

وقال أبو نواس في النخلة:

لَنَا خَمْرٌ، وَلَيْسَ بِخَمْرِ نَخْلٍ... وَلَكِنْ مِنْ يَتَاجِ الْبَاسِقَاتِ
كِرَائِمٍ فِي السَّمَاءِ زَهَيْنٍ طَوَلَا... فَفَاتَ ثَمَارُهَا أَيْدِي الْجُنَاةِ
قَلَانِصُ فِي الرُّؤُوسِ لَهَا ضُرُوعٌ... تَدْرَعُ عَلَى أَكْفِ الْحَالِبَاتِ
صَحَائِحُ لَا تُعَدُّ، وَلَا تَرَاهَا... عِجَافًا فِي السَّنِينِ الْمَاحِلَاتِ⁽²²⁾

وكلنا يحفظ مقطوعة الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل، معاوية بن هشام (ت171هـ)، المتغرب في بلاد الأندلس، يوم رأى نخلة أثارت فيه شجناً وحرقة، قال:



تَبَدَّتْ لَنَا وَسَطُ الرُّصَافَةِ نَخْلَةً * تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عَنْ بِلَدِ النَّخْلِ
فَقُلْتُ: شَبِيهِي فِي التَّغْرُبِ وَالنَّوَى * وَطُولِ التَّنَائِي عَنْ بَنِي وَعَنْ أَهْلِي
نَشَأَتْ بِأَرْضِ أَنْتِ فِيهَا غَرِيبَةٌ * فَمِثْلِكَ فِي الْإِقْصَاءِ وَالْمَنْتَأَى مِثْلِي
سَقَتِكَ غَوَادِي الْمَرْنُ مِنْ صَوْبِهَا الَّذِي * يَسْحُ وَيَسْتَمِرِّي السَّمَائِينَ بِالْوَيْلِ

ويتكرر هذا المشهد مع الشاعر **مسلم بن الوليد**، الذي ولي "جرجان" في عهد الخليفة المأمون العباسي؛ فلما احتضر نظر إلى نخلة وقال:

أَلَا يَا نَخْلَةً بِالسَّفِّ... ح من أَكْنَفِ جُرجَانِ
أَلَا إِنِّي وَإِيَّاكَ... بِجُرجَانِ غَرِيبَانِ (23)

ومما قاله **أبو العلاء المعري**:

وَرَدْنَا مَاءَ دَجَلَةٍ خَيْرَ مَاءٍ... وَرَزْنَا أَشْرَفَ الشَّجَرِ، النَّخِيلِ (24)

وعلى قافية **المعري** نفسها، نظم الدكتور **مصطفى جواد** قصيدة تعد من روائع الأدب في العصر الحديث، أسماها "دُرر النُحور في وَصْفِ التَّمُورِ"، منها:

ضُحَى هَبَّ النَّسِيمُ لَنَا عَلِيلاً * يُدَاعِبُ شَطَّ دَجَلَةٍ وَالنَّخِيلَ
فَسَوَّقَنَا إِلَى الزُّهَاتِ فِيهَا * وَذَكَّرَنَا التَّغَارِدَ وَالْهَدِيلَ
فَأَقْبَلْنَا إِلَى الْبُسْتَانِ نَسْعَى * فَأَلْفَيْنَا بِهِ ظِلًّا ظَلِيلًا
وَأَنْوَعَ التَّمُورَ بِهِ كَثِيرٌ * وَلَمْ تَكُنِ الزُّهُورُ بِهِ قَلِيلًا
وَفِي عَمَّاتِنَا النَّخْلَاتِ خَيْرٌ * عَمِيمٌ كَانَ لِلْقَرَبَى دَلِيلًا
وفي آخرها يقفوها بذكر **المعري** الذي سبق في وصف النخل، قال:
وقد سَبَقَ الْمَعْرِيُّ الْبَرَائِيَا * بِنَعْتِ نَخِيلِنَا فَأَصَابَ قِيلًا
وَرَدْنَا مَاءَ دَجَلَةٍ خَيْرَ مَاءٍ * وَرَزْنَا أَكْرَمَ الشَّجَرِ النَّخِيلِ (25)

ومن روائع الشاعر **أحمد شوقي** قصيدة يصف فيها النخل، ويكشف عن مكانتها وقيمتها في ثقافتنا العربية الإسلامية، من أبياتها:
أرى شجرةً في السَّمَاءِ احْتَجَبَ * وَشَقَّ الْعَنَانَ بِمَرَأَى عَجَبٍ
أهذا هو النَّخْلُ مَلِكُ الرِّيَاضِ * أَمِيرُ الْحَقُولِ، عَرُوسُ الْعَرْبِ
طَعَامُ الْفَقِيرِ، وَحَلْوَى الْغَنِيِّ * وَزَادَ الْمَسَافِرَ وَالْمُعْتَرِبَ؟
فيا نَخْلَةَ الرَّمْلِ، لِمَ تَبْخُلِي * وَلَا قَصَّرْتَ نَخْلَاتِ التَّرْبِ
وَأَعْجَبُ: كَيْفَ طَوَى ذِكْرَكَ * وَلَمْ يَحْتَطِلْ شُعْرَاءُ الْعَرَبِ؟
أليس حرامًا خُلُوُ الْقَصَادِ * مِنْ وَصْفِكَ، وَغُطْلُ الْكُتُبِ؟
وَأَتَنَّ فِي الْهَاجِرَاتِ الظَّلَالِ * كَأَنَّ أَعَا لِيَكُنَّ الْعَبَبِ
وَأَتَنَّ فِي الْبَيْدِ شَاهُ الْمُعِيلِ * جَنَاهَا بِجَانِبِ أُخْرَى حَلَبِ
وَأَتَنَّ فِي عَرَصَاتِ الْقُصُورِ * حَسَانُ الدُّمَى الزَّائِنَاتِ الرَّحَبِ
جَنَّاكَنْ كَالْكُرْمِ شَتَّى الْمَذَاقِ * وَكَالشَّهْدِ فِي كُلِّ لَوْنٍ يَحَبِّ (26)

وقد عقد **ابن ظافر الأزدي** (ت623هـ) في كتابه "غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات" فصلاً في "ذكر التشبيه الواقع في الأثمار"، حشد فيه طائفة من تشبيهات الشعراء في مختلف صنوف الثمار، ومن ذلك ما ساقه في معرض حديثه عن النخلة (27)؛ فمن أحسن ما قيل في "الطلع" قول **ابن المعتز** (ت296هـ):

أَفْدِي الَّذِي أَهْدَى إِلَيْنَا طَلْعَةً * أَهْدَتْ إِلَى قَلْبِي الْمَشُوقِ بَلَابِلًا
فَانْظُرْ إِلَيْهِ كَزُورِقٍ مِنْ فِصَّةٍ * قَدْ أَوْدَعُوهُ مِنَ اللَّجَيْنِ سَلَاسِلًا
وينسب إليه في المعنى:

كَأَنَّمَا الطَّلْعُ يَخْكِي * لَنَاظِرِي حِينَ أَقْبَلَ
سَلَسِلًا مِنْ لُجَيْنٍ * يَضُمُّهَا تَحْتَ صَنْدَلٍ

وقال **ابن وكيع التَّنِيسِي** (ت393هـ) في "الطلع":
ظَلَعُ هَتَكْنَا عَنْهُ أَثْوَابَهُ * مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ مَسْتَوْرًا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَدَا ضَا حَكًا * فِي الْعَيْنِ تَشْبِيهًا وَتَقْدِيرًا
دُرْجٌ مِنَ الصَّنَدَلِ قَدْ أَوْدَعَتْ * فِيهِ يَدُ الْعِطَارِ كَافُورًا
وقال أيضاً:

وطلع هَتَكْنَا عَنْهُ جَيْبَ قَمِيصِهِ * فِي حُسْنِهِ مِنْ مَنْظَرِ حِينِ هَتَكَا
حَكَى صَدْرُ حَوْذٍ مِنْ بَنِي الرُّومِ هَرَهَا * سَمَاعُ فَشَقَّتْ عَنْهُ ثَوْبًا مَمْسَكَا

وقال فيه **كشاجم أبو الفتح محمود بن الحسين الرَّمْلِي** (ت360هـ):
قد أَتَانَا الَّذِي بَعَثَتْ إِلَيْنَا * وَهُوَ شَيْءٌ فِي وَقْتِنَا مَعْدُومُ
طَلْعَةٌ غَضَّةٌ أَتَتْنَا نَحَاكِي * سَقَطًا فِيهِ لَوْلُو مَنْظُومُ

ومن أحسن ما قيل في "البلح" قول الشاعر **ابن وكيع التَّنِيسِي**:
أَمَّا تَرَى النَّخْلَ حَمَلَتْ بَلَحًا * جَاءَ بِشِيرًا بِدَوْلَةِ الرُّطْبِ
مَخَازِنُ مِنْ رَبْرَجِدٍ حُرِطَتْ * مُقَمَّعَاتِ الرُّؤُوسِ بِالذَّهَبِ
وله في "البُسْر الأحمر":

أما ترى النَّخْلَ حَامِلَاتٍ * بُسْرًا حَكَى لَوْنُهُ الشَّقِيقَا
كَأَنَّمَا خَوْصُهُ عَلَيْهِ * رَبْرَجِدُ مُثْمَرٌ عَقِيقَا

وله في "البُسْر الأصفر":

أما ترى البُسْرَ الَّذِي * قَدْ حَازَ كُلَّ الْعَجَبِ
كَيْفَ عَدَا فِي لَوْنِهِ * كَعَاشِقٍ مُكْتَنِبِ
مَكَاحِلُ مِنْ فِصَّةٍ * قَدْ طَلَبَتْ بِالذَّهَبِ

وقال الشاعر **ظافر الحداد الإسكندراني** (ت528هـ) من قطعة:
وَالنَّخْلُ كَالْهَيْفِ الْجَسَانِ تَرَيْنَتْ * فَلَبَسْنَ مِنْ أَثْمَارِهِنَّ قَلَانِدًا
وهكذا، فإنك لست بواجد شاعرًا لا يؤول إلى النخلة في أشعاره، لأنها طريق لاجبة في استجماع الصور والخيالات.

النخل، وقدّرت أنّها تردّد إلى خمس رُتب أمّات هي: الطلّح، والبَلَح، والبُسْر، والرُّطْب، والتَّمْر. وتشتمل كلّ رُتبة على مصطلحات أخرى هي من صفات الرُتبة الأم وخصائصها.

وقد جعلها الجوهري (ت400هـ) ست رُتب هي: الطلّح، والخَلال، والبَلَح، والبُسْر، والرُّطْب، والتَّمْر؛ قال في "الصّاح" (36): "البَلَح قبل البُسْر؛ لأنّ أوّل التَّمْرِ طَلْعٌ، ثمّ خَلالٌ، ثمّ بَلَحٌ، ثمّ بُسْرٌ، ثمّ رُطْبٌ، ثمّ تَمْرٌ - الواحدة بَلَحَةٌ"؛ فقد أضاف إلى الخمس: "الخَلال"، وجعله رُتبة منفصلة؛ مع أنّه متضمّن في مجموعة "البَلَح"، وهو ما أثبتته الفيروزآبادي في أحد قوليّه، وذلك ما أكّده القرافي من أنّ "البَلَح" رُتبة منفصلة كغيرها من الرُتب الأخرى.

ورأى القرافي في رسالته أنّ اعتراض الفيروزآبادي على الجوهري، إذ قال (37): "وقول الجوهري: أوّل البُسْرِ طَلْعٌ، ثمّ خَلالٌ الخ (38) غير جيّد (39). والصّواب: أوّل طَلْعٌ، فإذا انعقد فسَيَابٌ، فإذا اخضرّ واستدارَ فَجْدالٌ وسَرادٌ وخَلالٌ، فإذا كبر شيئاً فَبَغُو، فإذا عَظُمَ فَبُسْرٌ، ثمّ مُحْطَمٌ (40)، ثمّ مَوَكَّتٌ (41)، ثمّ تَذَنُوبٌ، ثمّ جُمُسَةٌ، ثمّ ثَعْدَةٌ وخالِعٌ وخالِعةٌ، فإذا انتهى نَضْجُهُ فَرُطْبٌ وَمَعُو (42)، ثمّ تَمْرٌ (43)" - رأى أنّ هذا الاعتراض ليس في محلّه؛ لأنّ ما عدّه زيادة على الجوهري، إنّما هو من خصائص ثمار النخل وصفاتها.

ولعلّ هذه الصفات التي ذكرها الفيروزآبادي لثمار النخل؛ إذ ذكر للبَلَح خمساً منها، وللبُسْر ستاً، ولرُّطْب واحدة، ولم يعدّد صفات للطلّح ولا للتَّمْر، قد أثبتّها أبو عبيد القاسم بن سلام -السابق ذكره- قبله في كتابه "الغريب المصنّف" في "كتاب النخل" منه، إذ قال في "باب طَلْع النخل وإدراك ثمره":

"الطلّح هو الكافور، فإذا بدا فهو الغُضِيض، فإذا اخضرّ قيل: قد خَضِبَ النخل، ثمّ هو البَلَح، فإذا انعقد الطلّح حتى يصير بلحاً فهو السَيَاب، فإذا اخضرّ واستدار قبل أن يشدّ، فإنّ أهل نجد يسمّونه الجَدال، فإذا عَظُمَ فهو البُسْر، فإن صارت فيه خطوطاً وطرائق فهو المَحْطَم، فإذا تَغَيَّرَت البُسرة إلى الحُمرة قيل: هذه شَفْحَة، فإذا ظهرت فيه الحُمرة قيل: أزهى النخل يزهي، وهو الزّهو. فإذا بدّت فيه نُقْط من الإرباب قيل: قد وَكَّت، فإذا أتاها التّوكيت من قبل ذنبها فهي مُذْنِبَة، فإذا دخلها كلّها الإرباب وهي صُلْبَة فهي جُمُسَة، فإذا لانت فهي ثَعْدَة، فإذا بلغ الإرباب نصفها فذلك المجزّع، فإذا بلغ ثلثها فهي حُلْقانة، فإذا جرى فيها الإرباب كلّها فهي المُنْسِبَة، فإذا أرطب النخل كله فذلك المَعُو، فإذا أدرك حَمَلُ النخلة فهو الإناض" (44).



لما كانت هذه الشجرة طيبة ومباركة، تغنّى بها الشعراء كما أسلفت، واهتمّ بها اللغويون اهتماماً كبيراً، وعُنوا بها أيّما عناية، لأهميّتها في حياتهم ومعاشهم، فصنّفوا فيها مصنّفات وكتباً قيّمة، حشدوا فيها كلّ الألفاظ المتعلقة بهذه الشجرة المباركة، وخصّوا ثمارها بشيء من التفصيل؛ فمن الكتب المصنّفة في هذا الباب أذكر (28):

1. كتاب "النخل"، لأبي عمرو الشيباني (ت213هـ).
2. كتاب "التَّمْر"، لأبي زيد الأنصاري (ت215هـ).
3. كتاب "النخل والكرّم" (29)، لأبي سعيد الأصبمعي (ت216هـ).
4. كتاب "صفة النخل"، لأبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (ت231هـ).
5. كتاب "الزّرع والنخل"، لأبي أحمد بن حاتم الباهلي (ت231هـ).
6. "رسالة النخل" للعالم اللغوي الكيميائي أبي بكر أحمد بن علي المعروف بابن وحشية النبطي من علماء القرن الثالث الهجري (30). وله كتاب "الفلاحة النبطية"، أفرد فيه باباً واسعاً عن النخل والتمر.
7. كتاب "النخلة" (31)، لأبي حاتم السجستاني (ت255هـ).
8. كتاب "النخل والزّرع"، لعمر بن بحر الجاحظ (ت255هـ).
9. كتاب "النخل"، للزبير بن بكار (ت256هـ).
10. كتاب "البلاد والزّرع والنبات والنخل وأنواع الشجر"، لأبي طالب المفضّل بن سلمة الكوفي (ت290هـ).

هذا فضلاً عن الكتب الموسوعيّة التي خصّت النخلة بأبواب فيها، ومنها:

1. "الغريب المصنّف" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت244هـ).
2. كتاب "النبات" (32) لأبي حنيفة الدينوري (ت281هـ).
3. "الأغذية والأدوية" لإسحاق بن سليمان (ت320هـ).
4. "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، للرحالة أبي عبد الله المقدسي (ت380هـ).
5. "مبادئ اللغة" للإسكافي (ت420هـ).
6. "فقه اللغة" للثعالبي (ت429هـ).
7. "المخصّص" لابن سيده (ت456هـ).
8. "كفاية المتحفّظ ونهاية المتلفّظ" لابن الأجدابي (ت نهاية ق5هـ).
9. "نهاية الأرب" لشهاب الدّين النويري (ت732هـ)، وغيرها كثير (33).

رُتبة البَلَح

جاءت رسالة القرافي "توالي المَنَح" تبين رُتبة "البَلَح" في قائمة رُتب ثمار النخل، يصوّب فيها ما وقع فيه الفيروزآبادي (ت817هـ) صاحب "القاموس المحيط" من تناقض عندما جعل "البَلَح" رُتبة بين "الخَلال" و"البُسْر" حيناً، وجعل "الخَلال" هو "البَلَح" في رُتبة واحدة حيناً آخر؛ قال الفيروز: "وخَلالٌ (كَسَحَاب): البَلَح" (34)، وقال في موضع آخر: "البَلَح: مُحَرَّكة - بين الخَلال والبُسْر" (35). وتعدّ هذه الرّسالة واحدة من الرّسائل اللغويّة الهامّة في قضيّة المصطلح العلمي؛ ذلك أنّ كلّ مصطلح من المصطلحات الواردة في ثمار النخل، له دلالة خاصّة ومفهوم معيّن.

وقد حرّصت بين يدي هذه الرّسالة النفيسة، أنّ أجمع هذه المصطلحات تحت مجموعات محدّدة، تشكّل كلّ مجموعة منها رُتبة من رُتب ثمار

فالألف للظن من نص أبي عبيد، أن رُتَب ثمار النخل خمس، هي: الطَّلْع، والبَلَح، والبُسْر، والمَعُو، والإناض. والمَعُو بمعناه هو الرُّطْب، قال الأصمعي: "إذا أُرْطِبَ النخل كُلُّه فذلك المَعُو" (45). والإناض بلوغ النخل وإدراكها، أي حين يصبح تمرًا، قال ليبيد: فأخارتُ ضروعها في ذراها ... وأناض العيدان والجبار

وأناضت النخلة: بلغت، والعيدان: طوال النخل، والجبار: ما فات اليد (46).

أما الرُّتَب عند الثعالبي -الذي خصَّ في كتابه "فقه اللغة وسرَّ العربية" بابًا في "النبت والزروع والنخل"، فهي سبعٌ، قال: "مُجْمَلٌ في ترتيب حَمَلِ النخلة: أطلعت، ثم أبلحت، ثم أبسرت، ثم أزهرت، ثم أمعت، ثم أُرْطِبَتْ، ثم أتمرت" (47)؛ مع أن الرُّهُو من رتبة البُسْر، والمَعُو من رتبة الرُّطْب. وجعل القاضي عياض (ت 544هـ) -الوارد ذكره في رسالة القرافي- عدد الرُّتَب سبعًا هي: الطَّلْع، والإغريض، والبَلَح، والبُسْر، والرُّهُو، والرُّطْب، والتمر؛ إذ أضاف إلى الخمس: "الإغريض"، وجعله رتبة منفصلة؛ مع أنه متضمن في مجموعة "الطلع" و"الرُّهُو"، وجعله رتبة منفصلة؛ مع أنه متضمن في مجموعة "البُسْر".

وعليه، فرُتَب ثمار النخل خمسُ رُتَب في خمس مجموعات تشتمل على واحد وعشرين مصطلحًا كما في رسالة القرافي، وقمتُ في هذه الدراسة بتصنيفها وبيان مدلول كل واحد منها.

أسماء ثمار النخل في «رسالة القرافي» ومعانيها

الرَّتبة الأولى (الطلع): وهو: نُور النخلة ما دام في الكافور (48)، وأهل الكوفة يسمونه: الكُفْرَى، واحدته الكُفْرَاة (49). ويندرج تحت هذه الرُّتبة:

1. الكافور: قال الأصمعي: "الكافور: وعاء طلع النخل، ويقال له أيضًا: قُفُور" (50).
2. الإغريض والغريض: بمعنى الطَّلْع، وكلّ أبيض طري، قال ابن الأعرابي: الإغريض الطَّلْع حين ينشق عنه كافوره، وهو أول ما يرى من عذق النخلة (51).

الرَّتبة الثانية (البَلَح): وهو الخلال بلغة أهل البصرة، ويعني حَمَل النخل ما دام أخضر صغائرًا كحُضرم العنب، واحدته بَلَحَة (52). ويندرج تحتها:

3. السَّيَاب: البَلَح، قال أبو حنيفة الدينوري: هو البُسْر الأخضر، واحدته سَيَابَة، فإذا شَدَدَتْ ضَمَمَتَهُ، فتقول: سَيَابٌ (كُرْمَان) واحدته: سَيَابَة (53)، وقال الأصمعي: "إذا انعقد الطَّلْع حتى يصير بَلَحًا فهو السَّيَاب" (54).

4. الجَدَال: قال الأصمعي: "إذا اخضر الطَّلْع واستدار قبل أن يشدَّ، فأهل نجد يسمونه الجَدَال" (55).

5. السَّرَاد: (كَسحاب): الخلال الصَّلب واحدته سَرَادَة، وهي البُسرة تَحْلُو قبل أن تزهى وهي بَلَحَة، قال أبو حنيفة: "السَّرَاد الذي يسقط من البُسْر قبل أن يُدْرِك، وهو أخضر، الواحدة سَرَادَة" (56).

6. الخَلال: البلح، واحدته خَلَالَة، بلغة أهل البصرة (57). واختلت النخلة: أطلعت الخلال، وأخلت أيضا أساءت الحمل (58).

7. البَغُو: البَغُوَة: الطَّلعة حين تنشق فتخرج بيضاء رطبة. والبَغُوَة: الثمرة قبل أن تنضج، أو قبل أن يستحكم يئسها، والجمع بَغُو، قال ابن بري: "البَغُو والبَغُوَة كل شجر غَض ثمره أخضر صغير لم يبلُغ" (59).

الرَّتبة الثالثة (البُسْر): وهو التمر قبل أن يُرْطَب لغضاضته، واحدته بُسْرَة. أو هو ما كَوَّن ولم ينضج، وإذا نضج فقد أُرْطِب (60)، قال الأصمعي: "إذا اخضر حبّه واستدار فهو خلال، فإذا عظم فهو البُسْر" (61). ويندرج تحتها:

8. المَحْطَم: البُسْر الذي فيه خطوط وطرائق (62).

9. المَوَكَّت: وَكَّت البُسْرَة توكيًّا: صار فيها نقطٌ من الإرباط (63).

10. التَّذنُوب: البُسْر الذي قد بدا فيه الإرباط من قبل ذنبه، واحدته تَذَنُوبَة (64)، قال الأصمعي: "إذا بدت فيه نقط من الإرباط قيل: قد وَكَّت، وهي بُسْرَة مَوَكَّتَة، فإذا أتاها التَّوَكُّيت من قبل ذنبها قيل: قد ذَنَّبَتْ وهي مَذَنَّبَة، والرُّطْب: التَّذَنُوب" (65).

11. الجُمْسَة: القطعة اليابسة من التمر، أو الرُّطْبَة التي رَطَبَتْ كُلُّها وفيها يئس (66)، قال الأصمعي: "يقال للرُّطْبَة والبُسْرَة إذا دخلها كُلُّها الإرباط وهي صُلْبَة لم تنهضم بعدُ: جُمْسَة، وجمعها جُمُس" (67).

12. التَّعْدَة: التَّعْد: البُسْر الذي غلبه الإرباط؛ الواحدة تَعْدَة (68)، قال الأصمعي: "إذا دخل البُسْرَة الإرباط وهي صُلْبَة لم تنهضم بعدُ فهي جُمْسَة، فإذا لانت فهي تَعْدَة، وجمعها تَعْد" (69).

13. الخَالِع والخَالِعة: بُسْرَة خَالِع وخالعة: نضيجة، وقيل: الخالغ بغير هاء البُسْرَة إذا نضجت كلها (70).

14. الرُّهُو: البُسْر إذا ظهرت فيه الحُمرة، واحدته رُهُوَة؛ وأزهى النخل وزها رُهُوًا: تَلَوَّن بِحُمرة وَصْفرة (71)، قال ابن الأعرابي: "زها النبت يزهو إذا نبت ثمره، وأزهى يزهي إذا احمر أو اصفر، وقيل: هما بمعنى الاحمرار والاصفرار". وسوف أعرض لهذه المادة لاحقًا.

15. المَنَصَّف أو المُنَاصِف: قال أبو حاتم: "إذا بلغ الترطيب نصف البُسرة قيل: قد نَصَف البُسْر" (72)، وقال الزبيدي: "فإن لم يَنْضَج كُلُّهُ فمُنَاصِف، والمُنَاصِف (بالضم): البُسْر رَطَبَ نَصْفَهُ، لغة يمانية، أي أن البُسْر النَضِيج يصبح رُطْبًا" (73).

16. الرَّتبة الرابعة (الرُّطْب): وهو نَضِيج البُسْر قبل أن يئمر، واحدته رُطْبَة، وجمع الرُّطْب أرطابٌ ورطابٌ أيضًا؛ قال أبو حنيفة: "الرُّطْب البُسْر إذا انهضم فَلَانٌ وَحَلَا" (74). ويندرج تحتها:

17. المَعُو: الرُّطْب، وقيل: الذي عَمَّه الإرباط، واحدته مَعُوَة (75)؛ قال الأصمعي: "إذا أُرْطِبَ النخل كُلُّه فذلك المَعُو" (76).

الرَّتبة الخامسة (التمر): وهو حَمَل النخل، اسم جنس واحدته تَمْرَة، وجمعها تَمَرَات (بالتحريك). وَتَمَرَ الرُّطْبُ وَتَمَرَ (كلاهما): صارَ في حدِّ التمر. وَتَمَرَتِ النخلة وَتَمَرَت (كلاهما): حَمَلَتِ التمر (77).

مصطلحات أخرى

ولثمار النخل صفاتٌ أخرى كثيرة لم تُذكر في رسالة القرافي، وجدتُ ابن سيده الأندلسي (ت 456هـ) -وليس له ذكر في الرسالة- قد أوفى على الغاية في ذكر صفاتها في معجمه "المخصص" (78)، فرأيتُ من المُستحسن -ورسالة القرافي في هذا الباب- تصنيفها على الرُّتَب الخمس السَّالفة وهي لا تخرج عنها، وتخرجها من كتاب "النخل" للسجستاني، ومعجمات اللغة كـ "تهذيب اللغة" للأزهري، و"الصَّحاح" للجوهري، و"لسان العرب" لابن منظور، و"القاموس المحيط" للفيروز، و"تاج العروس" للزبيدي.

أولاً: ما جاء تحت رتبة الطلع

1. القيقاء: قُشِرَ الطَّلَعُ إِذَا نُزِعَ⁽⁷⁹⁾.

2. السَّابِيَاءُ وَالْهَرَاءُ: مثل الكافور، وجمع الهراء: هِرَاءَةٌ⁽⁸⁰⁾.

3. الجُف: وعاء الطلع، وقيل: قيقاء الطلع، وهو الغشاء الذي على الوليع⁽⁸¹⁾، ويُجمع على جَفَّة وجُفُوف.

4. الوليع: الطلع ما دام في قيقائه، واحده وَلِيْعَةٌ⁽⁸²⁾، قال أبو حاتم: "وربما جعلوا الوليع ما في جوف الكافور إذا انشق"⁽⁸³⁾، ويقال له: الغضيض، والغريض، والإغريض⁽⁸⁴⁾.

5. الضَّحْك: طلع النخل إذا انشق عنه أكمأه⁽⁸⁵⁾.

6. الغضيض: الطلع النَّاعِمُ حِينَ يَبْدُو، وَقِيلَ هُوَ التَّمْرُ أَوَّلَ مَا يَطْلُعُ⁽⁸⁶⁾، قال الأصمعي: "إِذَا بَدَأَ الطَّلَعُ فَهُوَ الْغَضِيضُ، فَإِذَا اخْضَرَ قِيلَ: خَضِبَ النَّخْلُ"⁽⁸⁷⁾.

7. الضَّيَاب: واحده الضَّيْبَةُ، وهي الطَّلَعَةُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَلِقَ عَنِ الْغَرِيضِ، عِنْدَ أَهْلِ نَجْرَانَ وَالْيَمَامَةِ⁽⁸⁸⁾.

8. الْحَرْب: الطلع، واحده: حَرْبَةٌ، يقال: أَحْرَبَ النَّخْلَ وَحَرَبَهُ إِذَا أَطْعَمَهُ الْحَرْبَ⁽⁸⁹⁾.

9. الدِّمَان: انشقاق الطلع عن عفنٍ وسوادٍ⁽⁹⁰⁾.

ثانياً: ما جاء تحت رتبة البلح

1. الْخَضْب: خَضِبَ النَّخْلُ إِذَا اخْضَرَ طَلْعُهُ⁽⁹¹⁾؛ قال الأصمعي: "وهو البلح".

2. الْحَصَل: البلح قبل أن يشتدَّ وتظهر ثفاريقه⁽⁹²⁾، واحده: حَصَلَةٌ.

3. السَّدَى وَالسَّدَاء (ممدوداً بلغة أهل المدينة): السَّيَاب، وهو اشتداد النوى ونضوج البُسرة وهي خضراء⁽⁹³⁾.

ثالثاً: ما جاء تحت رتبة البُسرة

1. الْوَكْب: سَوَادُ التَّمْرِ إِذَا نَضَجَ⁽⁹⁴⁾.

2. الشَّقَقَة (بالضم والفتح): تَغْيِيرُ الْبُسْرَةِ إِلَى الْحُمْرَةِ؛ تَشَقَّقُ النَّخْلُ حَسَنَ بِأَحْمَالِهِ (اصْفَرَّ أَوْ احْمَرَّ) قَبْلَ أَنْ يَحُلُو، وَالشَّقَقَة أَشَدُّ إِدْرَاكًا مِنَ الزَّهْوَةِ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: "وَأَقْبَحُ مَا تَكُونُ الْبُسْرَةُ إِذَا شَقَّقَتْ"⁽⁹⁵⁾.

3. أَفْضَحُ الْبُسْرِ وَأَوْضَحُ وَوَضَّحَ وَأَشْرَقَ وَشَرَّقَ: إِذَا بَدَتْ فِيهِ الْحُمْرَةُ، وَهُوَ مِثْلُ التَّشْقِيقِ إِذَا احْمَرَّ⁽⁹⁶⁾.

4. الْحَانِطُ: الْمُدْرِكُ مِنَ الشَّجَرِ وَالْعُشْبِ، وَفِي ثَمَارِ النَّخِيلِ: اشْتِدَادُ الْحُمْرَةِ وَالصَّفَرَةِ؛ وَالْحَانِطَةُ أَشَدُّ إِدْرَاكًا مِنَ الشَّقَقَةِ⁽⁹⁷⁾.

5. الْقَالِبُ: الْبُسْرُ الْأَحْمَرُ فِي لُغَةِ بِلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، يُقَالُ مِنْهُ: قَلَبْتُ الْبُسْرَةَ تَقْلِبُ إِذَا احْمَرَّتْ⁽⁹⁸⁾.

6. الْقَشْمُ (وَيُسَكَّنُ وَسَطُهُ): قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: "الْقَشْمُ وَالْقَشْمُ الْبُسْرُ الْأَبْيَضُ، الَّذِي يُوَكَّلُ قَبْلَ أَنْ يَدْرِكَ وَهُوَ حُلُو"⁽⁹⁹⁾.

7. أَوْشَتِ النَّخْلَةُ: إِذَا رُئِيَ أَوَّلُ رُطْبِهَا⁽¹⁰⁰⁾.

8. الشَّمْطَانَةُ: الشَّمْطَانُ: الرُّطْبُ الْمُنْصَفُ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: هِيَ الَّتِي يُرْتَبُّ جَانِبُ مِنْهَا وَسَائِرُهَا يَابِسُ⁽¹⁰¹⁾.

9. الْمُعْضَدَةُ: إِرْطَابُ التَّمْرِ فِي أَحَدِ جَانِبِي الْبُسْرَةِ⁽¹⁰²⁾.

10. الْغَسِيْسَةُ وَالْمَغْسُوسَةُ وَالْمَغْسَسَةُ: الْبُسْرَةُ الَّتِي تُرْتَبُّ ثُمَّ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهَا، أَوْ هِيَ الَّتِي لَا حَلَاوَةَ لَهَا، وَهِيَ أَخْبَثُ الْبُسْرِ، وَالْغُسْسُ: الرُّطْبُ، وَاحِدُهُ غَسِيْسٌ.

11. الْمَثْلَثَةُ: إِذَا بَلَغَ التَّرْطِيبُ ثَلَاثِيهَا⁽¹⁰³⁾.

12. الْمَجْرَّعُ (بَفَتْحِ الرَّاي وَكسرها): الَّذِي رُطَّبَ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةٍ، أَوْ بَلَغَ الْإِرْطَابَ نِصْفَهُ⁽¹⁰⁴⁾.

13. الْمُخْلَفَةُ: بُسْرَةٌ مُخْلَفَةٌ: إِذَا بَلَغَ التَّرْطِيبُ حُنْجُورَهَا⁽¹⁰⁵⁾.

14. الْحُلْقَانَةُ وَالْحُلْقَامَةُ وَالْمُحْلَقْنُ وَالْمُحْلَقَمُ: يُقَالُ رُطَّبَ مُحْلَقْنٌ وَمُحْلَقَمٌ وَهِيَ الْحُلْقَانَةُ وَالْحُلْقَامَةُ، وَهِيَ الَّتِي بَدَأَ فِيهَا النُّضْجُ مِنْ قَبْلِ قَمْعِهَا، فَإِذَا أُرْطِيبَتْ مِنْ قَبْلِ ذَنْبِهَا فَهِيَ التَّذْنُوبَةُ⁽¹⁰⁶⁾.

15. الْمَعْنَقَةُ: وَهِيَ الَّتِي يَبْقَى مِنْهَا حَوْلَ الْقِمَعِ مِثْلُ الْخَاتَمِ، وَذَلِكَ إِذَا بَلَغَ التَّرْطِيبُ قَرِيبًا مِنْ قَمْعِهَا⁽¹⁰⁷⁾.

16. النَّعْرُ: انْتِهَاءُ النَّضْجِ وَبِدَايَةُ السَّقُوطِ⁽¹⁰⁸⁾.

رابعاً: ما جاء تحت رتبة الرطب

1. الْمُنْسَبَةُ: إِذَا جَرَى الْإِرْطَابُ فِيهَا كُلِّهَا⁽¹⁰⁹⁾.

2. الْمُكْرَةُ: الرُّطْبَةُ الَّتِي أُرْطِيبَتْ وَفِيهَا شِدَّةٌ⁽¹¹⁰⁾.

3. الْإِنَاضُ: أَنَاضُ النَّخْلِ: أَيْعُ، أَوْ إِذَا أَدْرَكَ حَمْلَ النَّخْلَةِ⁽¹¹¹⁾.

4. أَمْضَغُ التَّمْرِ: حَانَ أَنْ يَمْضَغَ⁽¹¹²⁾.

5. أَشْكَلُ النَّخْلِ: طَابَ رُطْبُهُ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: "عِنْدَ طُلُوعِ الشَّعْرِى يُرَى أَوَّلُ الشَّكْلَةِ، وَهِيَ شَكْلَةُ الْحُمْرَةِ"⁽¹¹³⁾.

6. الْمَهْوَةُ: كَالْمَعْوَةِ، وَهِيَ مَا لَانَ مِنَ الرُّطْبِ⁽¹¹⁴⁾.

7. الْهَامِدَةُ: رُطْبَةٌ هَامِدَةٌ إِذَا صَارَتْ قَشْرَةً وَصِقْرَةً مِنْ شِدَّةِ الْإِرْطَابِ⁽¹¹⁵⁾.

خامساً: ما جاء تحت رتبة التمر

1. جُزُوزُ التَّمْرِ: إِذَا يَبَسَ شَيْئًا⁽¹¹⁶⁾.

2. قُبُوبُ التَّمْرِ: مِثْلُ الْجُزُوزِ؛ قَبَّ التَّمْرُ يَقْبُ قُبُوبًا: ذَهَبَ طَرَاوُهُ وَبُذُوهُ وَذَوِي⁽¹¹⁷⁾.

3. الذُّبُولُ: بَعْدَ الْجُزُوزِ.

4. الْمِقْفَلُ مِنَ النَّخِيلِ: الَّتِي يَتَحَاتُّ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْحَمْلِ⁽¹¹⁸⁾، وَهِيَ بَعْدَ الذُّبُولِ.

5. اللَّقَاطَةُ: لُقَاطَةُ التَّمْرِ مَا تَقُطُّ مِنْ كَرْبِ النَّخْلِ بَعْدَ الصَّرَامِ⁽¹¹⁹⁾.

وهذه الرتب الخمس (الطلع، والبلح، والبُسرة، والرطب، والتمر)، رويت عن قيصر ملك الروم؛ فقد ذكر أبو حاتم السجستاني في كتابه "النخلة"، أنه بعث كتاباً إلى عمر بن الخطاب قال فيه: "أما بعد، فإن رُسلي أخبرتني أن قبلكم شجرة تخرج مثل آذان الفيلة، ثم تنشق عن مثل الدر الأبيض، ثم تخضر كالزمرّد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تنضج فتكون كأطيب فالزوج أكل، ثم تينع وتيبس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، فإن تكن رُسلي صدقتني فإنها من شجر الجنة"⁽¹²⁰⁾.

فيلحظ من كلامه أن الدر الأبيض هو الطلع، والزمرّد الأخضر هو البلح، والياقوت الأحمر هو البُسرة، والناضج هو الرطب، واليانع اليابس هو التمر، وهي إشارة لطيفة تنبئ عن دراية حقيقية عند القوم فيما يتعلق بأخبار العرب والمسلمين.



الفروع وإن في الأصول؛ فكان له شرح على "الموطأ"، وشرح على "مختصر خليل" في الفقه المالكي، وشرح على مختصر ابن الحاجب (ت643هـ)، وله "توشيح الديباج" في تراجم المالكية، ومجموع "رسائل في الفقه"، منها: "تحقيق الإبانة في صحة إسقاط ما لم يجب من الحضانة"، و"الدرر المنيعة في الفراغ عن الوظيفة"، و"الجواهر المنتثرة في هبة السيد لأم الولد والمدبرة"، وغيرها. أما في العربية، فقد كانت للقراقي -شأنه شأن علماء الشريعة والدين- إسهامات ذات دلالة واضحة تدل على أهمية علوم الآلة وارتباطها الوثيق بعلوم الشريعة. وقد اقتصر القراقي في مباحثه هذه على "القاموس المحيط" (128) للفيروزآبادي، والقاموس المحيط معجم لغوي دارت حوله دراسات ومباحث كثيرة، كشف عنها وبسط القول فيها الدكتور حسين نصار في كتابه الشهير "المعجم العربي نشأته وتطوره" (129).

ومباحث القراقي حول "القاموس المحيط" أربعة هي: (130) أولها: "القول المأنوس بتحرير ما في القاموس"، وهو حاشية فرغ من جمعها سنة (970هـ)، وألفها استجابة لأحد الولاة، جمع فيها بين تقييدات عبد الباسط بن خليل البلقيني الحنفي (ت920هـ)، وسعد الله بن عيسى بن أمير خان الرومي (ت945هـ) الشهير بـ (سعدى جلبي) (131).

ثانيها: "بهجة النفوس في المحاكمة بين الصحاح والقاموس"، وهو كتاب في النقد ذكره في شرحه للمقدمة.

ثالثها: "القول المأنوس بشرح مغلق القاموس"، وهو شرح في خطبة القاموس ومقدمته، ألفه بعد أن شرح القاموس نفسه عام (980هـ).

رابعها: "توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح"، وهي رسالة صغيرة وضعها استجابة لأحد الولاة، كشف فيها عما وقع في "القاموس المحيط" من تخالف أثناء حديثه عن "البلح" من أصناف ثمار النخل. وهي هذه الرسالة التي بين أيدينا.

النسخ الخطية

رجعت في قراءة هذه الرسالة ومقابلتها بنسخ الدكتور علي القاسمي إلى نسختين خطيتين أخريين، هما:

الأولى: ضمن مجموع فيه غير رسالة للإمام التقي السبكي (ت756هـ)، تبدأ فيه رسالة "توالي المنح" من وسط الورقة (65أ)، وتنتهي بوسط الورقة (66أ)، وفي كل ورقة صفحتان، في كل صفحة (25) خمسة وعشرون سطراً. وكُتب المجموع بخط واضح مقروء تبدو فيه الكلمات سهلة على قارئها، إلا ما يتصل منها بالرسم من تسهيل الهمز تارة وحذفه أخرى، فضلاً عن اتصال الكلام ببعضه ببعض دون ترقيم أو تفكير. وقد رمزت له بالرمز (م).

الثانية: تتكون من ثلاث صفحات، مصدرها خزنة الحسنية الملكية بالرباط ضمن مجموع رقمه (7248)، حصلت عليه من موقع المالكية على الشبكة العالمية، ورمزت لها بالرمز (ح)، وكتبها بخط مغربي سنة (1024هـ) أحمد بابا بن أحمد.

هو الإمام القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس، المصري، المالكي⁽¹²¹⁾، ولد في القاهرة سنة (939هـ). لقبه جده لأمه القاضي محمد بن عبد الكريم الدميمري (ت943هـ) بـ "بدر الدين"، فصار يُعرف ببدر الدين القراقي، وبه اشتهر، وعليه غلب.

كان القراقي إماماً كبيراً في علوم الشريعة؛ فقد نشأ نشأة علمية كريمة، إذ كان والده الشيخ شرف الدين يحيى القراقي (ت946هـ) فقيهاً، تتلمذ ولده البدر في الفقه عليه، وعلى الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن علي الأجهوري (ت957هـ)، والشيخ الزين أحمد بن محمد الجيزي (ت977هـ)، فأخذ عن ثلاثتهم "مختصر الشيخ خليل" (ت767هـ) في الفقه، وهم تلقوه عن الشيخ الفقيه شمس الدين محمد بن حسن اللقاني (ت935هـ)⁽¹²²⁾. ومن المشايخ الذين انتفع بهم البدر القراقي الفقيه العالم عبد الرحمن التاجوري (ت960هـ). تتلمذ على القراقي جماعة من العلماء الأفاضل، منهم: شيخ المالكية في عصره أبو الإرشاد النور الأجهوري (ت1066هـ)، حفيد شيخه الإمام الفقيه عبد الرحمن الأجهوري، وأبو المحاسن يوسف بن زكريا المغربي (ت1019هـ)، وأبو الإمداد برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني (ت1041هـ)، وغيرهم.

كان القراقي "أحد شيوخ العصر، مشاراً إليه بالعلم والصلاح، موسعاً عليه في دنياه"⁽¹²³⁾، ولشهرته الذائعة الصيت، تقلد قضاء المالكية في مصر، وغدا رئيس العلماء في عصره، وشيخ المالكية، بل كان صدراً من صدور العلم، قال في حقه القاضي محب الدين (ت1047هـ) -جد المحبّي صاحب الخلاصة- في رحلته: "وأما مولانا العلامة، والعمدة الفهامة، المتصف بالفضائل والفاضل في جميع المسالك، الحائر لأرقى الآداب، فهو للفتوة متمم، وللفتاوى مالك -بدر الملة والدين القاضي بدر الدين القراقي، فإنه أتقن مذهبه غاية الإتقان، واحتوى على الفضائل ونباهة الشأن"⁽¹²⁴⁾. ووصفه المحبّي (ت1111هـ) بأنه كان "ذا همّة عالية وطلاقة وجه، مع خلقٍ وضيٍّ وخلقٍ رضي"⁽¹²⁵⁾، ووصفه الفقيه أحمد بابا التنبكّتي (ت1032هـ) بأنه كان "أمثل قضاته"⁽¹²⁶⁾، في النزاهة والصدق والإخلاص، على الرغم من سعة دنياه ورغد عيشه. توفي القراقي رحمه الله سنة (1008هـ).

القراقي و"القاموس المحيط"

لن أقف في هذه العجالة من ترجمة القراقي على مؤلفاته⁽¹²⁷⁾ التي لها ارتباط وثيق بمذهبه؛ فقد كان هذا الفقيه غاية في الذكاء، متقناً لمذهبه متفناً فيه، يحيط بمسائله ويحررها؛ فقد كانت إسهاماته وثيقة بمذهب الإمام مالك (ت179هـ) (رضي الله عنه) إن في



أبا الحسن هذا، هو الفقيه المالكي علي بن محمد بن خلف المنوفي الشاذلي. وُلِدَ في القاهرة سنة (857هـ)، وهو فقيه ومحدث ونحوي ولغوي، له في الفقه شرح على مختصر خليل، وشرح على "الرسالة" لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ)، وهي متن من متون الفقه المالكي مشهور. وله شرحان على البخاري، وآخر على مسلم، و"الجوهرة المصونة بشرح الأجرومية" في النحو، ومقدمة في العربية وغيرها. توفي سنة 939هـ⁽¹³⁶⁾.

2. عرّف القاسمي "بمختصر الشيخ خليل" المتوفى سنة (776هـ)، ولم يعرف بكتاب الشيخ الشاذلي الخاص بالمختصر. وكتاب الشاذلي اسمه: "شفاء العليل في لغات خليل"، ولم يتسن لي الاطلاع عليه.

3. جاء في طبعة القاسمي: "وبسطت ذلك في" الروض المسلوف، فيما له اسمان إلى ألوف". انتهى. والذي للقاضي عياض درجات النخل سبعة⁽¹³⁷⁾، والكلام هنا فيه نقص، تكشف عنه الفقرة الرابعة الآتية.

4. ثمة في النسخة الخطية (م) تعليق للقراقي غير موجود في طبعة القاسمي والنسخة الخطية (ح) - يبين فيه أن ما خطاً به الفيروزآبادي الجوهرى ليس له وجه، قال القراقي نقلاً عن الفيروز: "وبسطت ذلك في" الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف". انتهى. وفي هذا نظر: لأن الذي في "الصّاح" هي الدرجات التي يحكم عليها غيره من أهل اللغة⁽¹³⁸⁾. وأما ما اعترض به [ف] ⁽¹³⁹⁾ في صفات نشأتها - أعني الثمرة - لكتها⁽¹⁴⁰⁾ كما في صفات الشّيب من بني آدم؛ يشهد لذلك ما قاله القاضي عياض: درجات النّخل سبعة".

5. وجاء فيها: "وقول الجوهرى: أول البسر طلع ثم خلل إلى آخره، غير جيد"، ولم يكمل المحقق القاسمي النصّ مكان قوله "إلى آخره". وتماهه في "الصّاح": "ثم بلح، ثم بسر، ثم رطب، ثم تمر"⁽¹⁴¹⁾. وقد علّل الزبيدي قول الفيروزآبادي: "غير جيد" بقوله: "لأنه - أي الجوهرى - ترك كثيراً من المراتب التي يؤول إليها الطلع بعد، حتى يصل إلى مرتبة التمر"⁽¹⁴²⁾.

6. وقف القاسمي عند الفقرة الآتية من الرسالة بما بيّنه من هوامش فيها: إذ عرّف بابي زيد الأنصاري والأصمعي، إضافة إلى الهامش الخاص بكلمة (تمر)، دونما ترجيح منه لإحدى الكلمتين (تمر أو تمر). أما ما يتصل بروايات الحديث المتعلقة بالمادة اللغوية (ز هـ و) فلم يقف عندها، ولم يتعرض إليها، ولم يحررها. والفقرة التي أعنيها هي: "وقوم يجعلون البسر بعد الزهو، وهو الذي يستعمله الفقهاء. والزهو ابتداء طيب تمر⁽¹⁴³⁾ النخل، واصفراره واحمراره، ويقال فيه: أزهى يزهي. وجاء في بعض روايات الحديث: يزهو، وقالوا: لا يصح. وقال أبو زيد: زهى وأزهى، ولم يعرف للأصمعي أزهى"⁽¹⁴⁴⁾.

7. وقد وقفت عند هذه الفقرة وحاولت أن أجليها بوضع هوامش توضيحية، والوقوف على بعض الأحاديث التي نهى فيها الرسول عليه السلام، عن بيع ثمار النخل قبل أن تزهي أو تزهي، أي تتلون، أتغياً منها إثبات الفرق بين مادة (ز هـ و) حال كون الفعل مبنياً للمعلوم أو للمجهول. قال القراقي: "وقوم يجعلون البسر هو⁽¹⁴⁵⁾ الزهو، وهو الذي يستعمله الفقهاء. والزهو ابتداء طيب تمر⁽¹⁴⁶⁾ النخل واصفراره أو احمراره⁽¹⁴⁷⁾، ويقال فيه: أزهى يزهي⁽¹⁴⁸⁾. وجاء في بعض روايات الحديث: يزهو⁽¹⁴⁹⁾، وقالوا: لا يصح. وقال

بعد أن فرغت من نسخ الأصل الخطي، وخلال تصفحي في مواقع الشبكة العالمية، وجدت أن الدكتور علي القاسمي⁽¹³²⁾ كانت له عناية بهذه الرسالة القيمة، اعتمد في تحقيقها على ثلاث نسخ خطية⁽¹³³⁾، وقام بنشرها في مجلة "اللسان العربي"⁽¹³⁴⁾ التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الرباط، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (جامعة الدول العربية).

وقد قدّم القاسمي بين يدي النصّ المحقق دراسة من خمس صحائف تضمنت مقدمة يسيرة في أهمية هذه الرسالة في المصطلح العلمي، ذلك أنها "تتعلق بتحديد المجال المفهومي لعدد من المصطلحات المتداولة التي تنتمي إلى منظومة مفهومية واحدة هي ثمار النخل، مثل: طلع، وإغريض، وخلال، وبلح، وبسر، ورطب، وتمر" على حدّ قوله.

ويرى أن المخطوطة، على الرغم من قصرها وصغر حجمها، تشكّل أهمية كبيرة، لأن صاحبها «اتبع منهجية علمية للتوصل إلى تحديد رتبة كل مفهوم في المنظومة طبقاً لمرحلة نمو ثمار النخل ونضجها، وهي مراحل تقتزن بخصائص وجودية مميزة مثل الشكل والحجم واللون". ثم أورد ذلك حديثاً عن اسم المؤلف وعصره، وحياته، وتحصيله العلمي، ومؤلفاته التي عدّ منها تسعة عشر مؤلفاً بين مخطوط ومطبوع، ومصادر دراسته، ومنهجه في تحقيق النص.

وقد وجدت أن طبعة القاسمي - ورمزت لها بالرمز (ق) - فيها بعض زيادات على الأصل الخطي الذي بحوزتي، وهو كذلك فيه زيادات غير متوافرة في طبعة القاسمي. لذلك، رأيت من المناسب أن أعين الرسالة من جديد، وأقوم على خدمتها ودراستها، لا سيما وأن كثيراً من المواطنين في الرسالة المطبوعة كانت بحاجة إلى تحرير وزيادة تعليق من الأستاذ المحقق، خاصة فيما يتصل بالأحاديث النبوية المتعلقة بالمادة اللغوية (ز هـ و).

وعليه، فقد جعلت طبعة القاسمي نسخة ثالثة في معاينة المخطوط ومقابلة الأصل الخطي عليه، فضلاً عن الرجوع إلى النقول التي اقتبسها القراقي من معجمي "الصّاح" للجوهري، و"القاموس المحيط" للفيروزآبادي.

لكن، ولما كان الدكتور القاسمي أطال الله في عمره، السّباق إلى نشر هذه الرسالة النفيسة للشيخ بدر الدين القراقي، فإنني لا أعيد اليوم نشرها - بعد أن فرغت من تحقيقها - ثانية، وإنما اكتفيت بما قدّمته من دراسة حول هذه الرسالة في ثمار النخل، حرّصت فيها على لمّ مصطلحاتها وتبيين مفاهيمها؛ إن في رسالة القراقي واحتوت على (21) واحد وعشرين مصطلحاً، وإن في غيرها من المعاجم كما في المخصّص لابن سيده وقد أربت على الخمسين منها.

وأما ما عَن لي من ملحوظات وقفت عليها خلال السير في تحقيق الرسالة، فإنّه من المناسب إثباتها هنا، ثم أردفها بالفروق بين النسخ الخطية، وذلك لإتمام الفائدة في إخراج هذه الرسالة النفيسة - للإمام بدر الدين القراقي - على وجهها الصحيح والأكمل إن شاء الله.

أولاً: الملحوظات

1. وهَم الدكتور القاسمي عندما عرّف بالشيخ أبي الحسن الشاذلي الوارد ذكره في متن الرسالة، بأنّه من أقطاب التصوّف الإسلامي، تنتسب إليه الطريقة الشاذلية، ولد في المغرب وعاش في شاذلة بتونس وتوفي في القاهرة سنة (656هـ)⁽¹³⁵⁾. والصّحيح أن

أبو زيد: يُزهي وأزهي⁽¹⁵⁰⁾، ولم يعرف الأصمعي⁽¹⁵¹⁾: أزهي⁽¹⁵²⁾.
8. زيادة توضيح

ورد في الأحاديث النبوية أنّ رسول الله ﷺ نهى عن بيع ثمار النخل حتى تزهو، أو تزهي، وفيها سئل الراوي عن "تزهو" و"تزهي"، فقال: "تَحْمَرُ أو تَصْفَرُ"⁽¹⁵³⁾.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، أنّ رسول الله ﷺ، "نهى عن بيع الثمار حتى تزهي"⁽¹⁵⁴⁾، وعنه (رضي الله عنه)، أنّ رسول الله ﷺ، "نهى أنّ تباع ثمرة النخل حتى تزهو"⁽¹⁵⁵⁾، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: "وفي حديث آخر أنه نهى عن بيعه قبل أن يشقح، ويقال: يُشَقِّح. والتشقيق هو الزهو أيضا"⁽¹⁵⁶⁾.

ودار حول هذا الفعل (زها) و(أزهي) خلاف بين العلماء؛ فمنهم من ينكر (زها يزهو) على البناء للمعلوم بمعنى احمرّ واصفرّ، ومنهم من ينكر (أزهي يزهي)، مع أنّ الصيغتين (يزهو)، و(يزهي)، وردتا في الأحاديث النبوية التي أشرنا إليها⁽¹⁵⁷⁾. وهم يزون أنّ ثلاثي الفعل (بمعنى تَلَوَّن)، لا يُستخدم إلا مبنياً للمجهول: (زهي)، ومضارعه: (يزهي)؛ قال أبو الخطّاب الأحمش: "لا يقال للنخل إلا يزهي، وهو أن يحمرّ أو يصفرّ، قال: ولا يقال: يزهو"⁽¹⁵⁸⁾. وقال ابن سيده: "زهي على لفظ ما لم يسّم فاعله، جَزَمَ به أبو زيد وأحمد بن يحيى"⁽¹⁵⁹⁾. وذكر ابن منظور أنّ للعرب أحرفاً لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل، مثل: زهي الرجل، وعني بالأمر، ونجت الشاة والناقاة وأشباهها، قال: يُقال: زهي الرجل فهو مَزْهُو، هكذا يُتَكَلَّم به على سبيل المفعول وإن كان بمعنى الفاعل⁽¹⁶⁰⁾.

وقال القاضي عياض في شرحه لـ (تزهو) و(تزهي): "فرّق بعضهم بين اللفظين، قال ابن الأعرابي: زهت الثمرة إذا ظهرت، وأزهت إذا احمرت واصفرت"⁽¹⁶¹⁾. وأمّا (أزهي) التي لم يعرفها الأصمعي، فقد قال الجوهري: "أزهي، لغة حكاها أبو زيد ولم يعرفها الأصمعي"⁽¹⁶²⁾. وقال القاضي عياض: "قال الأصمعي: لا يقال في النخل: أزهي، وإنما يقال: زها"، وصحّ له ابن خليفة الوشتاني إذ قال: "قال الأصمعي: لا يقال الثلاثي في النخل"⁽¹⁶³⁾. وأظنّ ذلك هو الصواب؛ فقد ذكر ابن منظور عن الأصمعي أنّه قال: "إذا ظهرت في النخل الحمرة قيل: أزهي يزهي"⁽¹⁶⁴⁾. ومفهوم قوله هذا أنّ (زها يزهو) في النخل تعني ظهور ثمره؛ فتكون على ذلك الروايتان -عن الأصمعي- صحيحتين: زها يزهو بمعنى ظهور الثمر، وأزهي يزهي بمعنى تَلَوَّن (اصفرّ أو احمرّ). أمّا الزهو بمعنى الكبر، فقد حكاها ابن دريد، أي: زها يزهو زهواً، بمعنى تكبر⁽¹⁶⁵⁾. وقد حمل على معناها (تزهي) على البناء للمجهول، قال ابن السّجري في شرح كلمة (تزهي) الواردة في بيت الرّضي:

تَزْهَى عَلَى تِلْكَ الطَّبَا... وَفَلَيْتَ شِعْرِي مَن أَبَاهَا
وَقَفَّ الْهَوَى بِي عِنْدَهَا... وَسَرَّتْ بَقْلِي مَقْلَتَاهَا

قال: "وقوله: تزهي، من الزهو، الذي هو الكبر، لا يستعملونه إلاّ مضموم الأول على ما لم يسّم فاعله، تقول: زهيت علينا يا رجل تزهي، فأنت مزهو، أي تكبرت، ولا تقول: زهوت، فتجعل الفعل له، لأنّ الفعل إنّما هو للشّيء الذي يحمله على الزهو، كالجمال والسّلطان، وإنما يفسّرون (زهيت) بـ (تكبرت) مجازاً، وتفسيره: حُمِلَتْ على التّكبر"⁽¹⁶⁶⁾.

وفي صحيح البخاري أنّ عائشة (رضي الله عنها) قالت لمن دخل عليها من الصحابة، وكان عليها دُرْع قَطْر: "ارفع بصرك إلى جاريّتي، انظر إليها، فإنّها تزهي أنّ تلبسه في البيت، وقد كان لي منه دُرْع على عهد رسول الله ﷺ، فما كانت امرأة تُقِينُ بالمدينة إلاّ أرسلت إليّ تستعيّره"⁽¹⁶⁷⁾.

وعليه، فإنّ (زها يزهو) على البناء للمعلوم، يكون بمعنى العُجْب والتّيّه والتّكبر، وبمعنى ظهور الثمر كذلك، لا بمعنى تَلَوَّن في سياق معاني أسماء النخل، الذي يدلّ عليه (زهي يزهي) مبنياً للمجهول، مع دلالة على معنى العُجْب كذلك⁽¹⁶⁸⁾.

أمّا المزيد بمعنى الاحمرار والاصفرار، فالمستخدم فيه (أزهي يزهي)، قال الجوهري: "أزهي: لغة حكاها أبو زيد، ولم يعرفها الأصمعي"⁽¹⁶⁹⁾، وقال الخطّابي في: (حتى تزهي): "هذه الرواية هي الصّواب؛ فلا يقال في النخل: تزهو، إنّما يقال: تزهي لا غير"⁽¹⁷⁰⁾.

ثانياً: فروق النسخ الخطية

1. ورد في النسخة (ح) بعد ذكر عنوان الرّسالة وقبل البسملة: [للعبد الفقير بدر الدين القرافي المالكي من ذرية العارف ابن أبي جمرة نفعا الله به أمين]، وفي النسخة (م): [للشيخ بدر الدين القرافي]، ولم يرد شيء من ذلك في نسخ القاسمي.
2. ورد في طبعة القاسمي: (ونحوه قول صاحب القاموس، فيه: "البَلَح (مُحَرَّكة) بين الخلال والبسر". انتهى. ومؤدى كلامهما أنّ الخلال رتبة سابقة على البَلَح). وفي النسختين الخطيتين (م): و(ح): (ونحوه قول صاحب القاموس، فيه: البَلَح: -مُحَرَّكة⁽¹⁷¹⁾- بين الخلال والبسر، انتهى. ولعله تجوّز في إطلاق لفظ "البَلَح" على هذه المراتب، ومؤدى 65/ ب [كلامهما]⁽¹⁷²⁾ أنّ الخلال رتبة، والبَلَح رتبة أخرى). فالعبارة المخطوط تحتها ناقصة في نسخ القاسمي.

3. ورد في طبعة القاسمي: (البسر بضمّ الباء: المنصف). وفي النسختين (م) و(ح): (البسر بضمّ الباء: هو المنصف)، بزيادة "هو" فيهما. ولم يقف المحقق عند لفظ "المنصف": فـ "المنصف" (كمُحَدَّث): مَنْ حَمَرُ رَأْسُهُ بعمامة، ومنه "النّصف" بمعنى (الخمار)، كما جاء في الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال في الحور العين: {وَلَنَصِيفُ إِحْدَاهُنَّ عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا}. أمّا "المناصف"، فهو البسر غير الناصف⁽¹⁷³⁾.

4. وفي طبعة القاسمي: (قال أهل اللغة: أوّل تمرّ النخل: طلّع وكافور، ثمّ بلّح، ثمّ بسرّ، ثمّ رطب، ثمّ تمرّ). وفي النسختين (م) و(ح): (قال أهل اللغة: أوّل تمرّ النخل: طلّع وكافور، ثمّ خلّال -بفتح الخاء المعجمة واللام المخففة- ثمّ بلّح، ثمّ بسرّ، ثمّ رطب، ثمّ تمرّ)، بزيادة ما تحته خطّ.

5. وفيها وفي النسخة الخطية (ح): (لأسماء تمرّ النخل قد صحّ محسوب). ولعلّ صوابه: لأسماء ثمار، لصحة المعنى؛ إذ التمر رتبة من رتب ثمار النخل. ويعضده قول القرافي نفسه في نظم ما رتبته الشاذلي: و أسماء ثمار النخل في العدّ سبعة ...

6. وفيها: (مُوكَّت مَسْبُوقُ الْمُخَطَّم)، وتامه ما في النسختين (م) و(ح): (مُوكَّت مَسْبُوقُ الْمُخَطَّم قد أتى)، بسقوط "قد أتى" منها.
7. وفيها وفي النسخة الخطية (ح): (كذا بلّح بسرّ به طاب مجروداً)، وصوابه: مجروداً، كما في النسخة (م).

8. وفيها: (ويزده زهو كذا رطب حلا)، وصوابه ما في النسختين (م) و(ح): (ويزده زهو كذا رطب حلا).

9. وفيها وفي النسخة (ح): تكرر قبل الأبيات المنظومة في الرّسالة قوله: "وقد نظمت"، "وقد نظمت"، "وقد نظمت". ولعلّ الصّواب ما أثبتته من النسخة (م): "وقد نظمت"، "ونظمت"، "ونظمت"، من غير تكرار "قد" في المرتين الثانية والثالثة. والله جلّ شأنه أعلم وهو وليّ السّداد والتّوفيق.

- (1) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، اعتنى به محمود بن الجميل، ج1، ط1، القاهرة: مكتبة الصفا، 2003، ص183.
- (2) النخل اسم جنس جاء ذكره في القرآن الكريم في (18) سورة، في (21) آية، على أربعة ألفاظ من مادة (ن خ ل) هي: 1- النخلة (مفردة) في موضعين، 2- نخلاً (اسم جنس منكرًا) في موضع واحد، 3- نخيل (جمعًا) في سبعة مواضع، 4- النخل (اسم جنس معرفًا) في عشرة مواضع. وعلى لفظ واحد من مادة (ل ي ن) في قوله تعالى: «ما قطعتم من لينة» في سورة «الحشر»، واللينة: النخلة. انظر بحثًا للأستاذ عادل الشيخ حسين بعنوان: «نخلة التمر في المصادر العربية قديمًا وحديثًا»، وهذا البحث بشكل ثبوتًا بيبليوغرافيًا مفيدًا في أهمية النخلة في الكتب المقدسة والمؤلفات العربية والمعربة قديمًا وحديثًا: (مجلة عالم الكتب، الرياض: مج24، العددان 1-2، 1423هـ، استرجعت بتاريخ 17/ 8/ 2012م من موقع: <http://www.alukah.net/Culture/1053/1475>).
- (3) النبطي، ابن وحشية: رسالة النخل، ضميمه كتاب: رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط1، الزرقاء: مكتبة المنار، 1988، ص299.
- (4) انظر: الأصفهاني، الراغب (الحسين بن محمد)، المفردات، تح عدنان الداودي، (د. ط)، دمشق: الدار الشامية، 1412هـ، ص494، 686، والقرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سمير البخاري، ج7، (د. ط)، الرياض: دار عالم الكتب، 2003، ص48، وعبد الباقي، محمد فؤاد، معجم غريب القرآن، ط2، بيروت: دار المعرفة، 1950، ص117.
- (5) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، بعناية محمد تميم، وهيثم تميم، بيروت: دار الأرقم، 1995، (كتاب الأطعمة، باب بركة النخل، ح5448).
- (6) فتح الباري، 1/ 185.
- (7) الجوزية، ابن قيم: الطب النبوي، تح. شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997، ص365.
- (8) القشيري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، بعناية محمد تميم، وهيثم تميم، ط1، بيروت: دار الأرقم، 1999، (كتاب الأشربة، باب في إخبار التمر ونحوه من الأقوات للعيال، ح2046).
- (9) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، (ح6539)، وانظر صحيح مسلم، (ح1016).
- (10) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، (ح2047). واللابة: أرض ذات حجارة سود كثيرة، والمدينة بين لابتين: شرقية وغربية.
- (11) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، (ح2048). والعالية: كما في: النووي، يحيى بن شرف: المنهاج (شرحه على صحيح مسلم)، ج14، ط1، القاهرة: المكتبة المصرية بالأزهر، 1930، ص3- ما كان من الحوائط والقرى والعمارات من جهة المدينة العليا مما يلي نجدًا، والعجوة نوع جيد من التمر.
- (12) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب العجوة، (ح5445)، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة، (ح2047).
- (13) شرح صحيح مسلم، ج14، ص3.
- (14) صحيح البخاري: كتاب الهبة، باب فضل الهبة، (ح2567)، وانظر: صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، (ح2972).
- (15) الأندلسي، ابن خفاجة: ديوانه، تح عبد الله سنده، ط1، بيروت: دار المعرفة، 2006، ص58، 59.
- (16) الشنفرى، ثابت بن أوس: ديوانه، تح إميل بديع يعقوب، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1996م، ص48.
- (17) ثعلب، أبو العباس: شرح ديوان زهير، تح حنا نصر الحتي، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004م، ص107.
- (18) ديوان امرئ القيس، تح. أبو الفضل إبراهيم، ط5، القاهرة: دار المعارف، 1958، ص16.
- (19) الأعشى، ميمون بن قيس: ديوانه، تح محمد محمد حسين، مصر: مكتبة الآداب، 1950، ص149، 151.
- (20) ديوانه النابغة، اعتنى به حمدو طماس، ط2، بيروت: دار المعرفة، 2005، ص61.
- (21) الخنساء، تاملر بنت عمرو: ديوانها بشرح ثعلب، تح أنور أبو سويلم، ط1، عمان: دار عمار، 1988، ص372. والخبركي: القصير الجليل، وجشم رهط دريد، وهديًا: عروسًا، وجريم التمر حثالته.
- (22) انظر: ديوان أبي نواس، (د. ط)، بيروت: دار صادر، (د. ت)، ص118.
- (23) انظر: شرح ديوان صريع الغواني، تح سامي الدهان، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1985، ص343.
- (24) المعري، أبو العلاء: ديوان سقط الزند، (د. ط)، بيروت: دار بيروت، دار صادر، 1957، ص162.
- (25) استرجعت بتاريخ 16/ 12/ 2012م، من موقع «الشبكة العراقية لشجرة التمر»: <http://www.iraqi-datepalms.net/Web/WebContent.aspx?id=62>
- (26) شوقي، أحمد: الشوقيات، ج4، بيروت: دار العودة، 1988، ص64-65.
- (27) انظر: الأزدي، علي بن ظافر: غرائب التنبهات على عجائب التشبيهات، تح. محمد زغلول سلام، ومصطفى الصاوي الجويني، القاهرة: دار المعارف، 1983، ص110-113.
- (28) انظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، تح. ناهد عباس، ط1، قطر: دار قطري بن الفجاءة، 1985، ص111، 114، 119، 136، 137، 145، و«نخلة التمر في المصادر العربية»، مرجع سابق.
- (29) نشره وجمع رواياته الدكتور أوغست هفغر، وطبع في بيروت سنة 1908.
- (30) نشرها الدكتور إبراهيم السامرائي في مجلة المورد العراقية، مج1، ع2-1، 1971، ثم أعاد طبعها ضمن كتابه «رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ».
- (31) حققه وعلق عليه الدكتور حاتم الزمان، وطبع في بيروت سنة 2002م. وكان الدكتور إبراهيم السامرائي حقق الكتاب وعلق عليه ونشره في بيروت سنة 1985، بعنوان «كتاب النخل». وحتى لا يقع لبس واشتباه، كنت أحيل إلى «النخل» للسجستاني، بتحقيق الزمان.
- (32) وهو كما يقول ابن النديم من الكتب المفضلة عند العلماء، ذلك أنه من أول المؤلفين العرب في علم النبات، وهو كتاب لم يُصنّف مثله في معناه على حدّ تعبير البغدادي. انظر: البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، مج1، ط4، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997، ص55.
- (33) انظر ثبت ذلك في «نخلة التمر في المصادر العربية»، مرجع سابق.
- (34) الفيروزآبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1987، مادة (خ ل ل).
- (35) القاموس، مادة (ب ل ح).
- (36) الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ط2، بيروت: دار العلم للملايين، 1979، (ب ل ح ح).
- (37) انظر: القاموس، مادة (ب س ر).
- (38) تمامه في الصحاح مادة (ب س ر): ثم بَلَحْ، ثم بُسِرْ، ثم رُطِبْ، ثم تَمَرْ.
- (39) قال الزبيدي: «لأنه ترك كثيرًا من المراتب التي يؤول إليها الطلع بعد، حتى يصل إلى مرتبة التمر». تاج العروس، مادة (ب س ر).
- (40) كمُعْظَم (تاج العروس، مادة: ب س ر).

- (41) على صيغة اسم الفاعل، انظر: (تاج العروس، مادة: ب س ر).
- (42) وزاد اللبدي مرتبة أخرى في مجموعة (البُسْر)، قال: فَإِنْ لم يَنْضَجْ كُلُّهُ فَمُنَاصِفٌ (مادة: ب س ر)، والمُنَاصِفُ (بالضَّم): البُسْرُ رَطْبٌ نصفه، لغة يمانية (تاج العروس، مادة: ن ص ف). أي أَنَّ البُسْرَ النَّضِيجَ يصبح رَطْبًا.
- (43) وهو آخر المراتب (تاج العروس، مادة: ب س ر).
- (44) الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: الغريب المصنّف، تح. محمد المختار العبيدي، مج1، ج2، (د.ط)، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1988، ص481 (بتصرف). وانظر: ابن الأجدابي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل: كفاية المتحفظ في اللغة، تح. السائح علي حسين، (د.ط)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، (د.ت)، ص208.
- (45) كتاب النخل والكرم، ص67.
- (46) العامري، لبید بن ربيعة، ديوانه، تح. إحسان عباس، (د.ط)، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، 1962، ص42.
- (47) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق ياسين الأيوبي، ط2، بيروت: المكتبة العصرية، 2000م، ص333.
- (48) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، بيروت: دار صادر، (ط.ع).
- (49) انظر: السجستاني، أبو حاتم: كتاب النخل، تح. الدكتور حاتم الضامن، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2002، ص64.
- (50) كتاب النخل والكرم للأصمعي، ضميمه كتاب "البلغة في شذور اللغة"، تحقيق أوغست هفتر، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1908، ص66.
- (51) لسان العرب (غرض)، ولم يتيسر لي الاطلاع على كتاب ابن الأعرابي الوارد ذكره في المقدمة.
- (52) لسان العرب (بلح)، وتاج العروس (بلح).
- (53) تاج العروس (سبب)، وليس ذلك متوافقاً في الجزء المطبوع من كتاب "النبات" لأبي حنيفة الدينوري، الوارد ذكره في المقدمة.
- (54) كتاب النخل والكرم للأصمعي، ص66، وانظر: النخل لأبي حاتم، ص70.
- (55) كتاب النخل والكرم للأصمعي، ص66، وانظر: النخل لأبي حاتم، ص69.
- (56) انظر: لسان العرب (سرد)، وتاج العروس (سرد).
- (57) قال الأزهري: قال شَمِر: وهي بلغة أهل البصرة، واحدها خَلَالَة. (انظر: الأزهري، أبو منصور: تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مادة (خ ل ل)).
- (58) لسان العرب (خلل)، والقاموس المحيط (خلل).
- (59) ابن بري، علي بن محمد: التنبيه والإيضاح، تحقيق عبد الوهاب عوض الله، ج6، ط1، القاهرة: مجمع اللغة العربية، 2010م، ص27 - مادة (ب غ ا)، وانظر: لسان العرب (بغو)، وتاج العروس (بغو).
- (60) انظر: النخل لأبي حاتم، ص70، ولسان العرب (بسر)، والقاموس المحيط (بسر).
- (61) كتاب النخل والكرم للأصمعي، ص66.
- (62) انظر: ابن سيده، علي بن إسماعيل: المخصص، ج3، بيروت: دار الفكر، ص221.
- (63) النخل لأبي حاتم، ص72، وانظر: تاج العروس (وكت).
- (64) لسان العرب (ذنب)، وتاج العروس (ذنب).
- (65) كتاب النخل والكرم، ص67، وأهل عُمان يسمون التَّنُوبَ القَارِنَ، انظر: النخل لأبي حاتم، ص72.
- (66) تاج العروس (جمس).
- (67) كتاب النخل والكرم، ص67، وانظر: النخل لأبي حاتم، ص73.
- (68) الصحاح (ثعد) ولسان العرب (ثعد).
- (69) كتاب النخل والكرم، ص67.
- (70) لسان العرب (خلع).
- (71) لسان العرب (زهو).
- (72) النخل لأبي حاتم، ص72.
- (73) تاج العروس، مادة (ب س ر)، و(ن ص ف).
- (74) انظر: لسان العرب (رطب)، وتاج العروس (رطب).
- (75) لسان العرب (معو)، وتاج العروس (معو).
- (76) كتاب النخل والكرم، ص67.
- (77) لسان العرب (تمر).
- (78) انظر: المخصص، مج3، ج11 / 119-124.
- (79) تاج العروس (حرب).
- (80) انظر: النخل لأبي حاتم، ص63.
- (81) لسان العرب (جفف).
- (82) لسان العرب (ولع)، وتاج العروس (ولع).
- (83) النخل، ص63.
- (84) النخل، ص68.
- (85) لسان العرب (ضحك)، وتاج العروس (ضحك).
- (86) لسان العرب (غضض)، وتاج العروس (غضض).
- (87) كتاب النخل والكرم، ص67.
- (88) النخل لأبي حاتم، ص67، ولسان العرب (ضبب)، والقاموس المحيط (ضبب).
- (89) لسان العرب (حرب).
- (90) النخل، ص74، وانظر: الصحاح (دمن)، ولسان العرب (دمن).

- (91) النخل، ص 69، وتاج العروس (خضب).
- (92) النخل، ص 69، ولسان العرب (حصل)، والقاموس المحيط (حصل).
- (93) انظر: النخل، ص 70، ولسان العرب (سيب) (سدا).
- (94) لسان العرب (وكب)، وتاج العروس (وكب)، وفي التهذيب للأزهري قال: الوَكْبُ: سواد اللون من عنب أو غير ذلك إذا نَضِج. وقال: الذي نَعَرُفُهُ في ألوان الأعناب والأرطاب إذا ظهر فيه أدنى سواد أو صُفْرَة: التَّوَكَيْتُ وَيُسَرُّ مُوَكَّتٌ، وهذا معروف عند أصحاب النخل في القرى العربيّة. وأمّا الوَكْبُ بالباء، فقد روي عن ابن الأعرابي أنه قال: الوَكْبُ: الوَسَخ. انظر: تهذيب اللغة (وكب - 10: 401).
- (95) النخل، ص 71، وانظر: لسان العرب (شقح)، وتاج العروس (شقح).
- (96) النخل، ص 71، وانظر: تاج العروس (فضح).
- (97) النخل، ص 72، وانظر: تاج العروس (حنط).
- (98) انظر: تهذيب اللغة (قلب - 9: 176).
- (99) كتاب النخل والكرم، ص 68.
- (100) تاج العروس (وشي).
- (101) تهذيب اللغة (شمط).
- (102) لسان العرب (عضد).
- (103) النخل، ص 73.
- (104) انظر: النخل، ص 72، وتهذيب اللغة (جزع - 1: 344).
- (105) النخل، ص 72.
- (106) النخل، ص 72، وانظر: تهذيب اللغة (حلقن - 5: 301).
- (107) النخل، ص 73. والقَمْعُ: هو الذي على رأس البُسرة والرُّطبة.
- (108) لسان العرب (ثغر).
- (109) النخل، ص 73.
- (110) النخل، ص 73.
- (111) تاج العروس (نوض).
- (112) تاج العروس (مضغ).
- (113) النخل، ص 73، وانظر: الصحاح (شكل) وتاج العروس (شكل).
- (114) النخل، ص 73، وتاج العروس (مهو).
- (115) النخل، ص 73، ولسان العرب (همد).
- (116) الصحاح (جزز) ولسان العرب (جزز).
- (117) تهذيب اللغة (قَب - 8: 298)، وتاج العروس (قَب).
- (118) تهذيب اللغة (قف - 9: 162)، ولسان العرب (قف).
- (119) لسان العرب (لقط).
- (120) النخل لأبي حاتم، ص 43. وهنا استثمر عمر رضي الله عنه كلمة الملك فدعاه إلى الإسلام، إذ قال له: "...، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن رُسُك قد صدقتك، وإنها الشجرة التي أنبتها الله جلّ وعزّ على مريم حين نُفِست بعيسى، فاتّق الله، ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله". السابق، ص 44. وقال ابن وحشية النبطي: "النخلة شجرة مباركة لا تنبت إلا في بلاد المسلمين". رسالة النخل، ضميمة كتاب «رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ»، ص 298.
- (121) انظر ترجمته: الزركلي، خير الدين: الأعلام، مج 7، ط 6، بيروت: دار العلم للملايين، 1984، ص 141، المحبّي، محمد أمين بن فضل الله: تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج 4، القاهرة: المطبعة الوهبيّة، 1284هـ، ص 262-258، ومخلوف، محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت: دار الكتاب العربي، 1349هـ، ص 288، والتنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج (بهامش الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي)، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1970، ص 342.
- (122) انظر اتصال سنده إلى الشيخ خليل: خلاصة الأثر، 4 / 258.
- (123) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 342.
- (124) خلاصة الأثر، 3 / 308-309.
- (125) السابق، 4 / 258.
- (126) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 342.
- (127) انظر ثبت مؤلفاته: التراجم السابقة، وخليفة، حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار الفكر، 1990، ص 358، 762، 1045، والبغداد، إسماعيل باشا: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، بغداد: مكتبة المثنى، 1 / 8، 34، 204، 337، 380، 470، 2 / 102، والبغداد، إسماعيل: هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)، بغداد: مكتبة المثنى، 2 / 263، وكحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين (تراجم مصنّفي الكتب العربيّة)، ج 3، ط 1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993، ص 601، ومجلة اللسان العربي، ع 2000، 49-48.
- (128) للقرافي رسالتان لم يتيسّر لي الإطلاع عليهما بعنوان: التحرير الفريد في تحقيق التوكيد والتأكيد، وإحكام التحقيق بأحكام التعليق، وهما إن لم تكونا في أصول الفقه، فأظنهما في علوم العربيّة وأصولها.
- (129) انظر: نصار، حسين: المعجم العربي نشأته وتطوّره، ج 2، ط 4، دار مصر للطباعة، 1988، ص 455-507.
- (130) انظر: المعجم العربي، 2 / 477، 480، 491.
- (131) لهذين العالمين حاشيتان على القاموس (انظر: كشف الظنون، 2 / 1308-1309، والمعجم العربي، 2 / 491).
- (132) كاتب وباحث عراقي مقيم في المملكة المغربية منذ سنة 1978، عمل مديراً لإدارة الثقافة في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ثم مديراً للأمانة العامة لاتحاد جامعات العالم الإسلامي بالإسكندرية - الرباط، وهو عضو مراسل في مجمع اللغة العربيّة في القاهرة. يعمل حالياً مستشاراً بمكتب تنسيق التعريب، وعضواً في هيئة تحرير مجلته "اللسان العربي".

- (133) منها نسخة محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (2135)، وهي شبيهة بالنسخة التي اعتمدت عليها بشكل كبير سوى بعض المواضع التي سأشير إليها.
- (134) العدد 49، 2000، ص 41-49.
- (135) مجلة اللسان العربي، ع 49، ص 49.
- (136) انظر: شجرة النور الزكية، ص 272.
- (137) مجلة اللسان العربي، ع 49، ص 47.
- (138) ذكر الزبيدي في «التاج» قال: وظاهره أنّ ما قاله الجوهرى خطأً، وليس كذلك، بل هو خلاف الأولى؛ لأنّ غاية ما فيه ترك بعض المراتب، التي عدّها أهل النخل في تدريج ثمر التمر، وذلك لا يكون خطأً كما لا يخفى. (تاج العروس، مادة: ب س ر).
- (139) زيادة يقتضيها السياق؛ إذ لا يجوز حذف الفاء في جواب «أما» إلا لضرورة الشعر، أو مع قول محذوف يدلّ عليه محكيه. انظر: الاسترأبادي، رضي الدين: شرح كافية ابن الحاجب، تح إميل بديع يعقوب، ج 4، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998، ص 507، والأندلسي، أبو حيان: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح مصطفى النّماس، ج 2، ط 1، القاهرة: مطبعة المدني، 1987، ص 570، والمرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تح فخر الدين قباوة ومحمد فاضل، ط 2، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1983، ص 523-524.
- (140) لعلّ (لكنّ) هنا تفيد معنى التوكيد كقول القائل: لو جاءني أكرمته، لكنّه لم يجرى. انظر: الجنى الداني، 615، والأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، ط 6، بيروت: دار الفكر، 1985، ص 383-384.
- (141) الصحاح: مادة (ب س ر).
- (142) تاج العروس: مادة (ب س ر).
- (143) قال القاسمي: «سقطت كلمة (تمر) أو (ثمر) في النسختين الأولى والثانية»، من النسخ الثلاث التي اعتمد عليها.
- (144) انظر: مجلة «اللسان العربي»، ع 49، ص 47.
- (145) في النسختين «ق» و«ح» بعد، ولعلّ الصواب ما أثبتناه من النسخة «م»؛ بدليل ما بعده، وهو قوله: وهو الذي يستعمله الفقهاء.
- (146) () في النسختين «ق» و«ح»: تمر.
- (147) في النسختين «ق» و«ح»: و.
- (148) في النسخة «م»: أزهي، وصوابه ما أثبتناه، لأنّ النّاسخ كثيرًا ما يضع النّقط حيث لا تصحّ، والعكس صحيح.
- (149) في النسخة «م»: يزها، وصوابه ما أثبتناه.
- (150) () في النسختين «ق» و«ح»: زهي وأزهي، ولا تناقض بين المخطوطين، لأنّ يُزهي، مضارع: زهي؛ قال ابن سيده (المحكم: ز ه و): زهي - على لفظ ما لم يُسمّ فاعله - جزم به أبو زيد الأنصاري وأحمد بن يحيى.
- (151) () في النسختين «ق» و«ح»: ولم يُعرف للأصمعي.
- (152) في النسخة «م»: أزهي، وصوابه ما أثبتناه، كما ورد عن الأصمعي في معجم اللغة؛ قال الجوهرى (الصحاح، مادة: ز ه ا): أزهي، لغة حكاها أبو زيد ولم يعرفها الأصمعي.
- (153) انظر: «صحيح البخاري» (ح 1488، 2195، 2197، 2198)، و«صحيح مسلم» (ح 3859، 3978).
- (154) «صحيح البخاري» (ح 1488)، وانظر (ح 2198).
- (155) انظر: «صحيح البخاري» (ح 2195، 2197، 2208)، وانظر: «صحيح مسلم» (ح 3859، 3978).
- (156) انظر: الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: غريب الحديث، ج 1، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986، ص 142، وانظر: «صحيح البخاري» (ح 2196)، و«فتح الباري» (4: 481) لابن حجر.
- (157) انظر: ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر، تح. محمود الطناحي، وظاهر أحمد الزاوي، ج 2، ط 1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1963، ص 323.
- (158) انظر: «اللسان: ز ه ا».
- (159) ابن سيده، علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم، تح. عبد الحميد الهنداوي، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000، (ز ه و).
- (160) «اللسان: ز ه ا».
- (161) اليعقوبي، القاضي أبو الفضل عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار في شرح غريب الحديث، تح. إبراهيم شمس الدين، ج 1، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002، ص 501، وانظر له: إكمال المُعَلِّم بفوائد مسلم، تح. محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد، ج 5، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006، ص 175.
- (162) «الصحاح: ز ه ا».
- (163) انظر: إكمال المُعَلِّم، 5 / 175، والوشتاني، محمد بن خليفة: إكمال إكمال المُعَلِّم، صححه وضبطه محمد سالم هاشم، ج 5، ط 2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008، ص 361.
- (164) «اللسان: ز ه ا»، وانظر: السرقسطي، أبو عثمان: الأفعال، تح. حسين محمد شرف، ومحمد مهدي علام، ج 3، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1978، ص 442.
- (165) ابن دريد، محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، علّق عليه إبراهيم شمس الدين، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005، (ز ه ا / ج 2، ص 172).
- (166) ابن الشجري، هبة الله علي بن محمد: الأمالي، ت. محمود الطناحي، ج 1، ط 1، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1992، ص 46-45، وانظر: ديوان الشريف الرضي، ج 2، بيروت: المطبعة الأدبية، 1307 هـ، ص 965.
- (167) «صحيح البخاري» (2628)، و«تَرْهَى»: بمعنى تأنف وتكبّر، ومعنى «تُقَيَّنُ»: تُزَيَّنُ.
- (168) انظر: «فتح الباري» (4: 482).
- (169) «الصحاح: ز ه ا».
- (170) انظر: «فتح الباري» (4: 483).
- (171) في النسخة «م»: بلام محرّكة، والصواب ما في القاموس مادة (ب ل ح): محرّكة.
- (172) زيادة من النسختين «ق» و«ح»، وفيهما: «ومؤدّى كلامهما أنّ الخلّ رُتِبَ سابقّةً على البَلَح»، والمعنى واحد.
- (173) انظر: «تاج العروس» (مادة: «ب س ر» و«ن ص ف»)، و«المخصّص» (مج 3 / ج 11: 123).

رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد إلى نوابه في القضاء

إعداد | أ.عبد الرحمن حمادو الكُتبي



عبارة (...بما صورته)؛ أي بتمامها طبق الأصل، لذلك لم أستحسن إيراد الفوارق الواقعة بين النصين، سيما مع تعذر الوصول إلى الأصل الخطي لنشرة الدكتور الآن.

4. عدلنا عن التسمية التي وضعها المحقق لها، إلى تسميتها بـ "رسالة شيخ الإسلام ابن دقيق العيد إلى نوابه في القضاء" لأنها أصح وأوثق، للعبارة الواردة في أولها وهي: (...وبمثلته كتب إلى كل نائب)، ويؤيده تنصيب سيدي عبد الرحمن الثعالبي المعروف بدقته وتحريه في النقل وهو قوله (ومن بعض رسائله لنوابه..)، والله المستعان.

توثيق نسبة الرسالة إلى ابن دقيق العيد

قبل أن نشرع في سياق نص هذه الرسالة التي حفظها الله من الضياع أيما حفظ، فقد تناقلها جمع من كبار المؤرخين، نذكر هنا من نقلها ممن وقفنا عليه:

ضمن دشت بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم (2632)، جاء في أولها (فائدة)، وبهامشها (موعظة بليغة). وقد سبق لنص هذه الرسالة أن نُشر اعتمادًا على نسخة أخرى محفوظة أيضا بالمكتبة الوطنية، وصدرت ضمن مجموع للرسائل التراثية بتحقيق البحاثة الفاضل الدكتور. جمال عزون⁽⁴⁾ وفقه الله وإيانا للعلم النافع والعمل الصالح، وعُنوانها بـ "نصيحة ابن دقيق العيد لأحد نوابه في القضاء".

لكن وإن كان له فضل السبق إلى نشرها، إلا أن لنا عليه جملة مؤاخذات:

1. لم يُشر إلى رقم المخطوطة التي اعتمدها.
2. اختار ما يخالف النص، ومن رام أن يتبين فعلية بإجراء مقابلة فاحصة بين نشرته وهذه النشرة.
3. اعتمد المحقق نسخة أولها: (ومن لطائفه

ما كتب إلى نائبه بإخميم...)، وصرح ناسخها في آخرها بأنه انتهى من نقلها (مع بعض إصلاح فيما أمكن)؛ أي بتصرف منه؛ خلافا لنسختنا هذه التي وُردَ فيها

ابن دقيق العيد وما أدراك ما ابن دقيق العيد، الإمام المجتهد، مجدد الدين على رأس المائة السابعة، أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع (المتوفى سنة 702هـ) المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد.⁽¹⁾

يقول فيه علامة الجزائر سيدي عبد الرحمن الثعالبي في خلاصة الفهرسة المسماة⁽²⁾ بـ "غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد" (ق/5ب):

"كان ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى إنسان عَيْنُ الزمان في العلم والعمل، تباغت العلماء بلقائه، وشهدت النبلاء بفضله ذكائه، إن نطق فالصواب يبدو من خطابه، وإن كُتب فالسحرُ الحلال في كتابه.

ومن بعض رسائله لنوابه يقول: ما أنا وأنتم أيها النفر إلا كما قال حبيب العجمي⁽³⁾ -وقد قال له قائل: لَيْتَنَا لم نُخْلَق-، فقال: قد وَقَعْتُمْ فاحتمالوا".

ومن توفيق الله تبارك وتعالى أن يسر لنا الوقوف على النص الكامل لهذه الرسالة المشار إليها في كلام الثعالبي، وهي

• منهم تلميذه: **الشهاب أحمد بن عبد الوهاب التيمي البكري النويري** (المتوفى: 733هـ) في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" (31/300 وما بعدها)، قال: "وكانت ولايته في يوم السبت ثامن عشر الشهر المذكور (جمادى الأولى). ولما ولي القضاء كان كثير التطلع إلى أخبار نوابه بالأعمال البرانية. وكان يذگرهم بكتبه المشتملة على المواعظ والتحذيرات، من عواقب الغفلة والإهمال، فكان مما كتب به، إلى بعض نوابه، في سنة سبع وتسعين". وقيل إنه كتب إلى جميع النواب مثل ذلك. وكان مضمون كتابه الذي نقلت نسخته هذه: "بسم الله الرحمن الرحيم، الفقير إلى الله تعالى، محمد بن علي... إلخ

• **الشيخ الأديب المؤرخ أبو الفضل كمال الدين جعفر الأذفوي** (المتوفى سنة 748هـ) في "الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد" (ص335)، قال: "وكان يحاسب نفسه على الكلام، يأخذ عليها بالملام، لكنه تولى القضاء في آخر عمره، وذاق من حلوه ومره، وحنط ذلك عند أهل المعارف والأقدار... إلخ

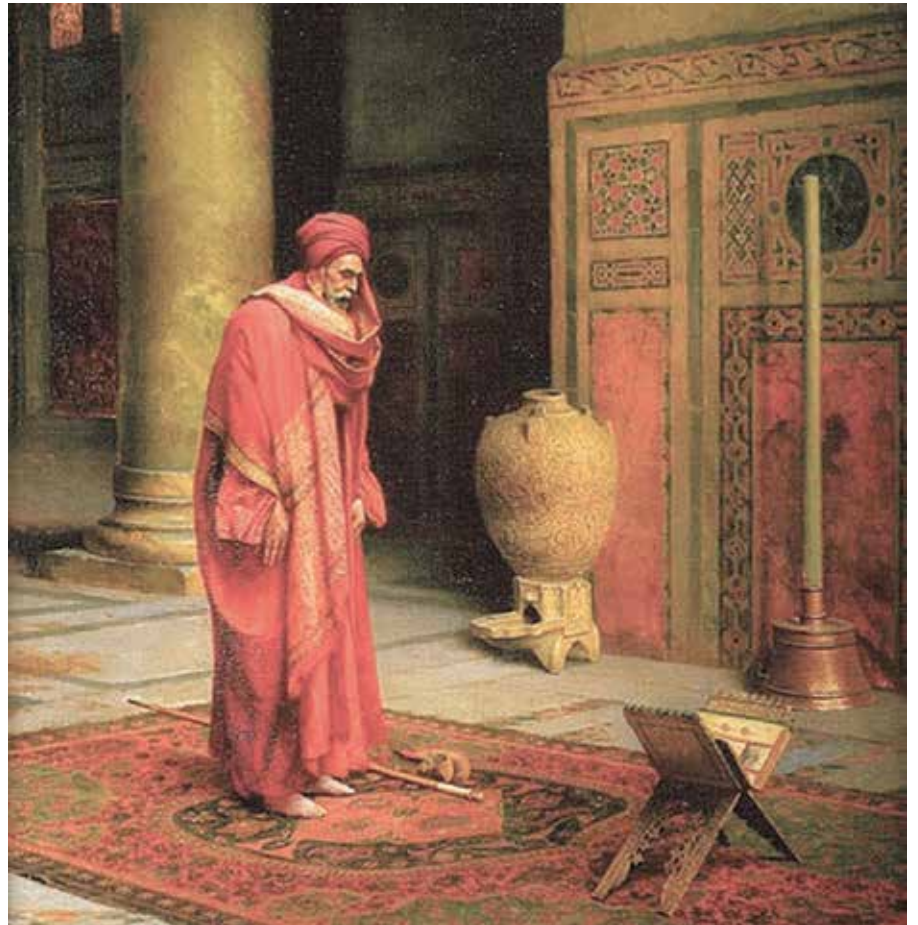
• **الشهاب أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري** (المتوفى: 749هـ) في كتابه "مسالك الأبحار في ممالك الأمصار" (5/738 وما بعدها) قال: "ومن نثر القاضي أبي الفتح ما كتبه إلى نوابه بالحكم في الوجه القبلي البحري عند ما فُوض إليه قضاء القضاة بالديار المصرية، بعد البسملة.. إلخ

• **وعن العمري نقلها التقي المقرئ** (المتوفى: 845هـ) في تاريخه "المقفي الكبير" (6/202 وما بعدها).

• **وذكرها الحافظ الجلال السيوطي** (المتوفى: 911هـ) في "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة" (2/170 وما بعدها): "وولي.. الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بعد امتناع شديد، حتى قالوا له: إن لم تفعل ولّوا فلانا أو فلانا -لرجلين لا يصلحان للقضاء- فرأى أن القبول واجب عليه حينئذ. ذكره الإسني في "الطبقات". قال ابن السبكي: وعزل نفسه غير مرة ثم يعاد. قال الإسني: وكانت القضاة يخلع عليهم الحرير، فامتنع الشيخ من لبس الخلعة، وأمر بتغييرها إلى الصوف، فاستمرت إلى الآن. وحضر مرة عند السلطان لاجين، فقام إليه السلطان، وقبّل يده؛ فلم يزد على قوله: أرجوها لك بين يدي الله. وكان يكتب إلى نوابه، ويعظهم ويبالغ في وعظهم، ومع ذلك رآه بعض خيار أصحابه في المنام وهو في مسجد، فسأله عن حاله، فقال: أنا معوق ههنا بسبب نوابي. هذا مع الاحتراز التام والكرامات الصحيحة الثابتة عنه. فهذا كله كلام الإسني. ومن لطائف ما كتب إلى نائبه بإخميم: صدرت هذه المكاتبة إلى مجلس مخلص الدين، وفقه الله تعالى لقبول النصيحة،..... واستمر الشيخ إلى أن توفي في صفر سنة اثنتين وسبعمئة".

• **الزين محمد عبد الرؤوف المناوي** (المتوفى سنة 1031هـ) في "الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية" (3/83 وما بعدها): "وكان يعدّ ولايته للقضاء ذنباً ارتكبه، حتى كان يقول: ما خار الله لمن بلي بالقضاء، لو لم يكن فيه إلا طول الحساب للسؤال لكفى، وكان يغلب عليه سلامة الصدر، وحسن الظن بالناس ولذا لم تحمد ولايته مع ما فيه من المآثر الحسنة التي لو لم يكن منها إلا ردّ الأوقاف التي اقتطعت لبعض الوجهاء

من علوّ قدره، وحسن الظن ببعض الناس فدخل عليه الباس، وحصل له من الملامة نصيب، والمجتهد يخطئ ويصيب، ولو حيل بينه وبين القضاء لكان عند الناس أحمد عصره، ومالك دهره، وثوريّ زمانه، والمتقدم على كثير ممن تقدمه، فكيف بأقرانه على أنه عزل نفسه مرة بعد مرة، وتنصّل منه كرّة بعد كرّة، والمرء لا ينفعه الحذر، والإنسان تحت القضاء والقدر. وكان يقول: والله ما خار الله لمن بلي بالقضاء. وأخبرني شمس الدين بن عدلان أنه قال له ذلك مرّة. وقال: يا فقيه لو لم يكن إلا طول الوقوف للسؤال والحساب لكفى.... إلى أن قال (ص336): "وله في القضاء آثار حسنة منها: انتزاع أوقاف كانت أخذت واقتطعت لمقطّعين، ومنها أن القضاة كان يخلع عليهم الحرير فخلع على الشيخ الصوف واستمرت، ورتّب مع الأوصياء مباشرة من جهته وغير ذلك. وكان يكتب إلى النواب يذگرهم ويحذرهم، ومما اشتهر من كتبه ما كتب به إلى المخلص البهنسي قاضي إخميم وكان من القضاء في زمنه كتاباً أوله بعد البسملة: يا أيها الذين آمنوا... إلخ



واستبدال خلعة القضاء الحرير بالصوف وتنصيبه مُشرفاً على الأوصياء، والخط على النواب وإبدال غير المناسب وتحذيرهم في كل قليل لكفاه، حتى إنه كتب لقاضي إخميم البهنسي مع كمال ورعه: هذه المكاتب لفلان الموفق لقبول النصيحة، وآتاه الله بما يقربه إليه قصداً صالحاً ونية صحيحة، أصدرها إليه بعد حمد الله... إلخ

نص الرسالة

"لما تولى شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد قضاء القضاة بالديار المصرية (5) كتب إلى نائبه ببعض البلاد (6) بوصية، والكتاب من إنشائه، بما صورته، وبمثله كتب إلى كل نائب: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحریم: آية 6].

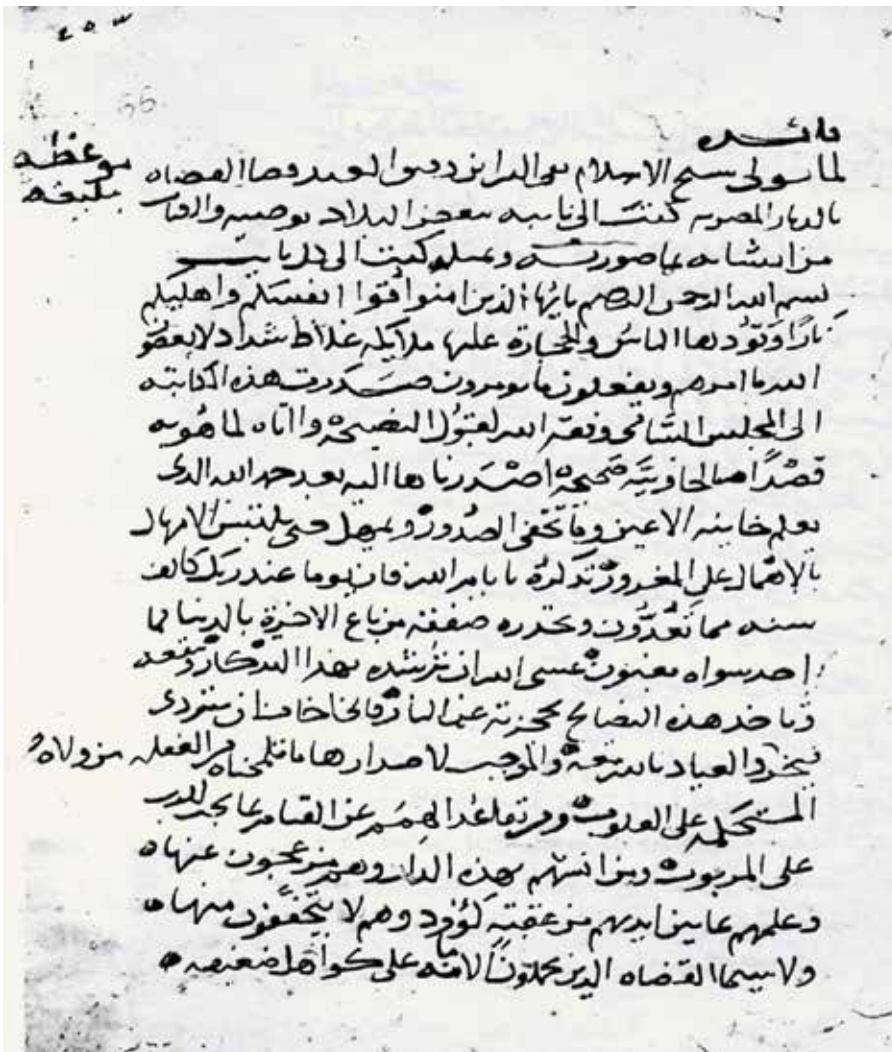
صدرت هذه المكاتب إلى المجلس (7) السامي وفقه الله لقبول النصيحة، وآتاه لما هو به قصداً صالحاً، ونية صحيحة.

أصدرناها إليه بعد حمد الله الذي ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ [غافر، آية: 19] ويُمهل حتى يَلْتَبَسَ الإمهال بالإهمال على المغرور، تذكّره بأيام الله ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج، آية: 47].

وتحذّره صَفَقَةً من باع الآخرة بالدنيا، فما أضحّ سواه مغبون، عسى الله أن يرشده بهذا التذكّار وينقّعه، وتأخذ هذه النصائح بحجّزته عن النار، فإنني أخاف أن يتردى فيحر من ولّاه -والعياذ بالله- معه.

والموجب لإصدارها ما تلمّحناه من الغفلة المُستَحكمة على القلوب، ومن تقاعد الهمم عن القيام بما يجب للرب على المريب، ومن أنسهم بهذه الدار وهم مُزعجون عنها، وعلمهم بما بين أيديهم من عقبة كؤود وهم لا يتخفون منها، ولاسيما القضاة الذين يحملون أعباء الأمانة على كواهل ضعيفة، وظهروا بصور كبار وهمم خفيفة.

والله إن الأمر لعظيم، و الخطب لجسيم، ولا أرى أن مع ذلك أمناً ولا قراراً ولا راحة، اللهم إلّا رجل نبذ الآخرة وراءه، واتخذ إلهه هواه، وقصر همه وهمته على حظ نفسه



صورة وجه الورقة الأولى للأصل الخطي المحفوظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية ضمن دشت تحت رقم: 2632.

هيات! جفّ القلم، ونفذ أمر الله، ولا راداً لما حكم.

إيّه، ومن هنالك شمّ الناس من فم الصديق (رضي الله عنه) رائحة الكبد المشوي (11).

وقال الفاروق: ليت أم عمر لم تلده (12). واستسلم عثمان وقال: من أعمد سيفه فهو حر (13).

وقال علي -والخزائن بين يديه-: من يشتري مني سيفي هذا؟ ولو وجدت ما أشتري به رداء ما بعته (14).

وقطع الخوف نياط قلب عمر بن عبد العزيز فمات من خشية العرض (15).

وعلق بعض السلف (16) في بيته سوطاً يؤذّب نفسه إذا فتر.

فترى ذلك سدى، أم وضح أننا نحن المقرّبون وهم البُعْداء؟! وهم البُعْداء؟!

وهذه أحوال لا تؤخذ من كتاب السّلم والإجارة والجنابات، نعم! إنما تُنال بالخشوع، وبأن تظماً أو تجوع وتحمي عينيك الهُجوع.

ودنياء، فغاية مطلبه حبّ الجاه، والرغبة في قلوب الناس، وتحسين الرّي والملبس والركبة والمجلس؛ غير مستشعر خسة حاله ولا ركاكة مقصده، وهذا لا كلام معه، ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ [الروم، آية: 52] ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ [فاطر، آية: 22].

فاتق الله ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ [الشعراء، آية: 218] وأقصر أملك عليه، فإن المحروم من فضله غير مرحوم. وما أنا وأنتم أيها التفر إلا كما قال حبيب العجمي -وقد قال له قائل: ليتنا لم نخلق-، فقال: "قد وقّعتم فاحتالوا".

وإن خفي عليك بعض هذا الخطر، وشغلتك الدنيا أن تقضي من معرفته الوطر، فتأمل كلام النبوة: ﴿القضاة ثلاثة﴾ (8). وقوله ﷺ مشفقاً: ﴿لا تأمرن على اثنين، ولا تليّن مال يتيم﴾ (9)، لا

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وما أنا والسّير في متلف يبرح بالذّكر الضّابط (10)

ومما يعينك على الأمر الذي دعوتُ إليه، ويزوّدك في مسيرك إلى العُرض عليه، أن تجعل لك وقتاً تعمّره بالفكر والتدبير، وأنّاءً تجعلها معدة لجلاء قلبك، فإنّه إن استحكم صّداه صُعّب تلافيه، وأعرض عنه من هو أعلم بما فيه. واجعل أكثر همومك الاستعداد للمعاد، والتأهب لجواب الملك الجواد فإنه يقول ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين. عما كانوا يعملون﴾ [الحجر، آية: 92-93].

ومهما وجدت من همّك قُصُورًا، واستشعرت من نفسك عمّا يذلّها نفورًا، فاجأز إلى الله، وقف ببابه واطلب منه، فإنه لا يُعرض عمّن صدّق، ولا يَغزّب عن علمه خفايا الضمائر. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقٍ﴾ [الملك، آية: 14]. فهذه نصيحتي إليك، وحجّتي بين يدي الله -إن فرطت- عليك.

أسأل الله لي ولك قلبًا شاكراً ولساناً ذاكرًا ونفساً مطمئنة، بمنّه وكرمه [وخفي لطفه، والسلام]. انتهى."

جاء في آخر النسخة التي اعتمدها د.عزون، تعليق من الناسخ نصّه: [واستمر الشيخ في القضاء إلى أن توفي في صفر سنة 702هـ].

خاتمة

نسوق في الختام نصّاً له علاقة بموضوع هذه الرسالة، تناقله أصحابُ التواريخ، عن الحافظ ابن سيد الناس -وكان خَصِيصًا بالشيخ ابن دقيق العيد- نُعْفِيهِ من التعليق وذلك بقصد أن يتأمّله القارئ في ضوء هذه الموعظة البليغة لنوابه في القضاء، وفي ضوء ما نقلناه آنفاً من النقول، وذلك ما جاء في "أجوبته لسؤالات ابن أبيك الدميّاطي عن أحفظ من لقي من الحفاظ في الحديث النبوي" (ص179)، يقول في حقّ شيخه ابن دقيق : "لكنه ولي في آخر عمره خطة القضاء، فأده حفظ الخطّة، وقيد عن المباشرة نفسه، وأطلق في الاستنابة خطّه، فربما استأمن من لا ينوء بالأمانة حملّه، وربما حسن ظنّه بمن ساء فعله، فلو اقتصر على الفتيا والدرس، ولم يلبس أعماله الصالحة بهذا اللبس والولاية التي كان أشرف منها في كلّ نفس، لكان ثوريّ زمانه، وأوزاعيّ أوانه، والعبد لا يَنْتَفِي من مقدور، ولا يَنْتَفِي إلّا ما هو عليه في الكتاب مسطور".

رحم الله الجميع.

- 1 انظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء-الجزء المتمّم" (ص126 وص143)، و"ذيل تاريخ الإسلام" (ص24)، و"معجم شيوخ الذهبي الكبير" (544،545)، و"المعجم المختص" (309)، "تذكرة الحفاظ" (4/1481)، "برنامج التّجّيب" (143، 154، 174، 199، 260، 278) و"مستفاد الرحلة" له (37،16)، "برنامج الوادي آشي" (131،130)، "رحلة العبدري" (61،3،2)، "سؤالات ابن أبيك الدميّاطي لابن سيد الناس" (176/2)، "البدية والنهاية" (14/23)، "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (6/3)، "الوافي بالوفيات" (193/4)، و"أعيان العصر" (576/4)، "الديباج المذهب" (324)، "مرآة الجنان" (236/4)، "التبيان لبديعة البيان" (ق166/أ)، "الدرر الكامنة" (91/4)، "الطالع السعيد" (317-الجمالية)، (599/567 - الدار المصرية)، "حسن المحاضرة" (317/1)، "البدر الطالع" (745)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للزين المناوي (79/3)، "شذرات الذهب" (6/5)، "الأعلام" (283/6)، "معجم المؤلّفين" (70/11).
- 2 حصلنا على صورة من مخطوطة الفهرسة عن طريق الفقيه الأستاذ مصطفى مرزوقي، ثم قام بنشرها الفاضل محمد شايب شريف، وطبعت بدار ابن حزم، وهي متداولة وعمّ النفع بها.
- 3 هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمي، بصري من الزهاد، من مجابي الدعوة. ترجمته موسعة في: "تاريخ دمشق" (12/45-61)، وكذا في "سير أعلام النبلاء" (6/144،143)، و"تاريخ الإسلام" (3/627-بشار).
- 4 طبع في مكتبة العمرين العلمية بدولة الإمارات العربية عام 1420هـ/2000م، ونشر بعد بالجزائر.
- 5 كانت ولايته قضاء القضاة بالديار المصرية في يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وست مائة -قاله الصفدي في "أعيان العصر" (4/ص581)-، وهذا يصحّ التاريخ الذي أثبتته الدكتور عزون في تحقيقه نقلا من المخطوطة! وهو (سنة 659هـ) فلعله من سهوه، والناسخ منه بريء.
- 6 جاءت تسمية البلاد في النسخة التي اعتمدها الدكتور عزون، حيث وردت فيها هذه العبارة: "ومن لطائفه ما كتب إلى نائبه بإخميم"، وهي-كما في "معجم البلدان" لياقوت الحموي (1/123،124)- بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد.
- 7 قال القلقشندي في "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" (5/465): "المجلس..من ألقاب أرباب السيوف والأقلام..من لم يؤهل لرتبة الجنّاب...يردّ في مكاتبات بعض القضاة".
- 8 حديث: "القضاة ثلاثة.."، أخرجه أبو داود (3574)، والترمذي -كما في "تحفة الأشراف" (2/536)-، والنسائي في "السنن الكبرى" (5922) وابن ماجه (2315) والطبراني (1156،1154) من حديث ابن بريده عن أبيه به مرفوعاً، و أخرجه الحاكم (7013،7012) وصحّحه. وهو عند الطبراني وغيره عن ابن عمر، وعند البيهقي (20144) عن علي موقوفاً، وحكمه حكم الرفع كما بيّنه الحافظ ابن حجر في جزء مفرد لطرقه -أفاده الحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة" (773).
- 9 قاله النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه وتماّم لفظه: يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم))، رواه مسلم (1826)، وأبو داود (2868)، والنسائي في الكبرى (6494) عن أبي ذر. وأخرج أبو نعيم في الحلية (1/91) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم المقداد بن الأسود رضي الله عنه على سرية، فلما قدم قال له: أبا معبد كيف وجدت الإمارة؟ قال كنتُ أحمل وأوضع حتى رأيت بأن لي على القوم فضلاً. قال: هو ذاك فخذ أو دع. قال: والذي بعثك بالحق لا تأمر على اثنين أبداً.
- 10 القائل هو أسامة بن الحارث الهذليّ، كما في "تاج العروس" (10/361) مادة (ضبط). وهو في ديوان الهذليين (2/195): "ما أنا.."، وانظر: "المفصل في صناعة الإعراب" للزمخشري (86،85)، و"شرح الكافية الشافية" (2/690). والمتلف: المهلك، ويبرّح: يُجْهِدُ، والذّكر الضابط: البعير العظيم. أي يحمله على المكروه من الموارد.
- 11 لم أهتد لتخرجه فيما بين يدي من المراجع! فالله المستعان.
- 12 الأثر عند ابن المبارك في "كتاب الزهد" (234)، وابن سعد في "الطبقات" (3/361،360)، وابن أبي الدنيا في "كتاب المتمنين" (12)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (789).
- 13 قالها رضي الله عنه لرفيقه لما أن حُوصِر في داره، -علّقَه في "البدية والنهاية" (7/181)-.
- 14 أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (1/83) من طريق عبد الله بن الإمام أحمد في زياداته على "فضائل الصحابة" لأبيه (897).
- 15 طالع شرح هذه العبارة في باب ذكر مرضه ووفاته من كتاب "سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز" للحافظ ابن الجوزي (ص316).
- 16 منهم الزاهد أبو مسلم الخولاني فيما أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (2/127)، ومن طريقه ابنُ الجوزي في "صفة الصفوة" (2-4-145-المسندة) عن عثمان بن أبي العاتكة قال: كان من أمر أبي مسلم الخولاني أن علّق سوطاً في مسجده ويقول: "أنا أولى بالسوط من الدواب، فإذا دخلته فَرَّزَ مَسَّقَ ساقه سوطاً أو سَوَطَيْنِ".
- 17 ما أروع الوصية من عالم، وقد كانت الوصية سنّة جليلة رفيعة بين القضاة. ويزخر التراث الإسلامي بأنماط كثيرة منها، وهي جديرة بأن تجمع في ديوان. طالع منها على سبيل المثال: "وصية السبكي للقضاة" منقولة من خطّه في كتاب "معبد النّعم ومبيد النّقم" (ص58 وما بعدها)، وانظر معها: "أعيان العصر" (3/434).



العنف الزوجي وانعكاساته على الترابط الأسري

مع دراسة ميدانية لبعض الحالات في مدينة بئر العاتر - ولاية تبسة

أ. عفاف بايزيد



مقدمة:

الأسرة أساس المجتمع ويطلق عليها الأمة الصغيرة، وهي من أهم الجماعات الأولية التي تتولى غرس القيم الثقافية العامة للمجتمع ككل، ولكن هذه المؤسسة ككل المؤسسات الاجتماعية تتعرض إلى هزات وعقبات وتحديات تؤثر في تركيبها وتماسكها، ومن بينها العنف الزوجي وهو ظاهرة قديمة متجددة في كل المجتمعات والحضارات، حيث تعرف العديد من العلاقات الزوجية أشكالاً مختلفة من هذا العنف.

ويعد العنف الزوجي إحدى المشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمعات، ويظهر خلال مواقف التفاعل الاجتماعي والأسري. كما أن مشكلاته تتزايد بشكل ملحوظ في المجتمع الجزائري كباقي المجتمعات العربية لأسباب متباينة بعضها يرجع إلى طبيعة الزوجين، وبعضها إلى عوامل

أسرية، وبعضها متعلق بالظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقيم السائدة في المجتمع وغيرها.. فالعنف الزوجي من الظواهر السلوكية المنتشرة، والتي قد لا تخلو أسرة منها. والأسباب المؤدية لارتكاب هذا النوع من العنف كثيرة، وقد شغلت الكثير من الباحثين والدارسين وعلماء الاجتماع، خاصة وأن له تأثيرات وانعكاسات على المستوى الأسري والأولاد، بل يتعداه إلى التأثير على بنية المجتمع. وهو ما يدفعنا إلى طرح الإشكاليات التالية:

1. ما هو مفهوم العنف الزوجي؟
2. في ماذا تتمثل مؤشرات ومحدداته؟
3. كيف يمكننا مواجهة التحديات والتأثيرات الناجمة عنه؟ وما هي الاستراتيجيات المتبعة للمحافظة على تماسك الأسرة؟

أولاً: مبحث مفاهيمي

1. مفهوم العنف: تجمع العديد من الدراسات على عدم وجود مفهوم محدد للعنف، وبالتالي يصبح من الصعب تحديد تعريف موحد له، نظراً لتشعب الميادين التي يحتويها، واختلاف وتنوع توجهات الباحثين باختلاف اختصاصاتهم. ومن هنا يمكننا اعتماد أهم التعاريف للمصطلح: ففي اللغة العربية هو: "قلة الرفق" فهو عنيف إذا لم يكن رفيقاً في أمره، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: {إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف}.⁽¹⁾

والعنف هو استخدام غير شرعي للقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الضرر والأذى بالآخرين، حيث أن العنف (violence) منشقة من الكلمة اللاتينية (violare) وتعني إحداث الأذى بالأشخاص أو الأشياء.⁽²⁾

كما يعرفه علم الاجتماع: "العنف تعبير صادر عن القوة التي تمارس إخضاع فرد أو جماعة". ويعبر العنف عن القوة حين تتخذ أسلوباً فيزيقياً (ضرب أو حبس أو إعدام). أو يأخذ صورة الضغط الاجتماعي. ففي هذه الحالة هو السلوك الذي يتضمن استخدام القوة في الاعتداء على شخص آخر دون إرادته، أو الامتناع عن فعل أو قول من شأنه أن يسبب له ضرراً جسدياً أو نفسياً أو اجتماعياً.⁽³⁾

وهكذا فإن أغلب التعريفات لمفهوم العنف تدور حول الغلظة وعدم الرفق. وبالتالي يمكننا اعتبار تعريف العنف على أنه سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية، ويصدر عن طرف قد يكون فرداً أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال أو إخضاع طرف آخر في إطار علاقات ما ذات قوة غير متكافئة اقتصادية، اجتماعياً، سياسياً.. مما قد يسبب إحداث الضرر للطرف الآخر مادياً أو معنوياً أو نفسياً.⁽⁴⁾

2. مفهوم الزواج: خلق الله تعالى آدم فكان وحيداً، ثم خلق حواء فكانت زوجاً له تؤنس وحدته، ليكون الزواج هو العلاقة الشرعية التي يقرها المجتمع والدين من أجل تنظيم العلاقة بين الجنسين لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم 21]. وقد عرف "ويستر مارك" الزواج بأنه العلاقة التي تربط رجلاً أو عدة رجال بامرأة أو عدة نساء بشرط أن يتفق وتقاليد المجتمع ويؤيده القانون، وتنطوي هذه العلاقة على حقوق وواجبات بالنسبة للطرفين وأولادهما.⁽⁵⁾

فالزواج هو التقاء وعشرة دائمة بين شخصين تربياً في بيئتين مختلفتين، وكل منهما له خلفيته الثقافية من قيم ومعايير وعادات وتقاليد وخلفيته النفسية والاقتصادية لمستوى معيشي تربى عليه في سنوات طويلة من حياته. فهو لا يعتبر رابطة بين شخصين فقط، وإنما هو علاقة وثيقة بين أسرتين أيضاً.⁽⁶⁾

ولهذا فالزواج هو العلاقة الشرعية الوحيدة الدائمة بين الرجل والمرأة التي يباركها الله تعالى ويقرها المجتمع، ويضع الضوابط والمعايير الاجتماعية المنظمة لها، وهي تتأثر بالمؤثرات والتطورات الاجتماعية فيما يخص العلاقة بينهما والدور المنوط بهما داخل الأسرة والمجتمع.⁽⁷⁾

والعنف الزوجي هو كل فعل عنيف ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة جسمية أو نفسية للطرف الآخر، بما في ذلك التهديد باقتراح مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء كان ذلك في الحياة العامة أو الخاصة.⁽⁸⁾ كما يعرف على أنه ذلك العنف المرتكب ضد الشريك في إطار العلاقة الزوجية، يسبب أضراراً جسمية أو نفسية أو جنسية لأطراف تلك العلاقة.⁽⁹⁾

إذن من خلال ما سبق يمكن تعريف العنف الزوجي على أنه سلوك عدواني موجه من الزوج على الزوجة أو العكس، ولا يقتصر فقط على العنف الجسدي بل يتعداه ليشمل كافة أشكال الاعتداء: كالاعتداء النفسي، الاعتداء اللفظي..

والهدف من الزواج هو بناء أسرة مسلمة متماسكة، تشيع فيه المودة والرحمة وعلاقة مستمرة ومتصلة لها متطلبات تقتضي الإشباع المشترك عاطفياً وجنسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.. تحكمه المعايير والنظم الاجتماعية باعتباره الخطوة الأولى في تكوين الأسرة وبناء المجتمع.

3. مفهوم الأسرة: لقد اختلف العلماء والباحثون في مفهوم الأسرة، فبعضهم استخدم لفظ أسرة وآخرون استخدموا لفظ العائلة، وهناك من استخدم اللفظين معاً. والأسرة في اللغة هي الدرع الحصين، وأهل الزوج وعشيرته، وأيضاً بمعنى الجماعة التي يربطها أمر مشترك وهو قوة الارتباط، ومعناها يحمل في طياته مفهوم الحماية والنصرة.⁽¹⁰⁾

أما في الاصطلاح فتعرف بأنها مجموعة من الأفراد يعيشون تحت سقف واحد بفضل روابط القرى والمصاهرة. فالأسرة بمثابة جماعة بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة تقوم بينهما روابط زوجية وأبناء، ويطلق على هذا الشكل مصطلح الأسرة النووية أو الأولية أو المحددة. ويتفق معظم علماء النفس والاجتماع على أن هذا الشكل البسيط للأسرة ينتشر في كافة المجتمعات، وهو يتمثل في مجموعة من الأشخاص ارتبطوا ببعض من خلال مجموعة من الأدوار الاجتماعية، مثل الزوج، الزوجة، الأم والأخت... ولهم ثقافتهم المشتركة.⁽¹¹⁾

إذن فالأسرة نظام اجتماعي يمليه عقل المجتمع، وتتحكم فيه إرادته ويقره الفعل الجمعي، فهي لم تكن نظاماً طبيعياً خاضعاً لدوافع الطبيعة ومقتضيات الغرائز، وهي من أهم النظم التي أقامها الإنسان وأوسعها انتشاراً، وهي موجودة في كل مجتمع إنساني.⁽¹²⁾

ثانياً محددات العنف الزوجي

1. أشكال العنف الزوجي: لقد وردت في أدبيات الأمم المتحدة أنواع وأشكال عديدة للعنف منها المادي الملموس، ومنها المعنوي الذي لا يترك أثراً واضحاً على الجسد ويترك آثاراً على النفس، وفيما يلي نستعرض غالب أنواع العنف الممارسة.

▪ **العنف الجسدي:** يعد العنف الجسدي أشد أنواع العنف الزوجي وضوحاً، حيث تترتب عليه أضرار نفسية بالغة الحدة بالنسبة للضحية وقد تستمر تلك الأضرار مدة طويلة. وقد تم تعريفه بأنه كل فعل ينتج عنه إلحاق إصابة أو أذى بدني بشكل متعمد للزوجة من قبل زوجها أو العكس.⁽¹⁴⁾ كما أنه عرف أيضاً بأنه كل ما قد يؤدي الجسد ويضره نتيجة تعرضه للعنف، مهما كانت درجة الضرر.⁽¹⁵⁾ وهو يمثل بالسلوكات التي تسبب للجسد مثل: اللكم والعض والحرق وأي طريقة أخرى تؤذي جسد المعتدى عليه.

كما تقف وراء العنف الجسدي العديد من الدوافع كالرغبة في الانتقام والتأديب نتيجة قيام الضحية بفعل ما أو إرغامها على فعل لا ترغب القيام به، وقد يكون الدافع إشباع رغبات جنسية.⁽¹⁶⁾



• **العنف النفسي:** لقد اختلفت التسميات حول مفهوم هذا النوع من العنف، فهناك من أطلق عليه الإيذاء النفسي، وهناك من أطلق عليه الإيذاء العاطفي... ونحن في دراستنا سنعتمد تسمية العنف النفسي، وقد اعتبره العواودة من أخطر أنواع العنف وأشدّها تأثيراً على الرغم من أنه لا يترك أثراً مادية واضحة على الضحية.⁽¹⁷⁾ كما أن هذا النوع من العنف الزوجي موجود في جميع الأوقات التي ترتكب فيها الأنواع الأخرى كالعنف الجسدي، والعنف الجنسي والعنف الاقتصادي.⁽¹⁸⁾ ويعد هذا النوع من أكثر الأنواع غموضاً وذلك لصعوبة إخضاعه للقياس والوصول إلى حقائق واضحة عنه محددة، وهو أكثر الأنواع اتساعاً نظراً لتداخله مع الأنواع الأخرى.⁽¹⁹⁾

• **العنف الجنسي:** هو تعرض الزوجة لنشاط جنسي قصري باستخدام القوة والسلطة في العلاقات الزوجية دون مراعاة وضعها.⁽²⁰⁾ ويعد الحديث عن العنف الجنسي من أكبر الطابوهات في المجتمع الجزائري التي لا يمكن التطرق لها بشكل علني نظراً للرؤية الزوجية التي تختزل المرأة إلى حدود جسدها، وبعدها الجنسي (المرأة مجرد جنس أو أداة للجنس أو وعاء للمتعة)، مما يؤدي إلى تضخم هذا البعد على حساب الأبعاد الأخرى. كما يشمل العنف الجنسي كل علاقة غير مرغوبة، ويحصل ذلك في الإطار الزوجي عندما يستخدم الزوج القوة أو المساومة أو التهديد لإجبار زوجته على العلاقة الجنسية وتجدر الإشارة إلى أن هذه الطريقة في تحقيق الرغبات الجنسية دون إرادة الزوجة، يمكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة تترك جراحاً نفسية.⁽²¹⁾

ولا شك في أن العنف الجنسي هو أشد أنواع العنف الزوجي شراسة، نظراً لكونه يحد داخل إطار حميمي وخفي للحياة الزوجية، كما أن الضحايا لا يبحن به إلا بصعوبة شديدة، ليتم في الأخير الإفلات من العقاب. لذا يجب الاعتراف به وتسميته من أجل فضح التصورات النمطية التي كانت شائعة بخصوص البرود الجنسي والطابع الملح للرغبة الذكورية.⁽²²⁾

• **العنف الاقتصادي:** يعتمد بعض الأزواج إلى استخدام سلطتهم الاقتصادية من أجل فرض السيطرة على زوجاتهم وإخضاعهن لإرادتهم، وهذه الظاهرة شائعة في المجتمعات العربية لكون أغلب الزوجات

لا يتوفرن على موارد مالية شخصية، مما يؤدي ببعض الأزواج إلى ممارسة الضغط الاقتصادي قصد الانتقام منها أو لإسكات احتجاجها أو دفعها للتنازل عن حقها. كما أنه قد يحرمها من مرتبتها الشهري إذا كانت عاملة، أو قد يأخذ إرثها غصباً عنها أو يسرق ممتلكاتها من الذهب والأثاث، وقد يصل به الأمر إلى حرمانها من الأكل باستعمال سياسة التجويع وحرمانها من الرعاية الصحية وعدم تزويد أسرته بالمواد الغذائية والصحية.⁽²³⁾

إذن فإن استخدام هذه الأنواع المختلفة يعتمد إلى حد كبير على مستوى الزوج والخلفية الثقافية التي ينحدر منها، وكذا على نوع الصراع القائم بين الزوجين ومستوى حدته، ومدى قدرتهما على حل المشكلات والتعامل مع الأزمة.

2. أسباب العنف الزوجي:

• **الأسباب الذاتية:** ونقصد بها تلك الأسباب التي تنبع من ذات الإنسان، ونفسه مختلة مما سبب العنف. وقد أرجع بعض الباحثين هذه إلى:

أ. **أسباب فيزيولوجية:** وهذا نتيجة لإصابة أحد الزوجين بأحد الأمراض الوراثية، مما يؤثر على الجو العام للأسرة، ويرى "محمد عودة" أن المشكلات الوراثية تقع على رأس قائمة المشكلات الصحية.⁽²⁶⁾ وقد أكدت الإحصائيات أن نسبة 99% من العنف مصدره الرجال.⁽²⁷⁾

ب. **الاضطرابات النفسية:** وذلك كالإحباط والاكتئاب وانفصام الشخصية، وظهور نزعات كالسادية والماسوشية.*

ب. **الأسباب الدينية:** هناك من الأزواج من اعتاد على ضرب زوجته لأتفه الأسباب، وهذا ناتج لمرجعية دينية خاطئة نظراً لفهمه الخاطئ للقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ [النساء: 34] فيسارع إلى ممارسة العنف الجسدي والضرب، وهذا لأنه لا يتبع تسلسل العلاج الرباني في

ج. تعاطي المخدرات والكحول: من المؤشرات القوية على احتمال حدوث العنف الزوجي هو تعاطي الخمر أو المخدرات.⁽²⁸⁾ حيث يعد الإدمان على المخدرات من العوامل التي تؤدي إلى العنف بسبب معاناة المدن من الاضطرابات النفسية التي بدورها تؤدي إلى عدم قدرة الفرد للتكيف مع الواقع، وعدم الشعور بالاطمئنان، والقلق مما يؤدي إلى عدم التحكم في السلوك الفردي.⁽²⁹⁾ ويعد الإدمان المزيج من أخطر الأمور المؤدية إلى العنف الزوجي. كما دلت دراسات أخرى على تأثير التعاطي؛ فطول العمر بالنسبة للزوج يتربط مع نمط مستمر وثابت من إساءة معاملة الزوجة في العلاقات الحميمة، وهذا يقود إلى الكحول في وقوع عدوان الزوج على الزوجة من 6% إلى 86% من الحالات التي يثيرها التعاطي.⁽³⁰⁾

د. الفروق البارزة لدى بعض الأزواج في الأمور الحياتية: إن التفاوت والتباين في بعض العوامل المشتركة بين الزوجين يؤدي إلى تأزم العلاقة الزوجية والحساسيات النفسية والشخصية الاجتماعية كالفارق في السن مثلا أو الثقافة أو الناحية المادية خاصة إذا كانت الزوجة غنية والزوج فقير، والانتماءات العائلية والاختلاف في الطباع وغيرها... وهو ما يؤدي إلى التوتر العصبي المسبب للعنف الزوجي.⁽³¹⁾

هـ. الفراغ لدى الزوج أو الزوجة: إن الفراغ يؤدي إلى حالة من التوتر النفسي والضغط العصبي وسوء المزاج وهو ما يسفر في الأخير عن استعمال العنف.⁽³²⁾

و. معاملة الزوجة السيئة لزوجها: تعامل بعض الزوجات أزواجهن معاملة غير لائقة سلبية تثير الزوج وغالبا ما تكون ردة فعله الضرب، ومن أمثلة ذلك رفض الزوجة لمطالب زوجها الحساسة كأن يطلبها للجماع، وفي حالات أخرى تقوم الزوجة بتنفيذ أعمال لا يرضاها الزوج كأن تخرج من البيت دون إذنه أو أن تصادق من لا يرضاها زوجها صديقة لها، وهناك من الزوجات ذات الطبع العنيد التي تعودت على معارضة زوجها، مما يؤدي إلى تعنيفها من طرف زوجها. هذا وإن النظرة القيمة الخاطئة والتي لا ترى أهلية حقيقية للمرأة كإنسانة كاملة الإنسانية حقا وواجبا، تؤسس لحياة تقوم على التهميش والاحتقار للمرأة، مما يؤدي إلى ضعف المرأة نفسها في المطالبة بحقوقها الإنسانية والوطنية والعمل لتفعيل وتنامي دورها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

• الأسباب الأسرية: للعنف الزوجي أسباب أسرية كثيرة لا يمكن حصرها في هذه الدراسة وإنما نكتفي ببعض منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ. استحواذ والدي الزوج على القرار: من المتعارف عليه في المجتمع الجزائري أن والدة الفتى هي التي تقوم باختيار العروس لابنها، غير أن دور والدة الفتاة ينحصر في قبول أو رفض العريس المتقدم. ثم يأتي دور الرجال من الأسرتين في تدعيم هذا القرار ومراقبة تنفيذه من خلال الإجراءات والمراسم العرفية الخاصة بالزواج، وتغيب حق الزوج في الاختيار وحق الزوجة في إبداء رأيها في القبول أو الرفض.⁽³³⁾

ب. تدخل أهل الزوجين: من عوامل سعادة أو شقاء الأسرة تدخل أهل الزوجين في حياتهما، وهذا يعود إلى العديد من الأسباب من بينها:

- الارتباط العاطفي أو النفسي للوالدين بالأبناء وخوف الآباء من فقدان أهميتهم في حياة الأبناء.
- عدم الاستقلال المادي مما سبب الكثير من الاحتكاكات ويعطي مجالا للتدخل في كيفية الإنفاق وما إلى ذلك.
- عدم انتباه الآباء إلى احتياج الزوجين الجدد إلى الاستقلالية، خاصة إذا كان مقر إقامتهم مع العائلة الكبيرة مما يدفع لحدوث المشاكل خاصة بين الزوجة وأم الزوج نظرا لشعور هذه الأخيرة بأن الزوجة قد أخذت منها ابنها وأبعدته عنها.
- هروغ الزوجين إلى الأهل فور حدوث أي مشكلة بينهما نتيجة لضعف التواصل بين الزوجين واحتياجهما لطرف ثالث لحل مشاكلهما.⁽³⁴⁾

كل هذه الأسباب من شأنها أن تزيد الهوة بين الزوجين الذي سيؤدي إلى ممارسة العنف الزوجي.

ج. تكسب الزوجة: يؤدي عمل الزوجة إلى العديد من مظاهر عدم الاستقرار وذلك نتيجة انشغالها لفترات طويلة بالعمل وقد تستمر حتى المساء، وفي بعض الأحيان يتعدى عملها إلى الليل، وعليه فإن عمل المرأة مهما كانت صورته وأوقاته يؤثر عليها وعلى زوجها وأولادها وبيتها تأثيرا كبيرا، ويسبب مشاكل كثيرة تؤدي بالزوج إلى تعنيف زوجته.⁽³⁵⁾

د. الوضع الاقتصادي: تعتبر المشاكل الاقتصادية من أهم الأسباب التي تؤدي إلى شعور الرجل بالعجز عن تقديمه لقمة العيش لأسرته مما يشعره بالنقص، فينعكس ذلك بشكل سلبي على المرأة وهي في دورها تتقبل

أي شكل من أشكال العنف في هذه الحالة، لأنها عاجزة عن إعالة نفسها لوحدها. هذا بالإضافة إلى العنف القائم من قبل الحكومة والسلطة وطبيعة القضاء في الدولة من خلال تطبيق القوانين وحكم القضاء الذي ينصف الرجل خاصة في القضايا المتعلقة بالشرف وبالنفقة ضدها بشكل عام، مما يصعب حصولها على حقوقها الخاصة، وإرغامها على التنازل عن حقوقها بكل الطرق.⁽³⁶⁾

كما أن المستوى الاقتصادي المتدني يؤدي إلى الاتجاه نحو العنف، وظهورهم بعدم الاهتمام التام وعدم الاهتمام بهم من قبل الآخرين، وشعورهم بالإذلال مع اختلاف المستويات اقتصاديا واجتماعيا يؤدي إلى توليد العنف.

ويرجع الكثير من علماء النفس والاجتماع سبب اتساع دائرة العنف داخل أسرنا العربية إلى زيادة الضغوط الاقتصادية على الأسرة بسبب البطالة وانخفاض دخل الأسرة، مما يؤدي إلى الضغط النفسي، الذي يتحول مع أي مشكلات إلى عنف سواء ضد الأبناء، مثل الصفع والركل والحرق والضغط والضرب باستخدام آلة حادة، وعدم التشجيع، ونقص الحب والمودة والرعاية مما يعد إساءة وجدانية.⁽³⁷⁾

• الأسباب المجتمعية: يمكننا أيضا فهم العنف النفسي الزوجي من خلال فحص عوامل البيئة الخارجية التي تؤثر في الأسرة، مثل بناء الأسرة وتنظيمها، كما يركز على الاتجاهات النظرية التي تختبر بناء الأسرة والضغوط، وانتقال العنف من جيل إلى جيل، فضلا عن نماذج تفاعل الأسرة كعوامل تسهم في حدوث العنف الأسري.⁽³⁸⁾ ومن بين هذه العوامل ما يلي:

أ. التنشئة الاجتماعية: تلعب دورا كبيرا في اكتساب السلوك العنيف، حيث نجد اهتمام الأسرة بتنشئة الطفل وإعداده ليكون فردا فعالا في المجتمع، ثم يأتي دور المدرسة والمجتمع والبيئة والجمعيات والنوادي الثقافية ووسائل الإعلام، كل هذه العوامل من شأنها أن تؤثر بشكل سلبي في تنشئة الطفل وتنمية سلوك العنف فيه.⁽³⁹⁾

كما أن ملاحظة الطفل للنموذج المقتدى به (الأب والأم)، ورؤية الطفل للنموذج العدواني يجعله يتعلم أن العنف ضد الآخرين ومنهم الزوجة هو وسيلة فعالة للحصول على مكاسب وفرض السيطرة والشعور بالقوة ويرى Simon Linqgurzin أن العنف ضد المرأة يعود إلى المراحل المبكرة من الطفولة حيث يشاهد الطفل أن العلاقة الزوجية بين والديه

تتسم بالقوة والإساءة والعقاب البدني والإهانة، ووجوده في هذا المناخ يجعله أكثر احتمالية لأن يكون عنيفاً فيما بعد مع زوجته.⁽⁴⁰⁾

ب. الحرمان: ينشأ العنف من خلال الاستجابة لضغوط وإحباطات ناتجة عن الحرمان، الذي يمثل التفاوت الذي يكون بين توقعات الناس وبين قدراتهم. وإن الحديث عن الحرمان وأسباب تفاقمه هو الرأس مالية العالمية التي أدت إلى انتشار البطالة والركود والتضخم واقتصار الهيمنة على الفئة الغنية فتزايد الفقر والتهميش الاجتماعي لكثير من فئات المجتمع، وصاحبَ هذا التغيير مشكلات اجتماعية كثيرة كتعاطي المخدرات والعنف الزوجي.⁽⁴¹⁾

ج. الاستعانة بالمشعوذين والسحرة لاستقرار الزواج: يلاحظ على المجتمع الجزائري ككل المجتمعات العربية أن بعضاً من فئته خاصة غير المثقفة تتمسك ببعض المعتقدات البالية والتي في ظنهم تؤدي إلى الاستقرار الأسري من بينها:

- التطير الذي يجلب السعد أو النحس: يعتقد بعض الأزواج في المجتمع الجزائري أن النحس يجلب سوء الطالع وقلة الرزق وأن السعد يجلب السعادة والهناء وسعة الرزق، وهو ما يمارس في الغالب تجاه المرأة، فيقال عن هذه الزوجة: "وجه السعد". وهذا في الحقيقة راجع إلى تجربة شخصية، والشعور بالرضا تجاه الزوجة يتدعم بهذا المعتقد. وفي وجه آخر يعلق بعض الأزواج فشلهم في توفير حياة مناسبة لأسرته على تطير ويحمل زوجته المسؤولية وينعتها بوجه النحس، فيسود العلاقة التوتر الذي ينتهي بتعنيف الزوج لزوجته بأشكال مختلفة.⁽⁴²⁾

- لجوء الزوجة أو أمها أو حماة إلى السحرة والمشعوذين: وهذا راجع لخوف الزوجة على رباط الزوجية فتستعين ببعض العقاقير والتمايم والبخور لاسترجاع حب زوجها لها ولأولادها، كما أنها تعتقد أن حماتها تستعين بالمشعوذين والسحرة قصد التفرقة بينها وبين ابنها ببذر أسباب النفور والشقاق وعدم الرضا بين الزوجين الذي أدى إلى ممارسة العنف الزوجي.⁽⁴³⁾

ثالثاً تداعيات العنف الزوجي على الترابط الأسري:

1. انعكاسات العنف الزوجي على الأسرة: للعنف الزوجي آثار وانعكاسات كثيرة تمس كلا من الفرد والأسرة والمجتمع، في مختلف

المجالات، وتشير الإحصائيات أن أغلب النساء المبحوثات يتعرضن إلى العنف البدني.

ومن هذا المنطلق سنتناول تأثيرات العنف الزوجي على جميع أفراد الأسرة خاصة المرأة والأطفال، ونبين تأثيراته على المجتمع.

تعد المرأة الأداة المحورية والفاعلة في الأسرة، فإن عطاها للأسرة إن كان قليلاً ومجحفاً بحيث لا يسمح بتنمية الأسرة، فالعنف ضدها يسيء للعلاقات الداخلية للأسرة ويفككها، ويجعلها لا تجيد تكوين العلاقات القربانية في مجتمعها المحلي.⁽⁴⁴⁾

ويؤدي العنف الزوجي إلى التسبب في إصابات وعاهات دائمة والإجهاض، كما أن له تأثيرات نفسية كثيرة على المرأة قد يكون من الصعب حصرها، وذلك لأن المظاهر التي يأخذها هذا الجانب كثيرة ومتعددة. ومع ذلك نستطيع أن نضع أهم الآثار وأكثرها وضوحاً وبروزاً على صحة المرأة النفسية والعقلية.⁽⁴⁵⁾ (هذا بالطبع لا يعني أن المرأة تتعرض لها جميعها، بل قد تتعرض لواحد من هذه المظاهر حسب درجة العنف الممارس ضدها):

- فقدان المرأة لثقتها بنفسها، وكذلك احترامها لنفسها.
- شعور المرأة بالذنب إزاء الأعمال التي تقوم بها.
- إحساسها بالاتكالية والاعتمادية على الرجل.
- شعورها بالإحباط والكآبة.
- إحساسها بالعجز.
- إحساسها بالإذلال والمهانة.
- عدم الشعور بالأطمئنان والسلام النفسي والعقلي.
- الاضطراب في الصحة النفسية.
- فقدانها الإحساس بالمبادرة والمبادأة واتخاذ القرار.

لا شك أن هذه الآثار النفسية، أو بعضها تفضي إلى أمراض نفسية أو نفسية - جسدية متنوعة كفقدان الشهية، اضطراب الدورة الدموية، اضطرابات المعدة أو البكرياس، آلام وأوجاع وصداق في الرأس،... إلخ

وبالإضافة إلى ذلك فقد يؤدي العنف إلى بعض الشطط في السلوك، كالإقدام على الانتحار، أو تعاطي المخدرات، أو إيذاء الذات. أما الانتحار فهو جريمة أخلاقية، يدفع الفرد إليها إحساسه بالقهر والإحباط، فتضيق به السبل إلى حد إيثار الموت على الحياة. وقد بينت الدراسات والأبحاث أن الخلاف العائلي

كان يتصدر قائمة الأسباب الباعثة على الانتحار، إذ كان وراء (10) عشر حالات أو على الأقل التفكير في الانتحار.

وأما تعاطي المخدرات فيمكن تصنيفه ضمن الأسباب الدافعة إلى العنف، وقد يكون أثراً ونتيجة، فإذا لم يأنس بعضهم في نفسه جرأة للإقدام على الانتحار، تراه يلقي بنفسه في مهالك أخرى يعلى النفس من خلالها بتجاوز مشكلاته، فيقدم على تعاطي المخدرات، وهو لا يدري أنه يضيف إلى مشكلاته الأسرية مشكلة من نوع أشد قد تستعصي على الحل، فكان حاله كحال المستجير من الرمضاء بالنار، تدفعه إلى ذلك الأجواء المشحونة بالتوتر والخصام، المشوبة بالقهر والعنت.

وأما إيذاء الذات فيلجأ المستهدف من خلاله إلى إيذاء نفسه وإلحاق الضرر بها، سواء بالجرح أو العض أو الحرق أو الإلقاء في بئر أو السقوط من شاهق، أو ازدياد مواد معدنية، أو ابتلاع السم أو بعض الأدوية الضارة بكميات كبيرة، نتيجة التأثير النفسي من جراء التعنيف الكبير الذي لاقاه.⁽⁴⁶⁾

فعندما يشيع جو التوتر والصراع النفسي والظاهر في البيت بين الزوجة والزوج فإن الطفل يعيش في جو يهدد طمأنينته، وتتراكم في نفسه حالة القلق والضيق والإحباطات النفسية ومشاعر الغيظ تجاه الوالدين. وفي هذه الحالة تؤسس للاضطرابات الانفعالية، وقد تصل حداً عصبياً في بعض الأحيان في حال لم يتكلم عنها الطفل ومعالجتها بشكل مبكر. كما تسيطر على الطفل الكآبة والانطوائية، وفقدان الدافعية للدراسة، وانحسار الحيوية العامة وصولاً إلى الغرق في الهموم الذاتية واجترار الآلام، ويتجلى ذلك بوضوح في أحلام اليقظة وضعف في التركيز في الحصة الدراسية أو أثناء المذاكرة.⁽⁴⁷⁾

فمن الناحية العقلية نجد أن الأطفال الذين يتعرضون للعنف الأسري يتأخر نموهم العقلي واستيعابهم اللفظي وتندنى نسبة الذكاء وقوة التركيز لديهم. ومن الناحية النفسية يعاني الطفل من الاضطهاد والكبت والاكنتاب وضعف الثقة بالنفس، بل وعدمها أحياناً، كما يعاني من القلق وإيثار العزلة، أما من الناحية الخلقية فيلجئه العنف إلى الكذب والمخاتلة والمكر والنفاق.

وهذه المشاعر تجعل الأولاد يعيشون حالة من الضياع والصراع النفسي تدفعهم إلى البحث عن نموذج آخر خارج إطار الأسرة للاقتداء به، والأكثر ضرراً هنا أن يقتدي الطفل برفقاء

السوء مما يعرضهم لخطر الانحراف والجنوح، أو الإدمان على الكحول والمخدرات.⁽⁴⁸⁾ كما قد يصاب الأطفال والمراهقون الذين يعيشون أزمات عنيفة في أسرهم باضطرابات مشابهة لأمراض الكبار، والتي منها الهوس الاكتئابي والقلق عقب الصدمات، الأمراض النفسية والبدنية واستعمال الأدوية والإدمان على الكحول والمخدرات.

وقد يظهر لنا ذلك جلياً في العديد من السلوكيات والمظاهر أهمها:

- توارث السلوك العنيف والخصال السيئة بين الأجيال كتخريب وتكسير الألعاب مثلاً.
- التأثير على نمو الأطفال وظهور مشكلات النمو والنطق والتأتأة.
- انحلال الأسر وتشريد الأبناء أو الهرب من البيوت والتسكع في الشوارع واستفحال ظاهرة أطفال الشوارع.
- تولد الجنوح والجرائم والفساد الأخلاقي.
- ضعف الثقة بالنفس والعزلة وضعف التركيز والتأخر الدراسي.
- الاضطراب في النوم والتبول اللاإرادي.
- القلق والاكتئاب والشعور بالذنب والخجل وغير ذلك من الآثار التي تعيق النمو الطبيعي للطفل، وتؤثر في سلوكه اليومي مما يجعله عرضة للسخرية بين أقرانه مما يؤثر على نفسيته وسلوكاته بشكل أكبر.

2. الاستراتيجيات المتبعة للحد من ظاهرة العنف الزوجي:

لمواجهة العنف الزوجي لابد من تضافر جميع جهود الأطراف الفاعلة في المجتمع من أفراد وجمعيات وهيئات ووسائل الإعلام والباحثين في مجال الأسرة والأئمة، بهدف تشخيص الظاهرة بشكل معمق وبالتالي وضع أساليب وإجراءات مناسبة للحد من انتشارها وحماية الأسرة والعلاقات الأسرية، وذلك من خلال وضع استراتيجيات لذلك وأهمها:

- ضرورة تعليم وتثقيف الفرد وتوعيته على الفهم والتطبيق الصحيح لأحكام الشريعة الإسلامية في التعامل بين الأزواج عن طريق الوعظ والإرشاد الديني في المنابر والمساجد من خلال خطب الأئمة والمحاضرات الدينية وغيرها...⁽⁴⁹⁾ والحث على تفعيل الحوار داخل الأسرة وخاصة بين الأزواج فقد وجب قيام العلاقة الزوجية على التفاهم والحوار والاحترام المتبادل والتعاون من أجل بناء أسرة متينة وقوية تقوم بدورها الإيجابي

والبناء في المجتمع، وقد جعل الله من الصفات في العلاقة بين الزوجين المودة والرحمة، وقد بينها في قوله تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم الآية 21] لذا فإن الحوار الإيجابي البناء ضرورة ملحة لبناء أسرة متماسكة وقوية.⁽⁵⁰⁾ وإن كان لابد من استعمال العنف في حل الخلافات بين الزوجين فعليهما أن يحرصا أن يكون هذا بمنأى عن نظر أطفالهم، لأن الطفل يتعلم كثيرا من السلوك الاجتماعي عن طريق ملاحظة أبويه وتقليدهما.⁽⁵¹⁾

- وجوب طاعة الزوجة لزوجها من أجل الحفاظ على تماسك الأسرة، ففي ذلك قال رسول الله ﷺ: **«المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»**.⁽⁵²⁾
- الاختيار الزوجي السليم وذلك لتأسيس بيت مسلم مستقر يسعى فيها كل طرف من الزوجين للارتباط وتكوين أسرة مسلمة، فقد حثت الشريعة الإسلامية السمحة الغراء كل طرف على الاختيار السليم المبني على المقومات والمعايير التي تكفل حصول كل منهما على شريك يتمتع بقدر مناسب من الأخلاق الإسلامية، بحيث تجعله قادراً على المسؤولية واحترام وتقدير الطرف الآخر، ومن ثمة بناء علاقات أسرية متماسكة وموثقة بروح الألفة والمحبة وتجعل البيت المسلم مكاناً صالحاً لصنع الأجيال المسلمة.⁽⁵³⁾
- العمل على تحاشي بعض الأسباب الموصلة إلى العنف الزوجي، والتخفيف من تدخل الأهل والأقارب في الخلافات الزوجية، وعدم إرغام أحد العريسين أو كليهما على الزواج من شخص لا يرغب فيه.⁽⁵⁴⁾
- تجريم العنف الزوجي واعتباره مشكلة جنائية وتفعيل القوانين التي تحمي المرأة من العنف، وتكمن هذه القوانين أساساً في

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وكذلك في القانون الجزائري (قانون العقوبات)، وكذا بعض أحكام الدستور، وهذه القوانين وضعت لحماية حقوق الأشخاص من كل الجرائم سواء الزوج أو الزوجة، ولا يوجد فرق بين الجنسين في القانون الوضعي.⁽⁵⁵⁾

• وللتوعية النسوية دور جوهري في التصدي للعنف، إذ لابد من معرفة المرأة لحقوقها الإنسانية والوطنية وكيفية الدفاع عنها وعدم التسامح والتهاون والسكوت على سلب هذه الحقوق، وصناعة كيان واع ومستقل لوجودها الإنساني وشخصيتها المعنوية، وعلى فعاليات المجتمع النسوي مسؤولية إبداع مؤسسات مدنية جادة وهادفة للدفاع عن المرأة وصيانة وجودها وحقوقها.

كما أن للنخب الدينية والفكرية والسياسية الواعية أهمية حاسمة في صناعة حياة تقوم على قيم التسامح والأمن والسلام، وفي هذا الإطار يجب التنديد العلني بالعنف الذي تتعرض له المرأة والإصغاء للنساء والوقوف معهن لنيل حقوقهن، ويجب أيضاً مواجهة المسؤولين إذا ما تقاعسوا عن منع أعمال العنف ضد المرأة ومعاقبة مرتكبيها وإنصاف ضحاياها، ورفض الأفكار والتقاليد التي تحط من شأن المرأة وتنتقص من آدميتها ودورها ووظيفتها. إضافة إلى تأسيس مؤسسات اجتماعية إسلامية تهتم بقضية العنف الزوجي، وتقديم استشارات نفسية واجتماعية وأسرية للأفراد الذين ينتمون إلى الأسر المعنفة أو لمن يقومون بممارسة العنف، وإيجاد طريقة تواصل بين الضحايا وبين الهيئات الاستشارية المتاحة عن طريق توفير خط للاتصال المجاني بينهم حتى تستطيع تقديم الاستشارات والمساعدة.⁽⁵⁶⁾



كما تعتبر قضايا الأسرة والعنف الزوجي من أهم المحاور والقضايا التي يجب على الإعلام تناولها، والاهتمام بنشر التوعية والإرشاد حولها، حيث تستطيع الرسالة الإعلامية القيام بدور فاعل وكبير في مواجهة تحديات العنف الزوجي، إذا هي نجحت في تجسيد الواقع ونقله بموضوعية وشفافية إلى الجمهور، وسعت لوضع الحلول الممكنة للمواجهة. (57) ولا بد أن ينصب دور البرامج الإعلامية بأن تشتمل على توجيه إسلامي صحيح في طرح ظاهرة العنف الزوجي، ويتم مناقشتها وعرض الحلول الممكنة لها مع تأصيل هذه الحلول من مصادر التشريع الإسلامي وآراء التربويين المسلمين المتقدمين منهم والمتأخرين، وتنقية هذه البرامج من صور الموروث الثقافي والعادات والتقاليد الخاطئة الموجودة في المجتمع، ولابد من التنوع في هذه البرامج على شكل برامج ثقافية وترفيهية وتسجيلية... (58)

الدراسة الميدانية

1. منهجية الدراسة:

يتضمن هذا الفصل وصفا منهجيا للدراسة من حيث مجتمع الدراسة، وعينتها، وأدواتها، وإجراءات الدراسة، وأساليب المعالجة الإحصائية المتبعة، وقد تم استخدام المنهج المسحي الوصفي والذي يعد مدخلا مناسباً لدراسة ظاهرة العنف الزوجي لأنه يقوم على تحليل المعطيات الجاهزة والمنظمة للنواحي النظرية والتاريخية وكذا استنطاق الإحصائيات والمعلومات الميدانية لهذا سوف يتم استخدام المنهج الوصفي المتضمن وصف دقيق لمشكلة الدراسة وتحديد واضح لعينة الدراسة.

2. مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من عينة مقدارها 60 زوجة وزوج، بمدينة بئر العاتر، تقع جنوب ولاية تبسة، تمت الدراسة في شهر جوان 2018م.

3. عينة الدراسة:

تألفت عينة الدراسة من عينة من (40) زوجة و(20) زوج، حيث تم توزيع استبيان واسترجاعها من الزوجات والأزواج.

• **خصائص العينة:** لقد كانت عينة الدراسة تتسم بالمؤشرات التالية:

من حيث الجنس: يتوزع أفراد عينة الدراسة من حيث الجنس كما يلي: 66.66% نساء، و33.33% رجال.

من حيث السن: يتراوح سن أفراد العينة بين

18 و50 سنة، فقد كانت حيث بلغ عدد أفراد الفئة العمرية من 18 إلى 30 سنة 20 فرداً، وعدد أفراد الفئة العمرية من 30 إلى 40 سنة 15 فرداً، وعدد أفراد الفئة العمرية من 40 إلى 45 سنة 15 فرداً، وعدد الفئة العمرية من 45 إلى 50 سنة 10 أفراد.

من حيث المستوى التعليمي: راعت الباحثة أن تكون العينة من مستوى المرحلة الابتدائية إلى المستوى الجامعي، وذلك لضمان أن يكون جميع الأفراد متمكنين من الإجابة على الأسئلة المطروحة في الاستبيان.

من حيث المستوى الاجتماعي والاقتصادي: راعت الباحثة أن تكون العينة من الطبقة الاجتماعية الاقتصادية العليا والوسطى والدنيا. • **أداة الدراسة:** استخدمت الباحثة في هذه الدراسة استبانة مكونة من مجموعة عبارات تبحث في أسباب العنف الزوجي ومدى تأثيره على أفراد الأسرة وكيفية مواجهته.

4. عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

1.4 عرض ومناقشة استجابة العينة حول السؤال الأول:

حسب رأيك كيف تعرف العنف الزوجي؟ أهم العبارات الواردة في استجابة العينة يوضحها الجدول السابق:

نلاحظ من خلال الجدول أن أفراد العينة يرون أن العنف الزوجي هو ممارسة القوة ضد المرأة بالدرجة الأولى، والمقصود بممارسة القوة ضد المرأة سيطرة الزوج على زوجته، وهذا بالمساس بسلامتها من الناحية الجسدية في شكل صفعات وركلات والتهديد بأي شيء... فنجد أن هذه العبارة أخذت أكبر نسبة، وقد يرجع هذا التصور إلى الدور الاجتماعي الذي يقوم به الرجل في المجتمع من خلال التنشئة الاجتماعية يسمح له بممارسة القوة على زوجته، كما أن الكثير من الأزواج يفسرون ممارستهم العنف بأنهم يطبقون من خلاله حقهم الإلهي الذي ورد في القرآن الكريم في آية النشوز. ناهيك عن انخفاض نسبة التعليم لدى

العينة الاستطلاعية من الذكور بنسبة 70% أقل من المستوى الجامعي، مما يجعل الزوج يشعر أنه مسؤول الأسرة ويجب الخضوع لأمره. أما بالنسبة للفتيات اللواتي يرين أن العنف هو استخدام القوة ضدهن وذلك حسب رأيهن راجع للمعتقدات الاجتماعية السائدة بأن المرأة هي المضطهدة وربط العنف دائماً بالقوة.

في المرتبة الثانية اعتبار العنف سباً وشتماً وتمثلاً في كل أنواع الاعتداء، وهو يأخذ شكلين جسدي ولفظي، وهو أسلوب غير سوي بالتسلط والقوة والإهمال، وقد ترجع هذه الاستجابة كون نسبة الإناث تجاوزت أكثر من نصف أفراد العينة الاستطلاعية، فالشعور بالأمان والاحترام والحب والاهتمام من احتياجاتها الفطرية، فمعاملتها بسوء يولد السلوك العدواني والعنيف.

وفي المرتبة الثالثة يأتي العنف الزوجي شاملاً لكل التصرفات الهمجية من طرف أحد الزوجين، والمقصود بها هنا كل ما يصدر من سلوكيات تتصف بالعنف بغض النظر عن نوع السلوك، فنجد أن العادات والتقاليد تفرض إثبات الرجولة في إدارة المنزل، وهذا الإثبات يكون بالقوة والعنف.

أما عن اعتبار العنف الزوجي وسيلة لتفريغ شحنة الغضب فقد صرّحت أغلب نساء أفراد الفئة الاستطلاعية أن أزواجهن يمارسون العنف معهن لتفريغ شحنات غضبهم الناتج عن ضغوطات العمل أو مشاكل خارجية، وصرّح بعض الأزواج أنهم يرجعون بعد يوم عمل شاق ليجدوا زوجاتهم تقابلن بالتنكيد والعناد واستفزازهم، مما يؤدي بهم إلى تعنيفهن وتفريغ شحنات غضبهم عليهن.

أما عن اعتبار العنف الزوجي وسيلة لحل الصراعات وضرورة تؤدي إلى تفكك الأسرة وانتشار الجريمة، يرى بعض الأزواج وإن كانت نسبتهم قليلة من العينة الاستطلاعية أن هناك بعض الصراعات الزوجية يتم حلها بتعنيف الزوجة لردّها ورجوعها عن رأيها وحل الصراع القائم بين الطرفين، وقد يرجع هذا لطبيعة المجتمع الذكورية والتي تؤيد الرجل في

الرقم	محتوى العبارات	ك	%
1	ممارسة القوة ضد المرأة	20	33.33
2	الضرب والشتم وكل أنواع الاعتداء	10	16.66
3	كل التصرفات الهمجية من طرف أحد الزوجين وغالباً ما يكون الزوج	8	13.33
4	وسيلة للردع وتفريغ شحنة الغضب	6	10
5	وسيلة لحل الصراعات	5	8.33
6	ضرر يؤدي إلى تفكك الأسرة وانتشار الجريمة	5	8.33
7	ظاهرة اجتماعية خطيرة منتشرة بشكل كبير في المجتمع الجزائري	3	5
8	سلوك يشمل كل الخلافات الزوجية	3	5

استخدام القوة ضد الزوجة التي يستضعفونها بتعنيفها.

كما ترى بعض الزوجات أن العنف الزوجي يتسبب في تفكك الأسر وانتشار الجريمة كالقتل وتعاطي المخدرات والانحراف..

أما عن اعتبار العنف ظاهرة منتشرة بكثرة في المجتمع الجزائري فكانت جد منخفضة ويرجع بعض الأزواج ذلك للعادات والتقاليد التي تمنح للزوج فرض السيطرة والقوة وإخضاع الزوجة لأوامره، كما أن بعض الأزواج والزوجات يدخلون في العنف الزوجي كل الخلافات الزوجية، ويقصد به هنا كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الاختلاف والتباين في الآراء والأفكار وتربية الأولاد... ويتحول هذا إلى ممارسة العنف بكل أشكاله. وهذا قد يعود إلى انخفاض نسبة التعليم لديهم، أو الفروقات بين الزوجين خاصة في المستوى الثقافي أو غنى الزوجة وفقر الزوج، الذي من شأنه أن يولد حساسيات لدى الزوج يتحول إلى عنف في أشكال مختلفة.

2.4 عرض ومناقشة استجابة العينة حول السؤال الآتي:

من وجهة نظرك ما هي الأسباب والعوامل المؤدية إلى ممارسة العنف الزوجي؟

أهم العوامل الواردة في استجابات العينة يوضحها الجدول التالي:

من خلال استعراض وتحليل بيانات الجدول تتوضح لنا أهم عوامل العنف الزوجي، حيث يوضح لنا الجدول أن هناك العديد من العوامل المختلفة التي تفسر العنف بين الزوج والزوجة، فلقد أسفرت النتائج الموضحة في الجدول أن أسباب العنف الزوجي حسب ورودها في إجابات أفراد العينة الاستطلاعية كانت: سوء التربية وتعاطي المخدرات والكحول بنسبة 25%، لتأتي في المرتبة الثانية ضعف الوازع الديني والخيانة الزوجية وسوء التفاهم وحب التسلط بنسبة 16.66%، ثم يحتل عدم التكافؤ الجنسي بين الزوجين وخروج المرأة للعمل لوقت طويل المرتبة الثالثة بنسبة 13.33%، ليكون تدخل الأهل والأقارب في المشاكل الزوجية بنسبة 10%، ثم البطالة والمشاكل الاقتصادية والاختلاف في المستوى الثقافي والاقتصادي بين الزوجين بنسبة 6.66%، لتأتي في المرتبة الأخيرة العادات والتقاليد والإهمال بنسبة 5%.

إن استقراء بيانات الجدول توضح تنوع العوامل والظروف الذاتية والأسرية والاجتماعية السائدة في المجتمعات الجزائرية التي تتناول ظهور النزاعات الأسرية وتدخل أهل الزوجين

والاكتئاب والوحدة... وهذا النوع من العنف تتعرض له الإناث أكثر من الذكور لكونهن الطرف الأضعف في العلاقة. على عكس الذكور فقليل جدا منهم من يتعرض للعنف الجسدي.

تأتي في المرتبة الثانية مع العنف النفسي العنف الجنسي الذي تمثل في الاغتصاب الزوجي وعدم الاستجابة الجنسية بنسبة 20%، فقد جاء الانتهاك الجنسي للزوجة كأحد أبرز مظاهر العنف الجنسي، فقد صرح أغلب الأزواج من أفراد العينة الاستطلاعية أنه إذا لم تستجب زوجته لرغبته فإنه يأخذها بالقوة، كما أكد بعضهم أن زوجاتهم يتعاملن ببرود جنسي وبطريقة روتينية نمطية تستدعيه دائما لتعنيفها. ومن جهة أخرى أكدت بعض الزوجات أنها تحرم زوجها من حقه الشرعي كأسلوب تعنيف وردع له، في حين تشتكي أخريات من الأسلوب العنيف الذي تلاقيه من زوجها أثناء العلاقة الحميمة بينهما.

أما عن المرتبة الرابعة فكان العنف اللفظي بالشتم والنعت بألفاظ بذيئة وأسماء الحيوانات بنسبة 13.33%، وقد ترواحت مظاهر العنف هنا بين إهانة الزوجة أمام أبنائها أو أحد من أهل الزوجين، كما شمل فرض رأي الزوج بالقوة واستعمال ألفاظ نابية ضد الزوجة وتهديدها بالطلاق أو الزواج عليها، مما يجعل الزوجة في بعض الأحيان تتنازل عن حقها، ومنعها من الاستمرار في عملها أحيانا أخرى. كما أنه قد صرحت بعض الزوجات أنها ترشق زوجها بألفاظ بذيئة أو تشتمه، لأنه حسب قولها الطرف الأضعف وهو سلاحها الوحيد للرد على إهانة وتعنيف زوجها لها.

ليأتي في المرتبة الرابعة العنف الاقتصادي بنسبة 11.66%، وقد تجلّى في العديد من المظاهر، فقد اشتكت حوالي نصف الزوجات المبحوثات الإهمال وعدم تلبية الحاجيات المادية، كما صرح بعضهن أن أزواجهن أخذوا ممتلكاتهم الثمينة وصرحت بعض الزوجات العاملات أن أزواجهن يأخذون رواتبهم بالغصب.

لحل هذه النزاعات، بجانب انخفاض المستوى الاقتصادي الذي دفع بالزوجة للخروج إلى العمل لمدة طويلة، الأمر الذي جعل فرص الحوار الأسري والتفاعل بين أفراد الأسرة قليل، وهذه العوامل تؤثر بشكل مباشر في ظهور العنف داخل الأسر الجزائرية الذي يكون مصدره الزوج غالبا بسبب طبيعته المسيطرة والعادات والتقاليد السائدة التي تمنح للزوج حق استعمال القوة ضد زوجته وإخضاعها لأوامره. ناهيك عن اختلاف المستوى التعليمي والاقتصادي بين الزوجين الذي يتسبب وبشكل كبير في ظهور ظاهرة العنف الزوجي نتيجة عدم التوافق الفكري وسوء الفهم وتغيب الحوار وسبل الإقناع.

وعلى العموم تتفق نتائج هذه الدراسة مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات الجزائرية والعربية في تفسير انتشار واستفحال ظاهرة العنف الزوجي، وهو ما دفع بالكثير إلى التطرق إلى أنواعه وأشكاله، كما أدى بباحثين آخرين إلى طرح تساؤل عن كيفية مواجهته وما هي السبل الكفيلة بذلك؟ خاصة لتفاهم الآراء والنتائج المترتبة عنه والمؤثرة في بنية المجتمع.

3.4 عرض ومناقشة استجابة العينة للسؤال الآتي:

ما هي مظاهر وأشكال العنف الزوجي حسب رأيك؟

أهم الأشكال واردة في الجدول التالي: تبين من النتائج الموضحة في الجدول أن العنف الجسدي احتل المرتبة الأولى والتي بلغت نسبة 30% من أفراد العينة الاستطلاعية، وهذا حسب تصريح 65% من الزوجات المبحوثات أنهن يتعرضن للضرب من طرف أزواجهن بجميع الوسائل المتاحة، كالتهديد بالسكين والركل بالأرجل واللكم على الوجه والرفس.. وغيرها، كما صرحت أغلبهن أن كل أنواع العنف الممارس عليهن يترك أثرا نفسيا في نفسية الزوجة وإحساسها بالضعف وتسبب العصبية

الرقم	محتوى العبارات	ك	%
1	سوء التربية وتعاطي المخدرات والكحول	15	25
2	ضعف الوازع الديني والخيانة الزوجية	10	16.66
3	سوء التفاهم وحب التسلط	10	16.66
4	عدم التكافؤ الجنسي وخروج الزوجة للعمل لوقت طويل	8	13.33
5	تدخل الأهل والأقارب في المشاكل بين الزوجين	6	10
6	البطالة والفقر والمشاكل الاقتصادية	4	6.66
7	الاختلاف في المستوى الثقافي والاقتصادي بين الزوجين	4	6.66
8	العادات والتقاليد والإهمال	3	5

لتأتي في المرتبة الأخيرة وبنسبة ضئيلة 5% من أفراد العينة الاستطلاعية أن العنف الزوجي يشمل الإكراه على الإكراه بالركل المتعمد على البطن والضرب المبرح الذي يؤدي إلى ذلك.

الخاتمة:

لقد شكل العنف الزوجي نقاشا هاما من قبل المفكرين والباحثين في علم الاجتماع وعلم النفس وغيرها من العلوم التي تهتم بالأسرة والمرأة، حاولت تفسير هذه الظاهرة التي

الرقم	محتوى العبارات	ك	%
1	الضرب المبرح باستعمال أي شيء أمامه	18	30
2	العنف النفسي	12	20
3	الاغتصاب الزوجي وعدم الاستجابة الجنسية	12	20
4	الشتيم بالفاظ بذيئة ونعتها بأسماء الحيوانات	8	13.33
5	الإهمال وعدم تلبية الحاجيات المادية وسرقة ممتلكات الزوجة وأخذ مالها بالغصب	7	11.66
6	الإكراه على الإكراه	3	5

من خلال النتائج المتحصل عليها فإن العنف الزوجي ظاهرة اجتماعية، وله أشكال مختلفة، يتطلب منا التركيز على النظام السوسولوجي والثقافي المسير لسلوكيات وأفعال الأفراد خاصة الزوج، والذي جعل الكثير من المفاهيم والقيم الخاطئة التي تركز هذه الظاهرة في المجتمع وتؤدي بمرور الوقت إلى تقبل أفراد المجتمع لهذه الظاهرة على أنها مجموعة من القيم والأعراف المعترف بها في إطار القانون الاجتماعي لاسيما في العلاقات الأسرية والزوجية، ومما يعطي الحق للزوج لممارسته العنف ضد زوجته وتأديبها كونه رب الأسرة، وقد يستعمل في ذلك الكثير من الوسائل للتعنيف الجسدي. ونظرا لأن الزوجة تخضع للكثير من الخصوصيات التي تنتهك حقوقها وتفرض عليها عدم البوح بمشاكلها الخاصة من أجل الحفاظ على بيت الزوجية، بالرغم من الأضرار التي تقع على عاتقها من جراح وآلام وتأزم الحالة النفسية خوفا من أن يهملها وعدم تلبية حاجياتها المادية بسبب الفقر والبطالة أو الحرمان المتعمد من أجل السيطرة وإرغامها على الخضوع لأوامره، ناهيك عن أخذ ممتلكاتها بالغصب من حلي ومجوهرات وغيرها وقد يتعدى ذلك إلى مس راتبها إن كانت عاملة أو حتى إرثها، بحجة كونه المسؤول عن الأسرة وله حق القوامة والتصرف.

ليتأزم الوضع في العنف الجنسي الأكثر ضررا نظرا للخلفية الذهنية لأغلب الأزواج وكان المرأة وسيلة بيولوجية لتلبية رغبته وشهوته، ليقوم باغتصابها إذا امتنعت عنه أو تعنيفها بالضرب، لتصل إلى الخيانة الزوجية في أغلب الحالات.

لأسرتها وينتج عن هذا تعصب الزوج وتعنيفها. ويعد عدم التوافق الجنسي بين الزوجين من أكبر أسباب العنف الزوجي والذي يدفع حتى للخيانة.

ومن نتائج العنف الزوجي تفكك الأسرة وانعدام الثقة بين الزوجين، كما يترك آثارا نفسية جسيمة على الزوجة كالكآبة وشعورها بالنقص وإحساسها بأن كرامتها وأنوثتها قد أُهينت. لتتعدى نتائجها على الطفل حيث يكتسب كل العنف الذي رآه ليمارسه في حياته مستقبلا، أما على المستوى النفسي والاجتماعي فيصبح الطفل عدوانيا مع زملائه لما يتعرض له من أزمات نفسية ويترسخ هذا الفعل في تنشئته الثقافية، كما يؤثر العنف على تركيزه وتحصيله الدراسي، بل يتعدى ذلك إلى الانحراف والجروح وتعاطي المخدرات وانتشار الجريمة.

ولهذا وجب مواجهة انتشاره دينيا وتربويا وثقافيا وإعلاميا وقانونيا، فالتوعية هي أساس ردع استفحال هذه الظاهرة وتتم عن طريق المنابر، في المساجد والمحاضرات والبرامج التلفزيونية والحملات التحسيسية وتفعيل أدوار كل الهيئات الاجتماعية والدولية الفاعلة. وعلى الحكومات والجهات المختصة إخضاع المعتدي لعقوبة صارمة تحده من الاستمرار في العنف، واعتبار الاغتصاب جريمة في حق الزوجة يعاقب عليها الزوج.

ويعد مناقشة نتائج الدراسة نقترح عددا من التوصيات:

- نشر الوعي بين الشباب المقبلين على الزواج والأزواج حديثي الزواج عن مخاطر هذه الظاهرة وتأثيراتها الكارثية على الأسرة وعلى المجتمع الجزائري.
- نشر الوعي الاجتماعي من خلال وسائل الإعلام ومناهج الدراسة والمحاضرات والخطب الدينية.
- التنسيق بين المؤسسات المجتمعية في سبيل معالجة ظاهرة العنف الزوجي ومحاصرة أسبابه.
- رعاية ضحايا العنف الزوجي من خلال مؤسسات الرعاية الاجتماعية الرسمية.
- إقامة دورات وندوات تحسيسية من أجل القضاء على هذه الظاهرة.
- إعادة تصويب العادات والتقاليد الخاطئة التي تسود المجتمع وتصحيحها وفق المنهج الإسلامي.
- رصد مظاهر العنف الزوجي من خلال أخصائيين اجتماعيين ونفسيين والمهتمين بشؤون الأسرة، والعمل على تحليلها وفق نظريات تربوية واجتماعية.

بدأت تنتشر بشكل كبير في الأسر الجزائرية، وقد أصبح يمثل ظاهرة يومية في حياة كثير من النساء على امتداد فترة حياتهن.

وقد أخذت هذه الظاهرة العديد من الأشكال منها ما هو جسدي كالضرب، ومنها ما هو معنوي كالشتيم والسب، ومنها ما هو اقتصادي من خلال حرمان الأسرة من تلبية احتياجاتهم، ليأتي العنف الجنسي والاغتصاب الزوجي ثم العنف النفسي والضغطات النفسية الكبيرة على المرأة.

وقد تسببت الكثير من الدوافع والأسباب في استفحال هذه الظاهرة منها التنشئة الاجتماعية للزوج المعنف الذي يتصف بسرعة الغضب، ورفضه لتحمل المسؤولية واتصافه بالسلطة ونظراته الدونية للمرأة، وهذا نتيجة تغير الذهنيات والمفاهيم والثقافة الاجتماعية والعادات والتقاليد الخاطئة التي تسود المجتمع، جعل الزوج يتصف بسوء المعاملة ويحتقر المرأة مما يولد لها شعورا متدنيا بالكآبة واليأس، وبالتالي تصبح منعزلة وتشعر بأن كرامتها مهانة مما يزيد من حدة الصراع بين الزوجين. ناهيك عن الفرق في العمر بين الزوجين والفارق في المستوى التعليمي بينهما والاختلاف في المستوى الاقتصادي بين عائلتيهما.

والمرأة قد تكون هي سبب العنف خاصة إذا حاولت التمرد والخروج عن المألوف في طريقة لبسها وتصرفاتها ولا تتقبل الوضع المعيشي التي هي عليه مما يجعلها عرضة للعنف والتأديب.

كما أن العنف الزوجي يكون نتيجة العوامل الاقتصادية الصعبة كالبطالة والفقر مما يحدث شرخا داخل الأسرة ويسبب الصراعات بين الزوجين، ناهيك عن خروج المرأة للعمل لفترات طويلة مما يسبب ابتعادها وإهمالها

- (1) ابن منظور: لسان العرب، ج9، دار صادر، بيروت، 2000، ص: 428.
- (2) محمد سالم داود الرميحي: العنف الأسري وانعكاساته الأمنية، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الجنائية والشرطية، كلية تدريب الضباط، الأكاديمية للشرطة، البحرين، 2012، ص: 16.
- (3) عباس أبو شامة: العنف الأسري في ظل العولمة، مكتبة فهد الوطنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2005، ص: 12.
- (4) منية بوزيون: العنف الأسري وخصوصية الظاهرة البحرينية، المركز الوطني للدراسات، البحرين، 2004، ص-ص: 22-23.
- (5) عبد الحميد لطفي: علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، ص-ص: 99-100.
- (6) عبد العالي دبله، حنان مراد: العنف الزوجي (دراسة في المفهوم والأشكال والأسباب المؤدية إليه)، مجلة العلوم الإنسانية بجامعة بسكرة، عدد: 24، جامعة محمد خيضر بسكرة، مارس 2012، ص: 31.
- (7) عبد العالي دبله، حنان مراد: المرجع نفسه، ص: 32.
- (8) لميس ناصر: العنف ضد النساء والأطفال: <http://www.amanjordan.org/studis/Lamis.htm>
- (9) آمال بوعيشة، فريدة بولسان: التصورات الاجتماعية للعنف الزوجي مظاهر سلبية وتطلعات إيجابية (دراسة على عينة من أسر جزائرية من المجتمع الجزائري)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد: 21، بسكرة، ديسمبر 2015، ص: 17.
- (10) ابن منظور: لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت 2002م، ص: 104.
- (11) عبد الهادي جوهري: مدخل لدراسة المجتمع، مكتبة النهضة، القاهرة، 1984.
- (12) تغريد أبو سرحان: الإيذاء الجسدي الواقع من الأطفال من داخل الأسرة (دراسة لواقع القضايا الواردة إلى مديرية الأمن إدارة وحماية الأسرة)، مجلة الدراسات الأمنية، مج: 33، عدد: 7، أكاديمية الش، 2006، ص: 17.
- (13) كنزة عيشور، مهدي عوارم: التماسك الأسري (تعريفه وعوامل تحقيقه)، دراسة مقدمة في الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، جامعة قاصدي مرباح، أبريل 2013، ص: 4.
- (14) الجبرين علي جبرين: العنف الأسري خلال مراحل الحياة، مؤسسة الملك خالد الخيرية، الرياض، ص: 45.
- (15) عبد الله بن أحمد العلاف: العنف الأسري وأثاره على الأسرة والمجتمع، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، منشورة ص: 5.
- (16) أحمد محمد الخالق: علم النفس العام، دار المعرفة الجامعية، 2006، ص: 139.
- (17) أمل العواودة سالم: العنف ضد الزوجة، أربد مكتبة الفجر، 2002، ص: 33.
- (18) كاظم الشيب: العنف الأسري (قراءة في ظاهرة من أجل مجتمع سليم)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2007، ص: 52.
- (19) كاظم الشيب: المرجع نفسه، ص: 57.
- (20) عبد الحميد إسماعيل: العنف ضد المرأة، مجلة العربي، عدد: 548، جويلية 2004، ص: 27.
- (21) عبد الحميد إسماعيل: المرجع نفسه، ص: 30.
- (22) إشراق الريحاني: العنف الزوجي وأنواعه داخل مؤسسة الزواج من الموقع: <http://www.maghress.com/alittihad/195549> بتاريخ 11/7/2018 م على الساعة: 13:00
- (23) إشراق الريحاني: الموقع نفسه.
- (24) طالب بن محفوظ: الزوج المتسلط، من الموقع: <http://www.okaz.com.sa/article/41180> | بتاريخ 11/7/2018 م، على الساعة: 20:00.
- (25) البيهقي: معرفة السنن والآثار، باب نشوز المرأة على الرجل، رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب في ضرب النساء، رقم: 2146.
- (26) أحمد محمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، ط2، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص: 207.
- (27) عبد الرحمن العيسوي: جرائم الصغار، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2005، ص: 113.
- (*) السادية يعني السيطرة على الآخر وممارسة نوع من الإذلال له، أي حب التعذيب، وتنسب إلى الماركيز (دي ساد) الفرنسي الذي عرف عنه اللجوء إلى العنف أثناء الممارسة الجنسية، فالسادية هي التلذذ الجنسي بإيلاام الشريك بالضرب أو العض أو غيره. أما الماشوسية فتتمثل في حب العذاب والحصول على المتعة الجنسية عند تلقي التعذيب، وتنسب الماشوسية إلى الكاتب النمساوي ليبولد زاخر مازوخ.
- (28) عبد الرحمن محمد العيسوي: دوافع الجريمة، ط1، منشورات الحلبي الحقيقية، الإسكندرية، 2004، ص: 123.
- (29) نجاة السنوسي: الأثر الذي يولده العنف على الطفل ودور الجمعيات الأهلية في مواجهته، الجمعية العامة لحماية الأطفال بالإسكندرية، 2002، ص: 5.
- (30) عبد الرحمن محمد العيسوي: دوافع الجريمة، المرجع السابق، ص: 124.
- (31) عبد العالي دبله، حنان مراد: المرجع السابق، ص: 38.
- (32) عبد العالي دبله، حنان مراد: المرجع نفسه، ص: 38.
- (33) بلقاسم شتوان: أسباب تفكك الأسرة المسلمة في المجتمع الجزائري، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الدولي السابع، الأسرة المسلمة الواقع والمأمول، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة برج بوعريش، ماي 2013، ص: 5.
- (34) تدخل الأهل بين الزوجين (الأسباب-المخاطر-الحلول): <http://www.supermama.me/post> | يوم 16/7/2018 م على الساعة: 20:00.
- (35) محمد عاطف غيث: تطبيقات في علم الاجتماع، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، ص: 229.
- (36) العنف ضد المرأة | mawdoo3 | يوم 16/7/2018 م على الساعة: 20:05.
- (37) عزيزة محروس محمد: أسباب العنف على المجتمع المصري، جامعة القاهرة، 2008م-2009م، ص: 17-16.
- (38) إبراهيم الكبجي: العوامل المجتمعية للعنف الأسري في المجتمع القطري، مجلة جامعة دمشق، العدد 4-3، دمشق، 2013، ص: 267.
- (39) محمد خضر بن مختار: الاغتراب والتطرف نحو العنف (دراسة نفسية اجتماعية)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص: 73.
- (40) أمل محمود السيد محمود، زينب عبد المحسن: علاقة بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية والمعرفية بمستويات تقبل المرأة للعنف الزوجي، جامعة قناة السويس، ص: 5.
- (41) مبروك هابس الفاتح: نظريات العنف والثورة (دراسة تحليلية تقويمية)، مجلة مركز البحوث والدراسات السياسية، عدد: 49، 1991، ص: 20.
- (42) بلقاسم شتوان: المرجع السابق، ص: 7.
- (43) بلقاسم شتوان: المرجع نفسه، ص: 8.
- (44) لبنى بن دعيمي: العنف الأسري في الجزائر (استراتيجيات وأساليب المواجهة)، ورقة بحثية مقدمة للملتقى الدولي السابع حول الأسرة المسلمة الواقع والمأمول، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة برج بوعريش، الجزائر، ماي 2013، ص: 8.
- (45) لبنى بن دعيمي: المرجع نفسه، ص: 8.
- (46) حنان قرقوتي: العنف المرأة في المجال الأسري، ط1، كتاب الأمة، عدد: 171، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بدولة قطر، الدوحة، أكتوبر-نوفمبر 2015، ص: 125.
- (47) حنان قرقوتي: المرجع نفسه، ص: 125.
- (48) كايد يوسف قرعوش: العنف في نطاق الأسرة، الدورة 19، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجتمع الفقه الإسلامي الدولي، الشارقة، الإمارات، ص: 32.
- (49) لبنى بن دعيمة: المرجع السابق، ص: 9.
- (50) شريفة معدن: التفكير الأسري معضلة حقيقية تهدد الحياة الأسرية، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر الدولي السابع الأسرة الواقع والمأمول، جامعة برج بوعريش، ماي 2013، ص: 15.
- (51) كايد يوسف: المرجع السابق، ص: 34-35.
- (52) شريفة معدن: المرجع السابق، ص: 16.
- (53) أميرة بنت أحمد باهميم: دور التربية الإسلامية في مواجهة تحديات العنف الأسري، بحث مكمّل لنيل شهادة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية بمكة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1427 هـ، ص: 238.
- (54) محمد حسين: أسباب العنف الأسري ودوافعه، مؤتمر العنف الأسري من منظور إسلامي قانوني، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012/12/24 م، ص: 17.
- (55) سامية حسن ساعاني: المرأة والمجتمع المعاصر، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2006م، ص: 256.
- (56) محمد حسين: المرجع السابق، ص: 17.
- (57) أميرة بنت أحمد باهميم: المرجع السابق، ص: 295.
- (58) أميرة بنت أحمد باهميم: المرجع نفسه، ص: 297.

نشوز المرأة

خالد بن سعود البلهيد



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن الحياة الزوجية قد تصفو أحيانا وتتعكر تارة أخرى، ومن مظاهر سوء العلاقة الزوجية نشوز المرأة على زوجها .

والنشوز (لغة) معناه الارتفاع والعلو، يقال أرض ناشز يعني مرتفعة، ومنه سميت المرأة ناشزا إذا علت وارتفعت وتكبرت على زوجها.

والنشوز في اصطلاح الشرع هو: امتناع المرأة من أداء حق الزوج أو عصيانه أو إساءة العشرة معه، فكل امرأة صدر منها هذا السلوك أو تخلقت به فهي امرأة ناشز ما لم تقلع عن ذلك أو تصلح خلقها.

قال ابن قدامة: «معنى النشوز معصية الزوج فيما فرض الله عليها من طاعته، مأخوذ من النشز وهو الارتفاع فكأنها ارتفعت وتعالَت عما فرض الله عليها من طاعته».

مظاهر نشوز المرأة

1. امتناع المرأة عن المعاشرة في الفراش، وقد ورد ذم شديد لمن فعلت ذلك.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعا : { إذا دعا الرجل امرأته فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح } وعند

مسلم بلفظ : { ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها }، فيحرم على

المرأة الامتناع عن زوجها إذا دعاها للفراش على أي حالة كانت إلا إذا كانت مريضة أو بها

عذر شرعي من حيض أو نفاس ولا يحل لها حينئذ أن تمنعه من الاستمتاع بما دون الفرج، ولا يجوز للمرأة أن تتبرم أو تتناقل وتتباطأ أو

تطلب عوضا أو تنفرد بأي طريقة، وكل ذلك يدخل في معنى النشوز، والواجب عليها أن تجيبه راضية طيبة نفسها بذلك محتسبة الأجر.

2. مخالفة الزوج وعصيانه فيما نهى عنه كالخروج بلا إذنه وإدخال بيته من يكرهه وزيارة من منع من زيارته وقصد الأماكن التي نهى عنها والسفر بلا إذنه.

وقد نص الفقهاء على تحريم ذلك، وقال رسول الله ﷺ : { إن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح } رواه مسلم.

أسباب نشوز المرأة

1. سوء خلق المرأة وعدم تلقيها قدرا كافيا من التربية الصحيحة .

2. قلة وعي المرأة بمكانة الزوج وجهلها لحقوقها وأهمية طاعته.

3. وجود من يحرضها على الخروج عن طاعة الزوج أو عيشها في بيئة تشجع المرأة على ذلك.

4. التباين الاجتماعي والفكري بين الزوجين ووجود فارق كبير بينهما.

5. تفوق المرأة على الزوج في شيء من الصفات في المال أو الجمال أو الحسب أو النسب مما يحملها ذلك على الغرور والتكبر على الزوج.

6. تأثر المرأة بالأصوات والأطروحات المتغيرة التي تحررها فكريا من أحكام وآداب الأسرة الإسلامية وتقنعها بمساواة الرجل وعدم التزام الطاعة له.

7. وجود مشاكل بين المرأة وزوجها وعدم تفهمها لنفسية الزوج واحتياجاته الخاصة.

8. ظلم الزوج وتقصيره بحقوق المرأة وجفائه لها وعدم مراعاة حدود الله في علاقته بها.

علاج نشوز المرأة

هناك علاج وقائي للمرأة قبل وقوع النشوز، وعلاج عملي بعد وقوعه:

3. ترك طاعة الزوج فيما أمر به وكان من المعروف كخدمته والقيام على مصالحه وسائر

حقوقه وتربية ولده، والامتناع عن الخروج معه إلى بيت آخر أو بلد أخرى آمنة ولا مشقة

عليها في مصاحبته ما لم يكن قد اشترطت على الزوج في العقد عدم إخراجها من بيتها أو

بلدها إلا برضاها.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: **«الرَّجُلُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ»** "يعني أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهلها حافظة لماله"،

وقال رسول الله ﷺ { إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت } رواه أحمد. والضابط في حدود

طاعة الزوج ما تعارف عليه أوساط الناس وكان شائعا بينهم، ويختلف ذلك بحسب غنى الزوجين وفقرهما والبيئة التي يعيشون فيها.

4. سوء العشرة في معاملة الزوج والتسلط عليه بالألفاظ البذيئة وإغضابه دائما لأسباب تافهة وإيذائه، ويدخل في ذلك إيذاء أهل الزوج، وقد

فسر ابن عباس وغيره الفاحشة في قوله تعالى **«لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِقَاضِيَةٍ مُبَيَّنَةٍ»** بما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وأذتهم في الكلام والفعال.

1. علاج معرفي بأن تتفقه المرأة في أحكام الأسرة وتطلع على حقوق الزوج ووجوب طاعته وحدود هذه الطاعة وأن ذلك عبادة والثواب المترتب على التزامها بذلك وتحريم النشوز والإثم المترتب على ذلك ومعرفة الآثار والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة في طاعة الزوج وعكس ذلك.

2. إذا وقعت المرأة في النشوز وخرجت عن طاعته يشرع للزوج حينئذ علاجها يتدرج معها بأساليب على حسب حالتها ومستوى نشوزها ولا ينتقل إلى المرتبة الثانية إلا إذا تعذر إصلاحها بالأولى، وترتيبها على النحو الآتي:

أولاً: يعظها ويخوفها بالله وعقابه ويبين لها وجوب طاعة الزوج وتحريم معصيته وما يلحقها من الضرر.

ثانياً: يهجرها في الفراش ويعرض عن جماعها بأن يوليها ظهره. قال ابن عباس: "لا تضاجعها في فراشك".

ثالثاً: يضربها ضرباً خفيفاً لا يكسر عظما ولا يسم لحماً ويتجنب الوجه والمقاتل ويكون في ملايين الجسم.

قال الخلال: «سألت أحمد بن يحيى عن قوله ﴿ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ﴾ قال غير شديد».

قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْزُوبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ قال في "المقنع": "وإذا ظهر منها أمارات النشوز بأن لا تجيبه إلى الاستمتاع أو تجيبه متبرمة متكرهه، وعظها فإن أصرت هجرها في المضجع ما شاء وفي الكلام ما دون ثلاثة أيام فإن أصرت فله أن يضربها ضرباً غير مبرح".

ولا بأس للرجل أن يستخدم أساليب أخرى للعلاج في درجة هذه الأساليب كهجرها في الكلام وترك طعامها وغير ذلك مما يختلف تأثيره من امرأة إلى أخرى.

والمقصود في استعمال ذلك هو ردع المرأة عن النشوز وردّها إلى البر والطاعة وإيصال رسالة من الزوج تتضمن سخطه وعدم رضاه بسلوكها، وليس المقصود من ذلك تعذيب المرأة والانتقام منها والتسلط عليها لأن ذلك ليس من خلق المسلم ولا يحقق مصلحة ومن الظلم الذي نهى عنه الشرع.

قال رسول الله ﷺ: { لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم } رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: { إذا ضرب أحدكم، فليترك الوجه } رواه مسلم.

ولا يجوز لأحد مهما كان أن ينكر هذا الأدب الشرعي (الضرب) لأنه أمر مُحْكَمٌ في القرآن وعلى لسان رسول الله ﷺ، أجمع عليه الفقهاء

وهو وسيلة مباحة، والأفضل للمسلم تركه والترفّع عنه إلا إذا اضطر إليه وقد كان رسول الله ﷺ لا يضرب النساء.

قالت عائشة (رضي الله عنها): "ما ضرب رسول الله شيئاً قط، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل" رواه مسلم.

وإن أقلعت الزوجة عن النشوز وصلحت حالها وجب على الزوج حينئذ الكف عن تأديبها وعدم التعدي عليها لأن السبب الموجب لذلك قد زال ولا سبيل له عليها شرعاً وإنما أبيح له ذلك حال نشوزها فقط.

أحكام المرأة الناشز

إذا نشزت المرأة سقط عنها حقوق لا تثبت لها إلا إذا تركت النشوز:

1. النفقة.

2. السكنى والقسم لها.

قال ابن قدامة: "فمتى امتنعت من فراشه أو خرجت من منزله بغير إذن أو امتنعت من الانتقال معه إلى مسكن مثلاً أو من السفر معه فلا نفقة لها ولا سكنى في قول عامة أهل العلم".

والأصل في ذلك عند الفقهاء أن هذه الحقوق تثبت للمرأة في مقابل استمتاع الرجل بها وتمكينه له فإذا زال زالت الحقوق.

وما سوى ذلك فهي زوجة يثبت لها سائر الأحكام من المحرمية والإرث وغير ذلك.

أمور ليست من النشوز

1. أن لا تطيعه في معصية الله فإذا امتنعت عن خلع الحجاب إذا أمرها بذلك أو الاختلاط أو شرب المسكر فليست بناشز لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وإنما الطاعة في المعروف.

2. أن يكون في إجابتها ضرر عليها في نفسها أو دينها أو يحصل لها مشقة بذلك، فإذا طلب منها السفر إلى بلد مخوفة أو الخروج إلى بيت مهجورة فامتنعت فليست بناشز وكذلك إذا طلب منها السفر إلى بلد الكفر فلها حق الامتناع عن ذلك ولا يلزمها طاعته.

3. أن تسافر لأداء فريضة الحج أو الهجرة الواجبة فإن منعها وفعلت فليست بناشز على الصحيح ويستحب لها استئذانه ومداراته، وكذلك إذا سافرت لحاجتها بإذنه لا تعد ناشزا على الصحيح ولا تسقط نفقتها.

4. أن تمتنع عن إجابته في الفراش لعذر شرعي أو حسي أو لعدم وجود المكان المستتر والمناسب عرفاً.

5. أن تقطع علاقتها بأقاربها أو أقارب زوجها

لفساد في الدين أو حصول ضرر عليها أو على أولادها.

6. أن لا تطيع الزوج في عمل يشق عليها فوق طاقتها أو لا يصلح لمثلها ولا يكلف الله نفسها إلا ما آتاها.

7. أن تمتنع عن الإقامة في مسكن يجمعها مع ضررتها لأن انفرادها في سكن خاص بها حق لها يجب على الزوج توفيره لها إلا إذا وافقت على إسقاط حقها في العقد وشرط الزوج عليها عدمه.

والحاصل أن أي فعل عمل أو تركه يؤدي إلى حصول ضرر ديني أو دنيوي للمرأة أو يلحقها بفعله مشقة ظاهرة فلا تلزم طاعة الزوج في ذلك وتركه ليس من النشوز.

تصرف المرأة عند نشوز الزوج

إذا حصل من الزوج ظلم وتقصير في حقوق المرأة أو جفاء فلا يسوغ للمرأة شرعاً النشوز عليه وترك طاعته أو ضربه والتعدي عليه لأن الواجب عليها لا يسقط عنها مهما قصر الزوج وينبغي له أن تتخذ الخطوات الآتية:

أولاً: أن تعظه بالله وتذكره بحقوقها وأن ذمته مشغولة بذلك.

ثانياً: فإن لم يستجب وسطت بينهما رجلاً حكيماً من أهل الخير والأمانة ينصحه ويتفاهم معه وليكن ذلك برفق دون تشهير به.

ثالثاً: فإن لم يستجب رفعت أمره للحاكم وطالبت بحقوقها ونظر لها الحاكم بالأصلح من فسخ أو طلاق أو خلع.

ولا بأس للمرأة إذا أعرض عنها الزوج لكبر أو مرض أو سبب آخر، وكانت ترغب في استمرار النكاح أن تصالحه على إسقاط بعض حقوقها كالبيت والنفقة على أن يبقيها في عصمته ولا يطلقها لقوله تعالى ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: «هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها، فيريد طلاقها ويتزوج عليها، تقول له أمسكني ولا تطلقني وأنت في حل من النفقة عليّ والقسمة لي» رواه البخاري.

وقالت عائشة: إن سودة لما أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ قالت يا رسول الله يومي لعائشة فقبل ذلك منها. ففي تلك وأشباهها أراه أنزل الله ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾.

وقد يكون هذا الخيار هو الأصلح للمرأة لوضعها الاجتماعي والنفسي، وحال أولادها.

أسأل الله أن يصلح أحوال البيوت، ويؤلف بين القلوب، ويجعل بين الأزواج مودة ورحمة، يصرف عنهم المشاكل والفتن.



كتاب حسن القوم في بحر مسائل الصوم

تأليف الطاهر بن العبيدي السوفي (المدرس ب : توقرت)

المتوفى سنة 1387هـ/1968م (رحمه الله تعالى)

بعناية | أ.عبد الرحمن دويب

قال عليه الصلاة والسلام: «الصَّوْمُ يَوْمَ يَصُومُ النَّاسُ، وَالْفِطْرُ يَوْمَ يَفْطُرُ النَّاسُ» اهـ.
والمراد بالناس العلماء، لا الرّاع الذين هم في حكم الأنعام.

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فإن الإسلام أولى اهتماما بليغا بشؤون الصوم، فجاءت أحكامه مناسبة ومراعية لمصالح الناس، ومُستجيبة لما فيه صلاحهم في الدنيا وفي الآخرة.

ومن المسائل التي تناولتها تشريعاته بالبيان والتفصيل، وتعرض الفقهاء لكشف أسرارها بالشرح والتأويل، قضية تتبع الأهلّة، والنظر فيما يترتب على انقضاء الأشهر وبدايتها من آثار وأحكام.

وقد شكّل هذا الموضوع منذ عصور خلت التباسات كبيرة في أذهان العامة، وما زالت مسأله تبعث الحيرة والشكوك في أفهام من لم يضرب في علم الفقه بسهم وحظ وافر.

فلا غرابة إذا رأينا العلماء يفردون لهذه المسألة كتباً ومؤلفات خاصة، يجمعون فيها كلّ ما يرتبط بهذه المسألة من فروع وفقهيات.

وهذه الرسالة التي نقدّمها للقراء هي نتاج عراك فكري دائم، وقد يتحوّل في بعض الأحيان إلى خصام حسيّ تشاهد آثاره، بين

العبيدي بن علي بن بلقاسم بن اعمارة بن بلقاسم بن سليمان بن عبد الملك بن الهادي بن أحمد خذير بن عبد العزيز بن سليمان بن سالم بن إبراهيم بن عبد الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جابر بن جعفر بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل ابن الحسين المثنى ابن علي بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء (رضي الله تعالى عنهم أجمعين) بنت محمد ﷺ.

مولده ونشأته

ولد الشيخ العلامة العبيدي (رحمه الله تعالى) في مدينة الوادي بسوف سنة 1304هـ/1886م، وكان والده يحترف الحدادة، أرسله منذ صغره إلى الكتاب لتعلم الحروف العربية ولحفظ القرآن الكريم، وقد تميزت منطقة وادي سوف وبعض المناطق الجزائرية (غرداية، المسيلة، وغيرها ...) بلسانها العربي الفصيح المبين الذي لا عجمة فيه ولا لوثة تختلط بصفاء اللسان مما كان له تأثير كبير على اللغة اليومية المعتادة فيما بينهم، وهو ما ساعد القوم على قراءة القرآن الكريم الذي شاع حفظه في تلك الرُّبوع

طوائف من أهل العلم محاطاً بسياج من الأدب، وفي كثير من الأحيان تنفّلت الأمور من أيدي العقلاء لتقع بين يدي من لا يحسن للأدب طريقاً، ولا ضرب مع العقلاء بسهم يميّزه عن السفلة، فينقطع بهم سبيل الشرّ إلى الخصومة والفرقة وما ينتج عن ذلك من آثام وأهوال.

ونحن إذ أقبلنا على خدمتها، وتقديمها للقراء في هذا الثوب الجديد، فإنما غرضنا خدمة العلم وأهله، وإثراء ساحة الفكر بمثل هذه الكتابات التي تمثل لنا ثروة علمية، ووثيقة تاريخية تُضاف إلى رصيد الجزائر العلمي والثقافي.

ترجمة العلامة الشيخ الطاهر العبيدي السوفي⁽¹⁾
العلامة الأصولي النظار المجتهد اللغوي الحجة الطاهر العبيدي.

اسمه ونسبه

هو الشيخ الفقيه الإمام الطاهر العبيدي السوفي مولدا ونشأة، التوقرتي إقامة و وفاة، ينحدر من أولاد سيدي عبيد ببئر العاتر (ولاية تيسة بأقصى الشرق الجزائري)⁽²⁾. يتصل نسبه بالشجرة الشريفة فهو ابن

حتى بين النساء، ولم يشدّ - مترجمنا - عن أنرابه ولداته، فقد تمكّن من حفظ القرآن الكريم حفظ تمكّن وإتقان ولما يتجاوز الثانية عشر من العمر، بينما يذهب الأستاذ محمد محدة في تحقيقه لرسالة "الستر" وتعليقه عليها في معرض ترجمته للشيخ العبيدي إلى أنه حفظ القرآن الكريم في سن التاسعة، يقول: "وظهر عليه بؤادر النجابة والذكاء في سن مبكرة، حيث حفظ القرآن الكريم في سن التاسعة من العمر"، ثم انكب الفتى على دراسة العلوم الشرعية واللغوية، فحفظ المتون المعروفة في التفسير والفقه والحديث والأصول...

وتفتّحت عنده الملكة الفقهية وهي بمثابة الرصيد المخزون الذي راح ينمو باضطراد عجيب، ويتصاعد وفق خط بياني واضح في حياته العلمية.

تحصيله العلمي وشيوخه

أجمع كل الذين ترجموا للشيخ العبيدي أنه أخذ علوم الشريعة واللغة عن الشيخين عبد الرحمن العبيدي ومحمد العربي بن موسى، ولكنهم لم يشيروا إلى أنه تتلمذ على الشيخ القاضي عمار من قرية (تاغروت)، ولم يذكروا أنه كان يحضر إلى دروس الشيخ الصادق بلهادي العقبي (1869/1939) مع صديق طفولته الشيخ إبراهيم بن محمد الساسي العوامر (1881/1934) صاحب (الصروف في تاريخ الصحراء وسوف) وغيره من التواليف، وحسب ما ذكره الشيخ إبراهيم العوامر نفسه في كتابه: (البحر الطافح في فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح) أن الشيخ الصادق العقبي كان يتبرّع بدروس في زاوية سيدي سالم - أو الزاوية السالمية - بالوادي، ومن هنا نفهم أن تلمذة الشيخ العبيدي على الشيخ الصادق بلهادي كانت من تلك الدروس في تلك الزاوية... ويذكر الدكتور سعد الله في: "تجارب في الأدب والرحلة" (ص 100): "... أنه أخذ العلم إجازة بالمراسلة من الشيخ المكي بن عزّوز الذي راسله بها من الأستانة" اهـ.

هجرته وأساتذته

في سنة 1904م هاجر الشيخ العبيدي إلى تونس للتحصيل على مزيد من العلم بجامع الزيتونة، ومن أبرز العلماء الذين

أخذ عنهم من الجامع الأعظم الإمام محمد بن الطاهر بن عاشور، والعلامة محمد الخضر حسين، والشيخ أحمد بن مراد، والشيخ حسن بن يوسف، وفضيلة الأستاذ محمد النجار، والشيخ أحمد البنزرتي، والأستاذ الكبير صالح الهواري، والشيخ خليفة بن عروس، والشيخ ابن محمود، والشيخ النخلي، وغيرهم من الشيوخ، ويبدو من خلال بعض الكتابات أنه صاحب زعيم النهضة الإصلاحية الإمام عبد الحميد بن باديس أيام طلبه للعلم بالزيتونة، وتبقى هذه المعلومة غير مؤكدة، وإن كان الدكتور سعد الله يستنتج تخميناً بعد استقراره يقوده إلى افتراض الصلة بين الشيخين من خلال لفظة لابن باديس: "قديم التذكار"، جاءت في سياق مراسلة بين الرجلين بتاريخ جمادى الثانية 1337هـ، ويعلّق الدكتور سعد الله على ذلك بقوله: "وهناك أوجه شبه واختلاف بين ابن باديس والشيخ العبيدي، من ذلك صداقتهما أيام الطلب في تونس، وهو ما يشير إليه ابن باديس في رسالته بعبارة "قديم التذكار" رغم أنها عبارة غير صريحة في هذا المعنى" اهـ "تجارب في الأدب والرحلة" (ص: 101).

ولا نعلم - على وجه الدقة - المدة التي مكثها شيخنا بحاضرة تونس، فقد سكت الذين ترجموا له عن هذه النقطة باستثناء الأستاذ محمد محدة الذي حدّد لها بثلاث سنوات.

العودة إلى الوطن وجهوده في التعليم والإصلاح

بعد تلك الفترة التي قضاها طالباً بالزيتونة عاد الشاب الطاهر العبيدي إلى أرض الوطن يتدفّق حيوية، ويزخر بالعلم وبما أنعم الله عليه، عاد وعلى كاهله أمانة ثقيلة ورسالة شاقة آل على نفسه الاضطلاع بها، عاد إلى مدينة الوادي ليتصدى لنشر الثقافة الإسلامية وتعليم الناشئة...

ولم يطل به المقام في البلد الذي درج فيه طفلاً وترعرع فيه شاباً وتقلب بين جوانحه يافعا، حتى وجد نفسه مضطراً إلى مغادرة الأسرة والقبيلة تاركا العشيرة والبيئة متجها نحو مدينة تقرت لتصبح هذه الأخيرة فيما بعد هي موطنه ومحل إقامته ويستقر فيها استقراره النهائي الذي دام نصف قرن وزيادة... والسبب الرئيس الذي جعل مترجمنا ينتقل من سوف إلى مدينة ورقلة كان تنفيذا وفيما

و مخلصاً لوصية أستاذه محمد العربي بن موسى الذي أشار عليه أن يخلفه في الإمامة والتدريس بالمسجد الكبير بتقرت... وكان ذلك الانتقال بداية عهد جديد... وكان أيضاً بداية للاضطلاع بمهمة جليلة مثقلة بالمسؤوليات، وكان كذلك بداية لرحلة في مجال الخطابة والتأليف والإفتاء والاطلاع الواسع الذي لا يعرف التوقف والانقطاع... رحلة مليئة بالعطاء والتبليغ وهداية الخلق... ومنح الأستاذ الإمام الطاهر العبيدي للرسالة التي أنيطت به كل ما يمتلك من مجهود علمي، ولم يبخل بكفاءته التي راحت تتنامى وتزيد مع الأيام...

وكانت تجربة دسمة بالثراء الفكري والرؤية النيرة التي تدفع عن هذا الدين الشبه التي يثيرها المبطلون ويروج لها المرجفون الذين يتربصون بالإسلام ويتابعون مسار رسالته، ومن أجل ذلك لم يتخل الشيخ الطاهر العبيدي - يوماً واحداً - عن أداء هذه الأمانة منذ أن تحملها سنة 1907م، وقام بها أحسن قيام، أدى ما عليه نحو ربه ودينه وأمتة - رغم الظروف غير الملائمة في كثير من الأحيان - وافيا غير منقوص إلى آخر يوم في حياته.

وكان الشيخ العبيدي - وحده - عالم منطقة ورقلة وفقهها المجتهد ومثقفها الأكبر لا يشاركه في ذلك مشاركة طيلة ستين سنة... وفي خلال هذه المدة استطاع - بتوفيق من الله - أن يفسر القرآن الكريم حسب رواية الأستاذ عبد السلام سليمان: "... وفي العاشر من محرم سنة 1353هـ الموافق لـ 17 أبريل 1934هـ ختم العبيدي تفسيره للقرآن الكريم، وعاشت تقرت مهرجاناً عظيماً لم تعرف مثله من قبل ومن بعد، ولا أحد اليوم من أبنائها يذكر ذلك الحدث العظيم" اهـ.

وفاته

توفي (رحمه الله تعالى) يوم 28 شوال 1387هـ/28 جانفي 1968م بمدينة تقرت، وكانت جنازته يوماً مشهوداً حيث خرج جميع أهالي المدينة لتشيعه وتوديعه، كما حضر جنازته كوكبة من بقايا علماء (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).

مؤلفاته⁽³⁾

كغيره من العلماء المشاركين ترك الشيخ العبيدي آثاراً كثيرة في فنون متنوعة، منها:

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَبَعْدَ.

فَإِنِّي بَعْدَ مَا سَمِعْتُ هَذِهِ الْمَنْظُومَةَ مِنْ مُؤَلِّفِهَا الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ الطَّاهِرِ الْعَبِيدِيِّ، قُلْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ خِدْمَةٌ لِلْعِلْمِ وَإِشَادَةٌ بِفَضْلِ هَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمِ وَمَنْظُومَتُهُ الْمَزْرِيَّةُ بِالذُّرِّ النَّظِيمِ عَلَى حَسَبِ مَا سَمَحَ بِهِ الْخَاطِرُ الْكَلِيلُ الْقَاصِرُ:

ذِي دُرٍّ حُسْنَةِ التَّنْضِيدِ سَالِمَةٍ مِنْ وَصْمَةِ التَّعْقِيدِ
جَامِعَةٍ لِلْقَصْدِ وَالْمَزِيدِ الْجَنَى لِكُلِّ مُسْتَفِيدٍ
مِنْ نَظْمِ زَيْنِ الْعِلْمِ الْعَبِيدِيِّ جَازَاهُ رَبُّ النَّاسِ مِنْ مَفِيدٍ
بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالتَّأْيِيدِ

قَالَهِ وَكَتَبَهُ:

عبد الحميد بن باديس (عفا الله عنه)

يوم الثلاثاء 7 رجب سنة 1337 هـ.

• وله بحوث علمية كثيرة موزعة عند كثير من تلامذته وحفدته وبعضها ضاع.

ملاحظة:

ذكر جُلٌّ مَنْ تَرْجَمَ لِلشَّيْخِ أَنَّ الْإِمَامَ ابْنَ بَادِيسٍ قَرَّظَ لَهُ مَجْمُوعَةً مِنْ رِسَالَتِهِ، مِنْهَا: "النَّصِيحَةُ الْعَزْزِيَّةُ"، وَرِسَالَةُ "سِتْرِ الْعُورَةِ"، وَنَظْمُ "قَطْرِ النَّدَى".

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَقَرَّظْ لَهُ إِلَّا نَظْمَهُ لِقَطْرِ النَّدَى كَمَا سَبَقَ نَقْلَ نَصِّهِ بِالتَّمَامِ، أَمَّا رِسَالَةُ سِتْرِ الْعُورَةِ فَلَمْ يَقِفْ مُحَقِّقُهَا وَشَارِحُهَا عَلَى نَصِّ تَقْرِيزِهِ، وَأَمَّا تَقْرِيزُ مَنْظُومَةِ النَّصِيحَةِ الْعَزْزِيَّةِ فِي نَصْرَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ، فَإِنَّ السَّيِّدَ الطَّوِيلَ مَسْعُودَ - الَّذِي نَشَرَهَا بِمِصْرَ سَنَةِ 1387 هـ/1968 م - لَمْ يَذْكُرْ هَذَا التَّقْرِيزَ وَلَمْ يُشِرْ إِلَيْهِ أَصْلًا، وَإِنَّمَا نَقَلَ تَقْرِيزَ الشَّيْخِ ابْنِ بَادِيسَ لِنَظْمِ قَطْرِ النَّدَى، وَفَهُمْ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ تَقْرِيزٌ لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَتَتَابَعَ النُّقْلُ، وَقُلْدُ الْمَتَأَخَّرُ الْمَتَقَدِّمُ مِنْ غَيْرِ الْوَقُوفِ عَلَى الْأَصْلِ الْمَطْبُوعِ، وَكَتَبْتُ قَبْلَ وَقُوفِي عَلَى رِسَالَةِ الطَّوِيلِ أَسْتَغْرِبُ صُدُورَ هَذَا التَّقْرِيزِ عَنِ الْإِمَامِ لِأَنَّ بَعْضَ أَبْيَاتِهَا لَا يُوَافِقُ مَشْرَبَ الشَّيْخِ وَلَا يَخْدُمُهُ، مِنْهَا قَوْلُهُ - الْعَبِيدِيُّ - (رَحِمَهُ اللَّهُ):

وَعَلَى الْأَوْلِيَاءِ ثَنِي أُلُوفَ الـ كَتَبَ إِلَّا جَمَاعَةَ تَيْمِيَّةٍ
إِنْ فِي الْإِعْتِقَادِ رَوْحًا وَرِيحَانًا وَفِي الْإِنْتِقَادِ نَارًا قَوِيَّةً

النسخة المعتمدة في التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق هذه الرسالة على نسخة خطية أتحفنا بصورة منها الأستاذ الفاضل فؤاد بن خليل القاسمي، وهي من الكنوز النفيسة التي تحتوي عليها مكتبة زاوية الهامل بمدينة بوسعادة.

تقع هذه النسخة في (4) صفحات، وخطها مغربي حديث مقروء، وهي بخط ناسخها السيد عامر بن المبروك الأخضر، وذكر مؤلفها أنه أنهى كتابتها بتاريخ 13 ذي القعدة سنة 1370 هجرية. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا، وبعد.

تفسيره القرآن الكريم:

كتب بعض تلامذته أجزاء منه لا تزال مخطوطة في كرايس.

الفتاوى:

مجموعة من الفتاوى والأجوبة موجودة عند بعض الخواص من تلامذته وأهل بيته.

رسالة في كيفية العبادة:

في نحو عشر (10) صفحات.

رفع الإبهام عن مسائل الصيام:

في نحو ثماني عشرة (18) صفحة.

حسن العوم في بحر مسائل الصوم:

وهي رسالتنا هذه.

تلخيص الآجرومية.

بغية الأمل في نظم رسالة العوامل:

في علم النحو.

النصيحة العززية في نصرة الأولياء والصوفية:

منظومة في (66) بيتًا، مطبوعة بمصر.

الرُّدُّ عَلَى الطَّبِيعِيِّينَ:

منظومة في التوحيد.

رفع الله في كشف مسائل السهو:

وتقع في نحو (13) صفحة.

انكشاف الدُّمعة لانكشاف مسألة الجمعة.

رسالة في مسألة تطويل الصلاة.

التخويف والتخوف على إيمان منكر الصوفية والنصوف:

في نحو ثماني (8) صفحات.

نصيحة الشباب المريضة للسحب والضباب: منظومة تقع

في (176) بيتًا، نشرت مع النصيحة العززية بمصر بعناية الأستاذ الطويل مسعود.

جريان المدد في الإعتصام برجال السند: منظومة تقع في

نحو (856) بيتًا، جمع فيها أسماء شيوخ وأعلام الطريقة الخلوتية وفرعها الرحمانى، استخرجهم من نحو (30) كتابًا.

النصوص الصريحة في رد شبه غير صحيحة.

رسالة الحيض والنفاث وأحكامهما.

رسالة التيمم:

عالج فيها مسائله بأسلوب رصين ودقيق.

رسالة في الجبر والاختيار:

تعرض فيه إلى هذه المسألة نظمًا فأتى على مسائلها بيانًا وتوضيحًا.

رسالة في الميراث.

رسالة في أحكام العدة:

منظومة.

رسالة في ستر العورة:

منظومة قرأها الشيخ الديسي (رحمه الله تعالى)، وقام بنشرها ووضع شرح عليها الأستاذ محمد محدة.

نظم إجازة على سبيل الوجازة.

رسالة مناسك الحج والعمرة وبيان كفيتهما الشرعية.

نظم قطر الندى وبل الصدى:

قرأها الشيخ ابن باديس نشرًا ونظمًا، وهذا نصُّ تقييده:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

يجب الصوم وكذا الفطر على كل من بلغه الخبر الذي يفيد اليقين أو غلبة الظن، ولو بطريق الإذاعة كما أفتى به شيخ الإسلام بتونس وأفادته (المجلة الزيتونية) ⁽⁴⁾، أو بطريق التلغراف كما بينه الشيخ عليش في (الفتاوى) ⁽⁵⁾، فإن بلاد الإسلام وجميع الدنيا صارت كبلدة واحدة، والهلل واحد، ومذهب إمامنا مالك (رضي الله عنه) عموم الرؤية، والعمل عليها ⁽⁶⁾.

قال المحقق الشوكاني: "ومذهب مالك في هذه المسألة هو الحق" ⁽⁷⁾. ونص (المختصر): "وعم إن نقل بهما عنهما" ⁽⁸⁾. والشرح ك: الزرقاني، والخرشي، والدردير، وعليش، والمحشون ك: الصعيدي، والدسوقي، والبناني، والرهنوي، كلهم مجمعون على عموم الرؤية لكل من نقلت إليه، كما قاله أبو عمر بن عبد البر، ولنقتصر على عبارة الدردير في (شرحه الكبير) لكونه زبدة الشرح، قال - أي الدردير (قدس الله روحه) - : "وعم (صوم سائر البلاد قريباً أو بعيداً، ولا يُراعى في ذلك مسافة القصر ولا اختلاف المطالع ولا عددها، فيجب الصوم على كل منقول إليه" اهـ ⁽⁹⁾. وذلك أن الصوم يثبت برؤية الهلال أولاً، فإن لم تكن رؤية فبالعلم بها من بلدة أخرى، فإن لم يحصل علم بالرؤية فبإكمال العدد.

ونص كلام اللّخمي ⁽¹⁰⁾ كما في (الحطاب): "الصوم والإفطار يصح بثلاثة أشياء: الرؤية، فإن لم تكن فالشهادة، فإن لم تكن شهادة فبكمال العدد ثلاثين" ⁽¹¹⁾.

ونص كلام ابن يونس ⁽¹²⁾ كما في (شرح المواق): "للعلم بدخول رمضان ثلاث طرق، وهي: الرؤية، والشهادة عليها، فإن لم يوصل إلى ذلك فبإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً" ⁽¹³⁾.

وقال القسطلاني في (شرح البخاري) ⁽¹⁴⁾، وقنون ⁽¹⁵⁾ في (شرح الموطأ): "وليس المراد رؤية جميع الناس بحيث يحتاج كل فرد فرد إلى رؤيته، بل المعتبر رؤية بعضهم، وهو العدد الذي تثبت به الحقوق، وهو عدلان" اهـ ⁽¹⁶⁾.

وقال النووي ما نصّه: "المراد رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفي جميع الناس رؤية عدلين" ⁽¹⁷⁾. وقال الشيخ عليش في (الفتاوى) ما نصّه: "ما قولكم فيمن ثبت عندهم رمضان بنقل أو رؤية منفرد وهم لا يعتنون برؤيته، أو بحكم مخالف بشاهد ثم لم ير الهلال بعد ثلاثين يوماً لغيم أو عدم اعتناء، هل يسوغ لهم الفطر؟ وهل إذا ثبت عند غيرهم قبلهم بيوم يلزمهم قضاؤه؟ أفيدوا الجواب، فأجبت بما نصّه:

الحمد لله والصلاة والسلام على [سيدنا محمد] ⁽¹⁸⁾ رسول الله ﷺ. يجب عليهم الفطر في الصور المذكورة لثبوت شوال في حقهم بكمال رمضان ثلاثين يوماً، وإذا نقل لهم عدلان أو مستفيضة أنه ثبت عند غيرهم قبلهم بيوم برؤية عدلين أو مستفيضة فإنه يجب عليهم قضاء يوم، لقول (المختصر): "وعم إن نقل بهما عنهما، وكذا إذا نقل لهم عدل واحد ثبوته عند الحاكم أو رؤية مستفيضة، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله [وصحبه] ⁽¹⁹⁾ وسلم" اهـ كلام عليش بلفظه ⁽²⁰⁾.



صورة عن الصفحة الأولى من الرسالة



صورة عن الصفحة الأخيرة من الرسالة

فقد سألتني جماعة من الأفاضل ممن له رغبة في الإتيلاف ونفور من الشقاق والخلاف، عما يقع في بعض القرى من الاختلاف في الصوم والفطر، فيسبق أحدهم بيومين أو ثلاثة، ويتأخر الآخر بيومين أو ثلاثة، فما هو الحكم الشرعي في المذهب المالكي؟ وما هو الصواب؟ فأجبت بما يأتي:

قلت: إِنَّ المواصلَةَ (29) في وَقْتِهِمْ لم تَصِلْ إلى ما وَصَلَتْ إليه اليَوْمَ، فَقَدْ صَارَتْ البلدانُ اليَوْمَ بلدةً واحدةً، وتَوَاصَلَتْ الأخبارُ واقْتَرَبَتْ الأسفارُ حتى صَارَتْ الممالكُ كُلُّها مملكةً واحدةً، وجَرَبَتْ صِحَّةُ أخبارِها بحيث لا يشكُّ فيها إِلَّا جامِدٌ متَأَخِّرٌ ضعيفُ الإدراكِ، فإذا أَلْغَيْنَا الأخبارَ الصَّحِيحةَ وَأَلْقَيْنَاهَا نَسْبَ الإسلامِ إلى الجُمُودِ والتَّأخُّرِ وصارَ ضُحْكَةً وهزْؤاً وسُخْرِيَّةً، وهو بَرِيءٌ مِنْ هذا الجُمُودِ، بل هو مَنبُعُ العلومِ والمعارِفِ العاليةِ، والصَّائِمُونَ اليَوْمَ مَنقَسِمُونَ إلى فِرْقَتَيْنِ:

الفِرْقَةُ الأولى:

فِرْقَةٌ لا تَعْتَنِي بِأَمْرِ الْهِلالِ وتَكْذِبُ رُؤْيَا غَيْرِها، وتتَأَخَّرُ في الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ يَوْمًا أو يَوْمَيْنِ حَتَّى يُطِلَّ الْهِلالُ عَلَيْهِمْ مِنْ شَوَاهِقِ الْبِنَاءِ مُرْتَفِعًا كَبِيرًا لا يَغِيبُ إِلَّا وَقْتُ الْعِشَاءِ أو قَرِيبُها، فيَعْمَلُونَ حِينَئِذٍ على مَقْتَضَى رُؤْيَيْهِمْ صَوْمًا وَفِطْرًا، وهذا جَهْلٌ عَظِيمٌ، وضَلالٌ كَبِيرٌ، فَإِنَّ الرُّؤْيَا في بِلَدٍ تَعُمُّ سَائِرَ الْبِلَادِ، وَإِنَّ رُؤْيَا عَدَلَيْنِ تَكْفِي جَمِيعَ النَّاسِ، وَإِنَّ صَوْمَ الْعِيدِ حَرَامٌ، وَإِنَّ فِطْرَهُمْ بَعْدَ إِخْبَارِ الصَّوْمِ يَوْجِبُ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارَةَ، ولا يَجُوزُ لَهُمْ تَكْذِيبُ رُؤْيَا الْغَيْرِ، ولا يَصِحُّ لَهُمْ ذَلِكَ شَرعًا.

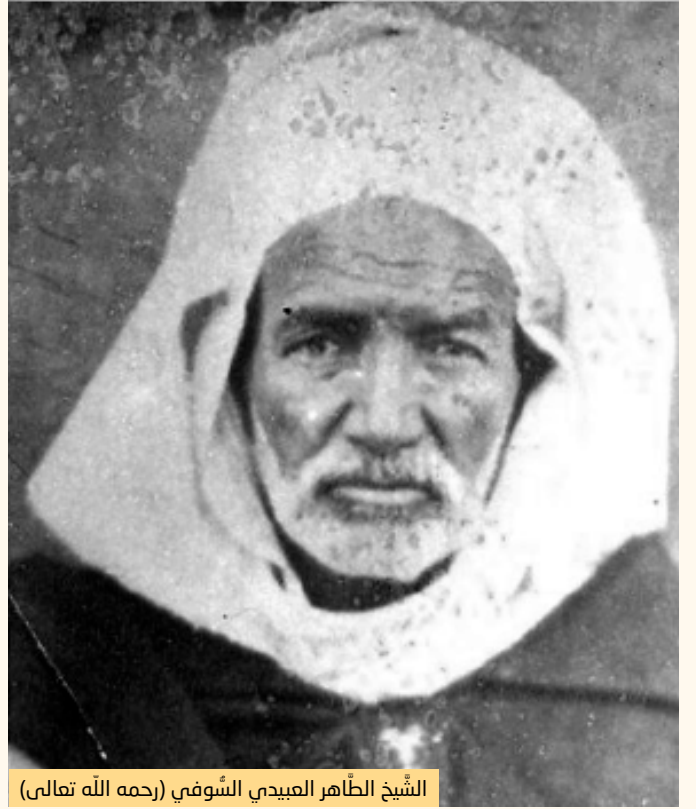
الفِرْقَةُ الثَّانِيَّة:

فِرْقَةٌ تَنْقَادُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِكَلَامِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَأَقْوَالِ أَئِمَّةِ الْمَذَاهِبِ، فإذا لم تَجِدْ أَمِيرًا مُعْتَنِيًا بِأَمْرِ الْهِلالِ ولا جَمَاعَةً قَائِمَةً وَبَلَّغَتْهَا رُؤْيَا بِلَدَةٍ مُعْتَنِيَةً هِيَ أَغْزَرَ مِنْهَا عِلْمًا وَأَحْسَنَ نِظَامًا شَرعِيًّا قَلَّدَتْهَا صَوْمًا وَفِطْرًا، وَعَمِلَتْ بِنُصُوصِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ بِلا تَعْصِبٍ ولا حِمِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ، ولا مَجَادَلَةٍ بِالْبَاطِلِ، فَاحْتَاطَتْ في أَمْرِ الصَّوْمِ الَّذِي هُوَ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسِ، فلم تَفْطِرْ بِفِطْرِ أَوَّلِ رَمَضَانَ، ولم تَفْطِرْ بِصَوْمِ الْعِيدِ، وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ هِيَ الْعَامِلَةُ بِالْشَّرْعِ وَالنَّاجِيَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ صَامَتَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ بَاطِنًا كَمَا صَامَتَ عَنِ الْمَفْطِرَاتِ ظَاهِرًا فَقَدْ تَمَّتْ عَلَيْهَا النُّعْمَةُ، وَعَظُمَتْ عَلَيْهَا الْمِنَّةُ، فَأَوْرَثَتْهَا صَوْمُهَا حِينَئِذٍ نُورًا وَقَرِيبًا، وَأَثْمَرًا لَهَا عَنِ اللَّهِ وَفِي اللَّهِ فَهْمًا وَحُبًّا، وَقَدْ قَالَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ الشَّيْخُ الْخُرُوبِيُّ (30): "إِنَّ الصَّوْمَ دَرَجَاتُ ثَلَاثٍ: فَالصَّوْمُ عَنِ الْأَكْلِ وَسَائِرِ الْمَفْطِرَاتِ صَوْمُ الْعَوَامِ، وَالصَّوْمُ عَنِ الْمَعَاصِي وَسَائِرِ الْمَخَالَفَاتِ صَوْمُ الْخَوَاصِّ، وَالصَّوْمُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ مِنْ سَائِرِ الْمَكُونَاتِ صَوْمُ خَوَاصِّ الْخَوَاصِّ"، وَنَحْوَهُ لـ: الْقُسْطَلَانِي، وَالشَّرْقَاوِي (رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْجَمِيعِ) (31).

نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَاجِهٍ (32) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الصَّائِمِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا حَتَّى نَحْصُلَ عَلَى دَرَجَةِ الْكَمَالِ. اهـ. قَالَ الطَّاهِرُ الْعَبِيدِي ب: الْجَلْفَةُ (حَاطَهَا اللَّهُ بِلُطْفِهِ)، وَرَزَقَنَا الْقَبُولَ مِنْهُ وَرِضَاهُ وَحَسَنَ الْخِتَامِ. اهـ. بِتَارِيخِ 13 ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ 1370 هَجْرِيَّةٍ (33) عَلَى صَاحِبِهَا أَتَمَّ النَّحْيَةِ.

كتبها بيده الفانية عامر بن المبروك الأخضرى

(أَخَذَ اللَّهُ بِيَدِهِ) آمِينَ.



الشَّيْخُ الطَّاهِرُ الْعَبِيدِي الشَّافِعِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى)

ثُمَّ الْوَاجِبُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَعْتَنُوا بِأَمْرِ الْهِلالِ اعْتِنَاءً شَرعِيًّا، لِأَنَّهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، فَلَا يَجُوزُ إِهْمَالُهُ، وَذَلِكَ لَضَبْطِ الْمَوْقِفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، كَالْحَجِّ، وَرَمَضَانَ، وَعِدَّةِ الْمَرَأَةِ، لِأَنَّهُمَا تَكُونُ بِالْأَهْلَةِ وَلَوْ كَانَ الشَّهْرُ نَاقِصًا كَمَا ذَكَرَهُ الْعَلَمَةُ الْأَمِيرُ (21).

وَالوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتْرَكُوا الْجِدَالَ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْجَاهِلِ أَنْ يَتَّبِعَ الْعَالِمَ، وَالوَاجِبُ عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَتَّبِعَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَقَدْ قَالُوا: "مَنْ قَلَّدَ عَالِمًا لَقِيَ اللَّهَ سَالِمًا"، لَكِنْ بِشَرْطٍ أَنْ يَكُونَ الْعَالِمُ مَشْهُورًا بِالْعِلْمِ وَمَشْهُورًا بِالتَّقْوَى، كَمَا ذَكَرَهُ التَّسْوَلِيُّ فِي (شَرْحِ التَّحْفَةِ) (22)، وَالنَّابِغَةُ الْأَعْلَالِي فِي (نَظْمِهِ الْأُصُولِيِّ) (23)، وَقَلْتُ فِي (نَظْمِ رِسَالَةِ الْعِدَّةِ) (24):

فَلَا تَقْلُدْ أَيْ مَفْضٍ مُطْلَقًا إِلَّا إِذَا شَاعَ بِعِلْمٍ وَتَقَى

وَالوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا أَنْ يَصُونُوا حُرْمَةَ الشَّهْرِ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ الْفِطْرُ بَعْدَ أَنْ تَبَلَّغَهُمُ الْأَخْبَارُ بِالصَّوْمِ، فَإِنْ أَفْطَرُوا فَعَلَيْهِمُ الْكُفَّارَةُ كَمَا قَالَ فِي (الْمَخْتَصَرِ) (25)، وَذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَلِيشُ فَيَمْنُ أَفْطَرَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْهُ الْأَخْبَارُ مِنْ طَرِيقِ التَّلْغَرَفِ، قَالَ فِي (الْفَتَاوَى): "مَنْ أَفْطَرَ فَعَلِيهِ الْكُفَّارَةُ حَيْثُ لَمْ يَمْسِكْ بَعْدَ بُلُوغِ الْخَبَرِ" (26).

وَالوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا أَنْ يَصُونُوا حُرْمَةَ الْعِيدِ بَعْدَ أَنْ تَبَلَّغَهُمُ أَخْبَارُهُ الصَّحِيحَةُ، فَإِنَّ صَوْمَ الْعِيدِ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ كَمَا ذَكَرَهُ الْعَلَمَةُ ابْنُ حَجَرٍ فِي كِتَابِهِ (الزَّوْاجِرِ) (27).

وَالْعِيدُ لَا يَصِحُّ صَوْمُهُ بِوَجْهِهِ، لَا قِضَاءً وَلَا أَدَاءً، وَمَنْ صَامَ الْعِيدَ فَقَدْ عَطَشَ نَفْسَهُ وَجَوَّعَهَا، وَكُتِبَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ وَمَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ شَيْءٌ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ طَاعَةً.

فَإِنْ قُلْتُ: إِنَّ بَعْضَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْمَشَائِخِ الْمَشْهُورِينَ مِنْ (28) الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لَمْ يَقْلُدُوا فِي صَوْمِهِمْ وَفِطْرِهِمْ.

- 1 عن مصادر ترجمته انظر: مقدّمة تحقيق: رسالة السّتر للشيخ الطاهر العبيدي، بقلم الأستاذ محمد محدة، ومحاضرة منشورة بعنوان: (الشيخ العبيدي بمناسبة يوم العلم)، أقيمت يوم الجمعة 14 أفريل 1983م بالمسجد الكبير بقرت، من إعداد حفيده (ابن بنته) الأستاذ سليمان عبد السلام، ومقالة بعنوان: العلامة الشيخ الطاهر العبيدي الفقيه الصوفي، منشورة بجريدة: العقيدة، عدد: 76، الأربعاء 1 شعبان 1412هـ/ الموافق لـ 8 فيفري 1992م، بقلم الأستاذ أحمد بن السائح، وكتاب: تجارب في الأدب والرحلة، للدكتور سعد الله، وأضواء على زاوية سيدي سالم الرّحمانيّة بوادي سوف، للأستاذ عبد الباقي مفتاح، وغيرها من المراجع.
- 2 انظر: مدينة تبسة وأعلامها، للدكتور أحمد عيساوي.
- 3 انظر: أضواء على زاوية سيدي سالم الرّحمانيّة بوادي سوف (ص: 28 - 30) للأستاذ عبد الباقي مفتاح.
- 4 انظر: المجلة الزيتونية: المجلد الأول، الجزء الثالث، تونس، رمضان 1355هـ/ نوفمبر 1936م، ص: 145 - 149، قسم الفتاوى والأحكام، حكم نقل ثبوت شهر رمضان بالهاتف والمذياع، فتوى شيخ الإسلام محمد الطاهر ابن عاشور، وللإمام عبد الحميد ابن باديس فتوى في مسألة تحمّل الشهادة عن طريق الهاتف أرسل بها إلى الشيخ الدّيسي فاستحسنها وقال بأنها كافية شافية، وبأنّ جوابه هذا قد أعطي خطأ من النّظر والتحقيق لا مزيد عليه، انظر: الدّيسي حياته وآثاره وأدبه (ص: 315 - 316) لأستاذ عمر بن قينة.
- 5 فتاوى عlish (1/180)، وانظر في هذه المسألة: إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق، للشيخ جمال الدّين القاسمي، وقد ذيل رسائله بمجموعة من الفتاوى لجماعة من العلماء، من بينها كما في (ص: 95 - 98) فتوى للشيخ محمد سعيد ابن زكري الجزائري (مفتي المالكية بالجزائر).
- 6 انظر: حاشية العدوي على الخرشي (2/236)، والشرح الكبير للدردير مع حاشية الدّسوقي (1/510).
- 7 انظر: نيل الأوطار (4/230 - 231) للشوكاني، باب الهلال إذا رآه أهل بلدة هل يلزم بقية البلاد الصّوم.
- 8 انظر: مختصر خليل (ص: 67)، باب أحكام الصّيام، بعناية الشيخ أحمد نصر، دار الفكر (بيروت)، 1392هـ/ 1972م.
- 9 انظر: شرح الدّردير (1/510) بهامش: حاشية الدّسوقي عليه، وفيه بدل لفظة: «اختلاف»، كلمة: «اتفاق»، وما أثبتته العبيدي هو الصّواب، والله أعلم.
- 10 هو أبو الحسن علي بن محمّد الرّبيعي، المعروف بالّلّخمي القيرواني، الإمام الحافظ العالم العامل العمدة الفاضل، رئيس الفقهاء في وقته، وإليه الرّحلة، تفقّه بآبن محرز وغيره، وأخذ عنه جماعة من الفضلاء والعلماء منهم الإمام المازري وابن النّحوي، له تعليق على المدوّنة سمّاها: (التّبصرة)، مشهور ومعتمد في المذهب، توفي سنة 478هـ بصفاقس، انظر: ترتيب المدارك (8/109)، الفكر السّامي (2/215)، شجرة النور الزّكية (ص: 117).
- 11 انظر: مواهب الجليل (3/279 - 280) للحطاب، ضبط وتخريج الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط/1، سنة 1416هـ/ 1995م، بيروت.
- 12 أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التّميمي نسباً، الصّفلي داراً، كان فقيهاً إماماً عالماً فرضياً، ملازماً للجهاد، موصوفاً بالنجدة، وهو أحد الأربعة الذين اعتمد الشيخ خليل ترجيحاتهم في (مختصره)، ألف كتاباً جامعاً لمسائل (المدوّنة) و(النوادر)، وعليه اعتمد من بعده، وكان يسمّى: مصحف المذهب، لصحّة مسأله ووثوق صاحبه، توفي سنة 451هـ، انظر: الديباج (ص: 274)، والفكر السّامي (2/245).
- 13 انظر: التاج والأكليل (3/279) للمواق.
- 14 انظر: إرشاد الساري (3/356) للقسطلاني، ط/6، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، سنة 1304هـ.
- 15 هو أبو عبد الله محمّد بن المدني (كنون) جنون، العلامة الجامع لكثير من الفنون، القدوة الفهامة الكبير، انتهت إليه الرّئاسة في الفقه، حجّ ولقي كثيراً من الفضلاء، له مؤلّفات كثيرة منها: اختصار حاشية الرّهوني على المختصر، وحاشية على الموطأ، توفي سنة 1302هـ، انظر: الفكر السّامي (361/4 - 363)، الأعلام (7/94)، شجرة النور، ص: (429 - 430).
- 16 لم نقف على شرح الشيخ قنون، وقد ذكره الزركلي في الأعلام (7/313) في جملة مصنفاته فقال: «وله ... حاشية على موطأ مالك سمّاها: التّعليق الفاتح، جزآن»، وذكره الكتاني في فهرس الفهارس (1/498) فقال: «وله تعليق على (الموطأ) وهو في سفرين مطبوع».
- 17 انظر: شرح مسلم (5/54) للنووي، بهامش كتاب: إرشاد الساري للقسطلاني.
- 18 ساقطة من المخطوط.
- 19 مدرجة من المؤلّف.
- 20 انظر: فتاوى عlish (1/176).
- 21 انظر: ضوء الشموع للعلامة الأمير.
- 22 انظر: البهجة شرح التّحفة (2/703) للتسولي، وفيه: «وقولهم: من قلّد عالماً لقي الله سالماً، معناه: إذا كان العالم مشهوراً بالعلم والتّقوى، فالتّقوى تمنعه من أن يقول باطلاً، والعلم يعرف به ما يقول، وإن لم يكن كذلك، فلا يجوز استيفائه ولا تقلّده، ومقلّده مغرور لاجئ له الوعيد المذكور»، يشير إلى قوله تعالى: «﴿قَالَ انْخَلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا ذَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُمَّةً أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ وَأُولَاهُمْ رَبُّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَاتَّبَعْنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 38)، وقال الشيخ عبد الله الشّنقيطي في (المراقي):
وقول من قلّد عالماً لقي...الله سالماً فغير مطلق
- قال في شرحه: «إنما يسلم إذا كان قول العالم راجحاً، أو ضعيفاً عمل به للضرورة مع حصول شروط العمل بالضّيف، أو لترجيحه عند ذلك العالم إن كان من أهل التّرجيح»، هذا لمن بلغ درجة الاتّباع، أمّا المقلد فمن أين له أن يعلم هذه الضوابط ؟ فاللهم سلّم.
- 23 انظر: البوطليحية في المعتمد من الكتب والفتوى على مذهب المالكية (ص: 68)، للشيخ محمد النّابغة بن عمر الغلاوي الشّنقيطي المتوفى سنة 1245هـ، تحقيق ودراسة يحيى بن البراء، مؤسسة الريان (بيروت)، سنة 1422هـ.
- 24 رسالة العدة: منظومة للمؤلف، انظر: فصل مؤلّفاته.
- 25 قال صاحب المختصر (ص: 67): «وإن ثبت نهاراً أمسك، وإلا كفر إن انتكح»، قال الحطّاب (3/297) نقلاً عن (المدوّنة): «فإن كان عالماً بحرمة ذلك وانتكح حرمة الشّهر فعليه الكفّارة».
- 26 بمعناه، ونصّه كما في الفتاوى (1/180): «ما قولكم فيمن انتظروا هلال رمضان فلم يروه، وأصبحوا مفطرين وقد بلغهم بالسلوك ثبوت رمضان في مصر معتقدين أنّه لا يلزمهم الصّوم به، وأنّ الحكم به مبنّى على قول المنجّمين، فهل تجب عليهم الكفّارة أم لا ؟ أفيدوا الجواب.
- فأجبت بما نصّه: «الحمد لله والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد رسول الله تجب عليهم الكفّارة لبعيد تأويلهم لاستنابهم فيه لجهلهم وسوء ظنّهم، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصّواب، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم».
- 27 انظر: الرّواجر عن اقتراف الكبائر (1/206) لابن حجر الهيتمي، عند الكلام عن الكبيرة (رقم: 144) صوم العيدين وأيام التّشريق، وقال: «تنبيه: الأخبار في النهي عن ذلك كثيرة فعده كبيرة محتتمل لما فيه من الإعراض به عن ضيافة الله عزّ وجلّ لعباده».
- 28 كذا في الأصل، والصّواب: «المشهورين بالعلم والعمل ...» والله أعلم.
- 29 أي: الاتصالات بمختلف وسائلها.
- 30 أبو عبد الله محمد بن علي بن مصطفى الخروبي الطّرابلسي الجزائري، فقيه ومفسّر، ولد بطرابلس ورحل إلى الجزائر واستقرّ بها، وتولّى الخطابة بمسجدها الكبير، له مؤلّفات جلّها في التّصوّف، توفي بالجزائر سنة 963هـ، انظر: تعريف الخلف (ص: 483)، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 132)، ومقال للشيخ المهدي البوعبدلي عنه منشور بالمجلة الإفريقية لسنة 1952م.
- 31 أوّل من أشار إلى هذا التّقسيم هو الإمام الغزالي كما في كتابه: الإحياء (1/234)، ثمّ استحسنه العلماء فنقلوه عنه، ويظهر بأنّ الإمام الخروبي (ت: 963هـ) وقبله القسطلاني (ت: 923هـ)، وبعده الشّرقاوي (ت: 1227هـ) قد نهلوا من معينه دون الإشارة إلى مصدرهم كما هو دأب كثير من العلماء، وما زال العلم مشاعاً بين الناس، وزاد ابن حجر في (الفتح) مرتبة رابعة، وهي صوم خواص العوام، ومن العلماء الذين ارتضوا هذا التّقسيم وسكنوا إليه الشيخ محمد الخضر حسين، قال: «والصّوم عند من تنبّهوا لأسرار العبادات ثلاث درجات: صوم العامة: وهو كف البطن والفرج عن شهواتهما، وصوم الخاصة: وهو ما تقدم مع قصر الجوارح عن أفعال المخالفات، وصوم خاصة الخاصة: وهو صوم القلب وترفعه عن الهمم الدّنية والأفكار الدّنيوية التي لا تراه الدّين، ولا هي من زاد الآخرة ومطاياها، وهذه هي الدّرجة الكاملة التي جمعت بين عمل الظاهر والباطن، وينبئك على حطة الدّرجة الأولى وقصور صاحبها عن الانخراط في زمره الصّائمين حقيقة، قوله ﷺ: (مَنْ لَمْ يَزِدْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَلَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)، انظر: مقالات لكتاب العربية في العصر الحديث (2/225).
- 32 التّوسّل بجاه النبي ﷺ من المسائل التي كثر فيها الحديث منذ عهد ليس بقديم، والسّلامة التي ينشدها العاقل في دينه هي الخروج من ضيق الخلاف إلى سعة الوفاق وقضائه، ولا ضير على من أراد أن يسأل الله تعالى أن يجتنب ما اختلفوا فيه، ويسعد بسؤال الله بأسمائه وصِفاته.
- 33 الموافق ليوم الأربعاء 17 أوت 1951م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف



المركز الثقافي الإسلامي

العنوان: 12 شارع علي بومنجل - الجزائر العاصمة.

البريد الإلكتروني: centreculturelislamique@hotmail.com

الهاتف والفاكس: 021 73 99 02 / 021 73 89 79 / 021 73 90 28



الأكسر مجلتي

متنوعة



فكرية



ثقافية





الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
الديوان الوطني للحج والعمرة
OFFICE NATIONAL DU PELERINAGE ET DE LA OMRA

ضمان خدمتكم شرف
نتقنه بكل مسؤولية



الفرع

شارع محمد عليات ، بجوار مسجد بن باديس / القبّة
الهاتف ، 28 82 14 / 28 81 87 (021)
Onpo.dg@gmail.com
www.facebook/onpo.alg
www.onpo.dz



الديوان الوطني للحج والعمرة
OFFICE NATIONAL DU PELERINAGE ET DE LA OMRA

المديرية العامة

4/6 شارع محمد الخامس - الجزائر
الهاتف ، 78 12 69 / 75 (021)
الفاكس ، 78 12 70 (021)



الحِمْيَر

مجلة

الموقف في المعرفة